

"هولي بلاك ملكة القصص الخرافية"

فيكتوريا القباري

ملكة بلاك مملكة

صاحبة السلسلة الأعلى مبيعاً بقائمة
نيويورك تايمز

هولي بلاك



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
and Book & Stationery



الغلاف الأمامي

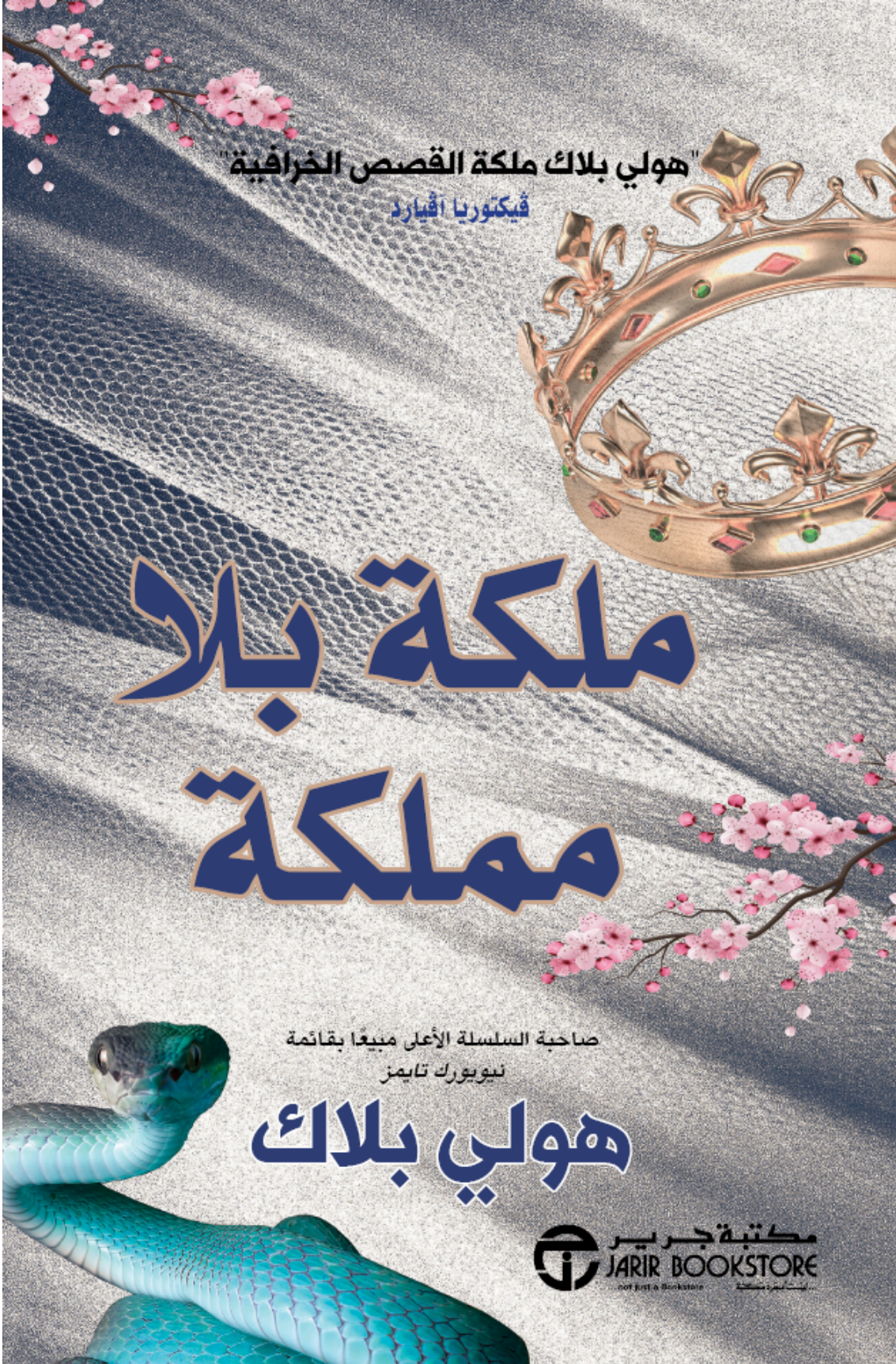
"هولي بلاك ملكة القصص الخرافية"
فيكتوريا أقيارد

ملكة بلاك مملكة

صاحبة السلسلة الأعلى مبيعا بقائمة
نيويورك تايمز

هولي بلاك

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
not just a bookstore



حقوق الطبع والنشر

ملكة بلا مملكة

هولي بلاك



للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublishations@jarirbookstore.com

تحديد مسؤولية / إخلاء مسؤولية من أي ضمان
هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والنتيجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسؤولية ونخلي مسؤوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسؤولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2023

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.

Copyright © 2023. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

THE QUEEN OF NOTHING .
Copyright © 2020 by Holly Black
All rights reserved

THE
QUEEN
OF
NOTHING

HOLLY BLACK

إشادة بهذه السلسلة

"إن هذه السلسلة من الروايات في غاية المتعة ... إنها العمل الأروع على الإطلاق لهولي بلاك".

أماندا كرايج

"لقد صنعت هولي بلاك عالمًا جذابًا للغاية لا يقل الشر فيه عن جاذبيته... ينبغي لمحبي مسلسل صائدو الظل قراءة هذه السلسلة في أقرب فرصة".

مجلة سايفاي ناو

"لقد حبكت ملكة الفانتازيا المظلمة هولي بلاك رواية مشوقة تمزج بين الكيد والسحر ... لا ينبغي أن تفوت هذه السلسلة محبي الكاتبة سارة جيه. ماس وسلسلة Grisha trilogy".

باز فيد بالمملكة المتحدة

"كل ما يحتاج إليه القارئ من إثارة تحبس الأنفاس، ورومانسية قاتلة، وخداع، وتعقيد أخلاقي مطروح في طيات هذه السلسلة الرائعة".

بوكليست

"تبرز هذه السلسلة من بين العديد من روايات الفانتازيا والخيال... فهي تجمع بين التعقيد والشخصيات الدقيقة والشهوانية الصريحة والسرد المعقد الدقيق في تناغم بديع".

صحيفة الجارديان

"هذه السلسلة جوهرة من الفانتازيا المظلمة الزاخرة بالأحداث الخطيرة ... ستستحوذ هذه السلسلة الممتعة عليك وستجعلك متشوقًا إلى قراءة المزيد منها حتى تصل إلى آخر صفحة فيها".

لي برادوجو، مؤلفة كتاب *Six of Crows and Crooked Kingdom*

الأعلى بيعةً وفقًا لجريدة نيويورك تايمز

"هولي بلاك هي ملكة روايات الجان والعفاريت".

فيكتوريا آفيارد

"هذه السلسلة تجربة خصبة وغامرة ... وإن بدت صغيرة الحجم".

بوكس فور كيبس

"لا بد من قراءة هذه السلسلة التي تتناول الصراعات المميّنة على السلطة والمُلك في أعين البشر".

إندبننت الأيرلندية

أجزاء هذه السلسلة

أمير الشر

الملك الشرير

ملكة بلا مملكة

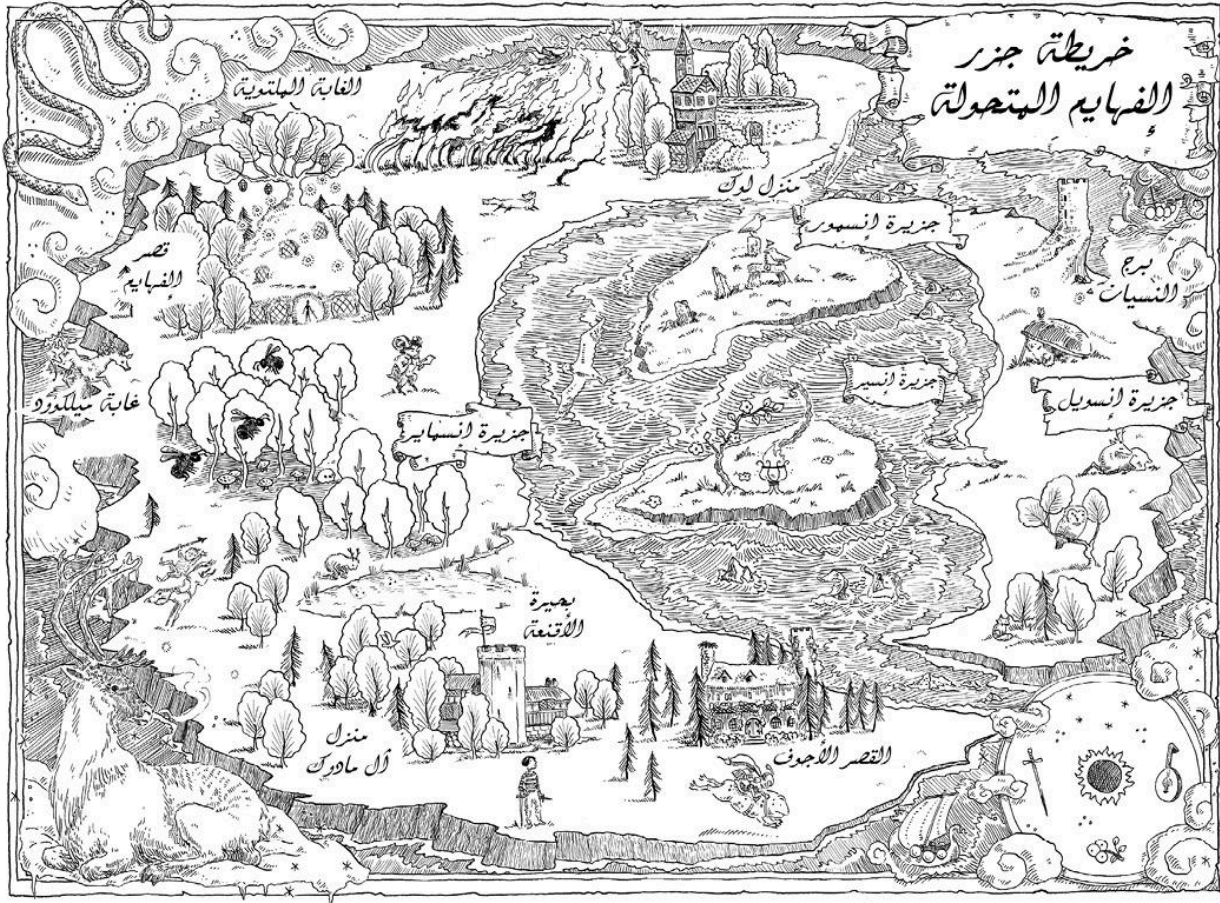
إهداء

إلى لي باردوجو،

التي تحاسبني على أية هفوة.



خريطة جزر إلفهايم المتحولة



الكتاب الأول

أقسم ملك الأقسام على الزواج

من إحدى بنات أهل الأرض، ليكون ابنيهما

محصنًا عبر هذا القرآن من مصير الجان المشنوم إلى الأبد.

لكن ماذا لو كان هناك يوم سيأتي حاملاً معه هذا المصير المشنوم!

إنه لا يزال بعيدًا! لا يزال بعيدًا!

- إدموند كلارينس ستدمان،

"Elfin Song"

تمهيد

حوّل بافين، العراف الملكي، نظره بعيدًا عن خارطة النجوم، وحاول أن يداري خوفه عندما بدا واضحًا أمامه أن أصغر أمراء إلفهايم كان على وشك أن يسقط على رأسه.

لم يتم تقديم الأمير كاردان للملك السامي إلا بعد مرور أسبوع على ولادته. وعلى الرغم من أن الملك رأى وريثة العرش الخمسة السابقين فور ولادتهم، فإن السيدة آشا منعت الملك السامي من زيارتها قبل استعادتها صحتها بعد الولادة.

كان الوليد نحيفًا وذابلًا وساكنًا، وكان يحدق إلى إلدريد بعينيه السوداوين. كما كان يحرك ذيله الصغير الشبيه بالسوط بقوة شديدة كادت تقطع قماطه. وبدت السيدة آشا غير عارفة للطريقة الصحيحة لحمله، وبدا كذلك من طريقتها في حمله أنها تتمنى أن يخلصها أحد ما من عبئه قريبًا.

قال الملك السامي يحث بافين: "أنبئنا بمستقبله". كان هناك فقط عدد قليل من أفراد البلاط الذين اجتمعوا ليشهدوا لحظة تقديم الأمير الجديد؛ ومنهم مثلًا البشري الفاني فال مورين، الذي كان شاعر البلاط ووكيل الملك، وعضوا مجلس المستشارين، وهما: راندالين وزير مفاتيح المملكة، وبافين. وقد ترددت أصدااء كلمات الملك السامي في أنحاء القاعة الخاوية.

تردد بافين، لكن لم يكن بوسعه إلا أن يذعن. كان لدى إلدريد خمسة أطفال قبل ولادة الأمير كاردان، وكانت خصوبته أمرًا مثار الاستغراب بين أهل أرض الجان لما يمتلكونه من دماء خفيفة تجري في أجسادهم وأعداد مواليد قليلة. لقد كشفت النجوم سابقًا عما قد قدر لكل واحد من الأمراء والأميرات الصغار إنجازه في مجالات الشعر والغناء والسياسة، وفي امتلاك الفضائل، بل أيضًا في اقتتراف الرذائل. لكن في هذه المرة كان ما رآه بافين

لدى النجوم مختلفًا تمامًا. قال العراف الملكي: "إن الأمير كاردان هو آخر طفل يولد لك، وسيكون سببًا لدمار التاج وخسارة العرش".

شهقت السيدة آشا في فزع، ولأول مرة قربت الصغير منها بحركة غريزية لحمايته، حتى إنه تلوَّى بين ذراعيها، ثم قالت: "إنني أتساءل، من الذي أثر في تفسيرك للعلامات. ربما تكون للأميرة إلوين علاقة بهذا الأمر، أو ربما الأمير داين".

قال بافين متفكرًا في قسوة: "ربما كان الأفضل لو تخلصت منه مبكرًا".

ثم حك الملك السامي إلدريد ذقنه بيده، وسأل: "ألا يوجد ما يمكننا فعله لإيقاف هذا؟".

كان بافين يحظى بموهبة تجعله يرى رموزًا في النجوم تزوده بألغاز كثيرة وإجابات قليلة، وكان دائمًا ما يتمنى لو كان باستطاعته أن يرى الأمور بوضوح أكبر، لكن ليس في تلك المرة. لذا، فقد طأطأ بافين رأسه حتى يتفادى نظرة الملك السامي، وقال: "فقط بعد أن يسيل دمه، يمكن لحاكم عظيم أن يتولى مقاليد الحكم، لكن لن يحدث هذا قبل أن يتم ما أخبرتكم به".

استدار إلدريد إلى السيدة آشا ووليدها ذي الطالع المشئوم. لقد كان الوليد ساكنًا كالحجر لا يبكي أو يُصدر أي صوت، ولم يزل ذيله يتحرك بقوة.

قال الملك السامي: "خذي الطفل بعيدًا، وربيه وفق ما تريه مناسبًا".

لم تجفل السيدة آشا، وقالت: "سأربيه بما يتلاءم مع مكانته، إنه أمير على أية حال، وهو ابنك".

كانت تتحدث بنبرة انكسار ومرارة، فيما تذكّر بافين بانزعاج أن بعض النبوءات تتحقق من خلال الأفعال ذاتها التي يفترض أن تحوّل دون وقوعها.

وللحظات ظل الجميع ساكنًا. ثم أوما إدريد برأسه إلى فال مورين، فغادر المنصة الملكية، وعاد وهو يحمل صندوقًا خشبيًا خفيف الحجم بغطاء مزخرف بأشكال الجذور.

قال الملك السامي: "هذه هدية، عرفانًا بمساهمتك معنا في تعزيز نسل سلالة جرينبريال".

فتح فال مورين الصندوق، ليظهر داخله عقد بديع من الزمرد الثقيل. رفع إدريد العقد وطوق به عنق السيدة آشا، ثم لمس خدها بظهر يده.

قالت السيدة آشا في سكون: "إن كرمك عظيم يا مولاي".

وأمسك الوليد بأحد أحجار العقد بيده الصغيرة، وهو يحدق إلى والده بعينين عميقتين.

قال إدريد وقد أصبح صوته أكثر لينًا: "أذهبي الآن لكي تستريحي"، فامتثلت لكلامه هذه المرة.

غادرت السيدة آشا ورأسها مرفوع، وقبضتها محكمة على وليدها، بينما شعر بافين بهاجس لم يكن متعلقًا بما بصر به في النجوم.

لم يزر الملك السامي إدريد السيدة آشا ثانية، ولم يستدعها إليه. ربما كان يتعيّن عليه أن يطرح سخطه جانبًا ويربي ابنه، لكن النظر إلى الأمير كاردان كان أشبه بالتطلع إلى مستقبل محفوف بالمخاطر، ولهذا كان يتجنبه.

وجدت السيدة آشا نفسها محل ترحيب في البلاط باعتبارها والدة الأمير، وإن لم تجد هذا الترحيب نفسه من الملك السامي. لقد رغبت في العودة إلى حياة المرح في البلاط طلبًا للعبث واللهو، لكنها لم تستطع حضور الحفلات الراقصة وهي تحمل معها طفلها. ثم عثرت السيدة آشا على قطة كانت قد ولدت قططًا ميتة، فجعلتها مرضعة لابنها.

استمر الأمر على هذا المنوال حتى تمكن الأمير كاردان من الحبو. وفي ذلك الوقت كانت القطة قد صارت مثقلة بصغارها الجدد، وقد بدأ الأمير يزعجها ويجذبها من ذيلها. ففرت

القطة إلى الإسطبلات, وتخلت عنه هي الأخرى.

ولهذا كبر الأمير كاردان في القصر دون أن يلقي حَبًّا من أحد, ودون أن يلتفت إليه أحد. فمن ذا الذي كان يجرؤ على منع الأمير من سرقة الطعام من فوق الموائد الحافلة, وتناوله أسفلها ملتهمًا ما أخذه بشكل همجي؟ وكان إخوانه وأخواته يضحكون فحسب, ويلعبون معه, كما يلعبون مع حيوان أليف.

كان لا يرتدي الملابس إلا القليل منها, ويرتدي بدلًا منها أكاليل الزهور, ويرشق الحراس بالحجارة عندما يحاولون الاقتراب منه. لم يمتلك أحد أية سيطرة عليه سوى والدته, التي نادرًا ما كانت تحاول كبح جماح تجاوزاته, بل كانت تشجعه عليها.

كانت تقول له بصرامة عندما يبتعد عن نزاع, أو ينأى بنفسه عن المطالبة بأمر ما: "إنك أمير, وكل شيء ملك لك, ولا يتعيّن عليك سوى أخذه", أو تطلب منه في بعض الأحيان أن يحضر لها الأشياء التي تريدها.

يُقال إن أطفال الجان لا يماثلون أطفال البشر؛ لأنهم لا يحتاجون من الحب سوى القليل, ولا يحتاجون إلى من يضعهم في فُرشهم في المساء, فهم يستطيعون النوم قريري الأعين في ركن بارد في قاعة الرقص, وقد يلتفون في مفرش الطاولة, ولا يحتاجون لمن يطعمهم, بل يكفيهم أن يلعبوا بألسنتهم قطرات الندى وطبقات القشدة من فوق الخبز الموجود في المطبخ. ولا يحتاجون لمن يُروّح عنهم, لأنهم نادرًا ما يبكون.

لكن إذا كان أطفال الجان يحتاجون إلى القليل من الحب, فإن أمراء الجان يحتاجون إلى النصح والمشورة.

ولم يستعن كاردان بالمشورة عندما اقترح شقيقه الأكبر عليه إصابة ثمرة جوز فوق رأس بشري, ولم تكن لدى كاردان الحكمة الكافية لكي يعترض. فقد كان مندفعًا ومتعجرًا.

قال الأمير داين بابتسامة هازئة: "إن المهارة في الرماية تلتفت انتباه والدنا. لكنها ربما تكون شديدة الصعوبة بالنسبة لك، والأفضل ألا تحاول, بدلاً من أن تحاول وتفشل".

كان الإغراء بالنسبة إلى كاردان شديداً، فهو لم يستطع من قبل أن يلفت نظر والده بما ينال استحسانه, وهذا ما كان يرجوه بشدة، ولم يسأل كاردان نفسه من كان هذا البشري, أو كيف وصل إلى البلاط. ولم يشك كاردان قط في أن هذا الرجل هو الصديق المقرب لفال مورين, وأن وكيل الملك سيجن من الحزن إذا مات هذا الرجل.

وبموت هذا الرجل سيحصل داين على مكانة أعلى بأن يصبح اليد اليمنى للملك السامي.

قال كاردان وقد امتلأت نفسه بتفاخر صبياني طائش: "أتقول شديدة الصعوبة؟ والأفضل ألا أحاول؟ تلك كلمات شخص جبان". لقد قام أخوه بتخويفه لكن لم يزد ذلك التخويف إلا استهزاء.

ابتسم الأمير داين قائلاً: "دعنا على الأقل نتبادل السهام، فإذا ما أخطأت يمكنك أن تقول إن سهمي أنا الذي انحرف عن هدفه الأصلي".

كان ينبغي لكاردان أن يتشكك في هذا اللطف، لكنه لم يكن قد تعلّم حينها سوى القليل كي يُفرّق بين الحقيقة والزيف.

ثبّت كاردان سهم داين في القوس, وجذب الوتر إلى الخلف مستهدفاً ثمرة الجوز. وقد راوده شعور قوي بأنه قد لا يُصيب هدفه, وأنه قد يؤذي الرجل، بينما أعقب هذا الشعور مباشرة شعور بالنشوة يحفزه الغضب من فكرة أن قيامه بأمر يمثل هذه البشاعة سيدفع والده إلى التوقف عن تجاهله. وإذا لم يستطع جذب انتباه الملك السامي بالقيام بأمر حسن، فربما إذن يستطيع جذب انتباهه عن طريق الإتيان بفعل سيئ حقاً.

ارتعشت يدا كاردان.

لقد تطلعت إليه عينا البشري الفاني الصافيتان في جمود يغلب عليه الذعر، فاستنتج أنه كان مسحورًا، فلا أحد يمكنه أن يقف بهذه الصورة طواعية، وكان هذا ما حسم مصير البشري.

أطلق كاردان ضحكة مرتبكة وهو يرخي الوتر، وقد خَفَضَ السهم، وقال: "أنا ببساطة لن أقوم بالرمية في تلك الظروف"، لقد شعر بالسذاجة لتراجعه، لكنه واصل قائلاً: "الرياح تهب من جهة الشمال وتعبث بشعري وتُدخله في عيني".

في تلك الأثناء رفع الأمير داين قوسه، وأفلت السهم الذي كان كاردان قد بدّله معه، فانغرز السهم في حنجرة البشري، وسقط دون أن يصدر عنه أي صوت، ولم تزل عيناه مفتوحتين، وقد أصبحتا الآن تحدقان إلى الفراغ.

حدث الأمر بسرعة شديدة، حتى إن كاردان لم يصرخ طلبًا للنجدة، ولم يصدر عنه أي رد فعل. بل حدق إلى أخيه فحسب، ثم توصل ببطء وفزع إلى فهم ما حدث.

قال الأمير داين: "يا للأسف، يبدو أن سهمك أنت قد انحرف عن مساره. ربما يمكنك أن تذهب لكي تشتكي لأبينا من الشعر الذي غطى عينيك".

بعدها لم يستمع أحد إلى ما رواه الأمير كاردان عما حدث، على الرغم من احتجاجه على ذلك، وكان هذا ما حرص داين على حدوثه. وفي الوقت نفسه تحدّث داين عن تهور شقيقه الأمير الصغير وتعجرفه وسهمه الذي أصاب البشري. ولم يسمح الملك السامي ولو بقاء كاردان لسماعه.

وعلى الرغم من مناشدة فال مورين للملك تنفيذ عقوبة الإعدام في القاتل، لكن معاقبة كاردان على قتله بشريًا فانيًا جرت بالصورة التي يُعاقب بها الأمراء. فقد أمر الملك السامي إلدريد باحتجاز السيدة آشا بعيدًا في برج النسيان بدلًا من كاردان - وهو ما أشعر الملك بالراحة بعد نشوء سبب يبرر احتجازها - فقد كان يراها مزعجة ومُسببة للمشكلات. وتولى

بالكين رعاية الأمير كاردان، وهو الأخ الأكبر، والأكثر قسوة، والوحيد الذي أبدى رغبة في
الاضطلاع بمهمة رعايته.

وهكذا تشكلت سمعة الأمير كاردان السيئة، ولم يكن لديه من حيلة في السنوات اللاحقة
سوى التأكيد على مدى سوء تلك السمعة.

الفصل 1

أنا جود دوارتي الملكة السامية لإلفهايم الموجودة في المنفى، إنني أقضي معظم صباحاتي في مشاهدة التلفاز بينما يغالبني النعاس، حيث أشاهد مسابقات الطهي، وبرامج الكارتون، وإعادات البرامج التي يتعين فيها على المتسابقين إكمال التحدي من خلال فتح الصناديق والزجاجات وتقطيع أسماك كبيرة بشكل الكامل. وفي فترات بعد الظهيرة، أدرب شقيقي أوك على القتال - إذا سمح لي بذلك - أما في الليل، فإني أؤدي بعض المهام لمن يقيم في منطقة سكني من أفراد الجان.

أحاول أن أبتعد عن المشكلات، ولعل هذا ما كان يجب عليّ فعله منذ البداية. حتى إذا لعنت كاردان لما فعله بي، كان يتعين عليّ حينها أن ألعن نفسي أنا أيضًا، لكوني الحمقاء التي سارت نحو الشرك الذي نصبه لي.

عندما كنت طفلة تقيم في عالم الجان، ظللت أتخيل باستمرار عودتي إلى عالم البشر. وكنت أنا وتارين وفيفي نسترجع ما كانت عليه الحال هناك، ونتذكر روائح العشب المشذب حديثًا، والبنزين، ونستعيد ذكرياتنا عن لعبة المطاردة في الأفنية الخلفية للحي، والسباحة صيفًا في أحواض السباحة المشبعة بالكور المبيّض. وكنت أحلم بالشاي المثلج الذي يُصنع من البودرة، وبمثلجات عصير البرتقال. وكنت أشتاق إلى أمور عادية، مثل: رائحة الأسفلت الساخن، وأرجحة الأسلاك بين أعمدة الإنارة، وأغاني الإعلانات التجارية.

الآن أصبحت عالقة في هذا العالم البشري إلى الأبد، وصرت أفتقد أرض الجان بشدة. بل أفتقد السحر وقدراتي الخارقة، وربما أفتقد أيضًا شعوري بأني خائفة. وأشعر كما لو كنت أقضي أيامي في حالة من الأرق ما بين الصحو والنوم دون أن أستفيق على نحو كامل مطلقًا.

نقرت بأصابعي على الخشب المطلي لطاولة الحديقة. وكنا في أوائل فصل الخريف، وكان الجو باردًا في ولاية مين. كانت شمس الغروب تلقي بظلالها على الأعشاب الموجودة خارج مجتمعنا السكني، بينما كنت أشاهد أوك وهو يلعب مع الأطفال الآخرين في المساحة المسورة بالأخشاب والممتدة بين هذه المنطقة والطريق السريع. إنهم أطفال من البناية والحي أكبر أو أصغر سنًا من أخي ذي السنوات الثماني، وقد هبطوا جميعًا من الحافلة المدرسية الصفراء نفسها. وكانوا يلعبون لعبة الحرب دون أي تنظيم، ويطارد بعضهم بعضًا بالعصي، ويضربون بعضهم كما هي حال الأطفال، ويستهدفون إصابة سلاح الخصم عوضًا عن مهاجمة الخصم نفسه، ثم ينفجرون ضاحكين عندما تنكسر العصا، ولم يسعني سوى ملاحظة أنهم يتعلمون كل الدروس الخاطئة عن المبارزة بالسيف.

ومع ذلك واصلت المشاهدة، وهكذا لاحظت عندما استخدم أوك قدراته الخارقة.

أعتقد أنه فعلها دون قصد منه، حيث تسلل نحو الأطفال الآخرين، ثم مضى يقطع مسافة لا يوجد فيها ما يستتر وراءه، وواصل سيره تجاههم، ومع أنه كان مائلًا أمامهم لكن بدا واضحًا أنهم لم يروه.

ثم اقترب أكثر وأكثر دون أن ينظر الأطفال تجاهه. وعندما قفز عليهم وهو يطوح بعصاه، صرخوا في دهشة حقيقية.

كان مختفيًا عن أنظارهم، فقد استخدم قدراته الخارقة بالفعل. لقد خُذت، ولم ألاحظ ذلك حتى أتم خطته، بينما اعتقد الأطفال الآخرون أنه كان ماهرًا أو محظوظًا. لكنني كنت الوحيدة التي أدركت مدى رعونة سلوكه هذا.

انتظرت حتى غادر الأطفال إلى بيوتهم، وقد ذهبوا واحدًا تلو آخر، حتى بقي شقيقي فقط. أنا لا أحتاج لاستخدام السحر لكي أتسلل وأفاجئه على الرغم وجود أوراق الشجر على الأرض. فبحركة سريعة، طوقت بذراعي رقبة أوك، وضغطت على حنجرته بقوة تكفي لإخافته. لكنه دفعني إلى الخلف بقوة مماثلة، وكاد يجرح ذقني بقرنيه. لا بأس، حاول أوك

أن يتخلص من قبضتي, لكنه لم يفعل هذا بالحماس اللازم, فقد كان يعرف من أكون أنا وأنتي لا أخيفه.

أحكمت قبضتي عليه، ولو أنني ضغطت بذراعي على حنجرته لفترة أطول لفقد وعيه.

حاول أن يتحدث، غير أنه لا بد أنه قد بدأ، ولا بد، يشعر بتأثير عدم حصوله على الهواء الكافي، وعندها نسي كل تدريباته وتصرف بوحشية، فأخذ يضرب، ويخدش ذراعي، ويركل رجلي. جعلني هذا أشعر بالفزع، فقد أردته أن يشعر ببعض الخوف حتى يخشى أن يلجأ للقتال مجددًا لا أن يشعر بالرعب.

أفلت قبضتي وتركته، فترنح أوك وقد تغير لونه، وكانت عيناه ممتلئتين بالدموع. وأراد أن يعرف السبب، فسأل وهو ينظر إليّ بتأنيب وتشكك: "ما الداعي لذلك؟".

أجبتة: "لكي أذكرك بأن القتال ليس لعبة"، وشعرت كما لو كنت أتحدث بصوت مادوك وليس صوتي. فأنا لا أريد أن ينشأ أوك مثلما نشأت كشخص غاضب وخائف، بل أريده أن ينجو، وقد علمني مادوك كيف أفعل ذلك.

كيف لي أن أعرف كيفية تقديم الإرشادات الصحيحة له، في حين أن كل ما عرفته وأنا في مثل سنه هو طفولتي المشوشة؟ وربما تكون الجوانب التي أقدرها في هذه الطفولة هي الجوانب الخاطئة. ثم سألته: "ماذا ستفعل في مواجهة خصم يريد أن يؤذيك حقًا؟".

أجاب أوك: "لا أهتم، لا أهتم بتلك الأمور. فأنا لا أريد أن أصبح ملكًا، ولن أريد أبدًا أن أصبح ملكًا".

للحظة ظللت أهدق إليه، وأردت أن أصدق أنه يكذب، لكنه بالطبع لا يستطيع الكذب.

قلت له: "إننا لا نملك دومًا خيار تحديد أقدارنا".

قال أوك: "قومي أنتِ بأعباء الحكم إذا كنت تهتمين به لهذه الدرجة! أما أنا فلا، فلن أصبح ملكًا أبدًا".

اضطرت إلى الضغط على أسناني حتى أمتنع نفسي من الصراخ، وقلت له لأذكره: "لا أستطيع؛ لأنني في المنفى كما تعلم".

ضرب الأرض بحافري قدميه، وقال: "وأنا أيضًا! والسبب الوحيد لبقائي في هذا العالم البشري أن والدي يريد هذا التاج السخيف، وأنتِ تريدينه، والكل أيضًا يريد. حسنًا، أنا لا أريده، إنه تاج ملعون".

قلت له: "إن السلطة ملعونة أيًا كانت، ويفعل أشر الخلق بيننا أي شيء لكي يحصلوا عليها، بينما من يُجيدون إدارتها على أفضل نحو ممكن لا يريدون أن يتقلدوها. لكن هذا لا يعني أن بإمكانهم تجنب مسؤولياتهم إلى الأبد".

قال أوك: "لا يمكنكِ إرغامي على أن أصبح الملك السامي"، وابتعد عني راكضًا باتجاه المبنى حيث نقطن.

جلست على الأرض الباردة، وأنا أعني أنني قد أخفقت تمامًا في إدارة الحوار، وأعلم أن مادوك قد دربني أنا وتارين على نحو أفضل من تدريبي لأوك، وأعلم أنني كنت متعجرفة وحمقاء لاعتقادي أن بإمكانني السيطرة على كاردان.

أعلم أنه تم إقصائي عن الساحة في اللعبة الكبرى للأمراء والملكات.



في داخل الشقة، أغلق أوك باب غرفته بإحكام في وجهي. وكانت شقيقتي الجنية فيفيان، تقف عند طاولة المطبخ مبتسمة وهي تحقق إلى هاتفها.

وعندما لاحظت وجودي، أمسكت يدي، وأخذت تدور بي في سعادة باقية حتى أصابني الدوار.

وقالت وهي تضحك بشدة: "لقد جددت هيدر توصلها معي".

كانت هيدر هي صديقة فيفيان المقربة من عالم البشر، وقد تحمّلت تهرب فيفي المستمر من التحدث عن ماضيها، بل تحمّلت قدوم أوك للعيش معهما في هذه الشقة. لكن عندما اكتشفت أن فيفي لم تكن بشرية، واكتشفت كذلك أن فيفي قد سحرتها ذات مرة، ابتعدت عنها، وانتقلت من الشقة. وإني لأخجل من أن أقول إن فيفي قد استحققت هذا العقاب، لأنني أريد السعادة لشقيقتي، وصادقتهما بهيدر كانت سبباً رئيسياً في سعادتها.

تراجعت قليلاً وأنا أفتح عيني وأغلقهما في اندهاش: "ماذا؟".

لوّحت فيفي بالهاتف في وجهي، وقالت: "لقد أرسلت لي رسالة نصية تفيد بأنها تريد العودة، وأن كل شيء سيرجع كما كان".

إن الأشجار الميتة لا تثمر مجدداً، وثمره الجوز المنكسرة لا تعود ثانية إلى داخل قشرتها، والأصدقاء الذين تعرضوا للسحر لا يستيقظون من سباتهم ويقررون إعادة الأمور إلى ما كانت عليه مع أصدقائهم السابقين!

مددت يدي نحو هاتف فيفي، وقلت لها: "دعيني أر الرسالة"، فتركتني أخذه.

تصفحت الرسائل، وكانت معظمها مرسله من فيفي، ومليئة بالاعتذارات، والوعود غير المدروسة، والكثير من التوسلات اليائسة. بينما كان هناك الكثير من الصمت من جانب هيدر، والقليل من الرسائل التي تقول أشياء من قبيل: "أحتاج إلى المزيد من الوقت للتفكير".

ثم هذه الرسالة:

أريد أن أنسى موضوع الجان هذا. أريد أن أنسى أنك وأوك لستما بشريين، لا أريد أن أشعر بهذه الطريقة على الإطلاق. وإذا طلبت منك أن تساعدني على أن أنسى كل هذا، فهل ستفعلين؟

حدثت إلى كلماتها لفترة طويلة، وأخذت نفسًا عميقًا.

يمكنني أن أفهم لماذا قرأت فيفي الرسالة بالطريقة التي تصوّرتها، لكنني أعتقد أنها أخطأت في قراءتها. فلو أنني من كتبت هذا الكلام، فسيكون آخر شيء أريده هو أن توافق فيفي عليه. بل كنت لأريدها أن تساعدني على أن أرى أن فيفي وأوك، حتى إن لم يكونا بشريين، لا يزالان يُحبّانني، ولكنك أريد أن تتأكد فيفي من أن التظاهر بالبعد عن عالم الجان لن يجدي نفعًا، وأن تخبرني بأنها قد ارتكبت خطأ، وأنها لن تكرره أبدًا مهما كانت الظروف.

لو أنني من أرسلت هذا الكلام، لكان هذا بمثابة اختبار مني لها.

أعدت الهاتف ثانيةً إلى فيفي، وسألتها: "ماذا ستقولين لها؟".

قالت شقيقتي: "إنني سأفعل ما تريده أيًا كان"، وكان هذا تعهدًا متهورًا من أجل بشرية فانية، بل إنه تعهد مخيف من شخص سيتوجب عليه أن يبقى ملتزمًا بهذا التعهد إلى أمد طويل.

فعمّبت قائلة: "ربما لا تعرف هيدر ماذا تريد بالتحديد"، وفي مثل هذا الموقف لن أبدو ودية بما يكفي لأحد الطرفين مهما فعلت؛ لأن فيفي شقيقتي، وهيدر من بني البشر، وأنا بمعنى ما مدينة لكليهما.

والآن، إن فيفي غير مهتمة بافتراض أي شيء سوى أن كل شيء سيمضي على ما يرام. ثم ابتسمت ابتسامة واسعة ومسترخية والتقطت تفاحة من وعاء الفاكهة، وظلت تقذفها في الهواء، وبعدها سألتني: "ما خطب أوك؟ كان يسير منفعلًا، ثم صفق الباب خلفه. هل سيظل بهذه الحدة في أفعاله عندما يبلغ سن المراهقة؟".

قلت لها: "إنه لا يريد أن يصبح الملك السامي".

حدقت فيفي ببصرها إلى غرفة نومه, وقالت: "أوه، هذا هو السبب إذن. لقد ظننت أن الأمر مهم أكثر من هذا".

الفصل 2

من المريح أن أتوجه إلى العمل الليلة.

تختلف احتياجات الجان في عالم البشر الفاني عن احتياجاتهم في مملكة إلفهايم. حيث لا ينشغل الجان المنعزلون، الذين يحيون على أطراف عالم الجان بالاحتفالات والمكائد التي تجري في البلاط الملكي.

لقد اتضح أن لديهم الكثير من الأعمال الغريبة بالنسبة لشخص مثلي؛ شخص بشري فاني يعلم طرقهم في التعامل، ولا يخشى الانخراط في نزالاتهم بين الحين والآخر. قابلت بريرن بعد أسبوع من مغادرتي إلفهايم، حيث ظهر خارج مجمعنا السكني، وهو جني بفراء أسود ورأس وحوافر كراس وحوافر الماعز، وله قبعة مستديرة يمسكها في يده، وقال إنه صديق قديم للصرصور.

ثم أردف وهو ينظر إليّ بعيني الماعز الذهبيتين والغريبتين اللتين يوجد بهما بؤبؤان أسودان على شكل مستطيلين أفقيين: "أتفهم أنك في وضع صعب، فأنت أشبه بميتة، أليس كذلك؟ لا يوجد لديك رقم ضمان اجتماعي، ولا تعليم نظامي في عالم البشر الفاني".

قلت له وقد عرفت إلى أين يُفضي كلامه: "وأبحث عن عمل، بعيدًا عن الإطار الرسمي".

قال لي مؤكدًا وهو يضع إحدى يديه المخلبتين فوق قلبه: "معي ستكونين بعيدة عن الإطار الرسمي إلى أقصى درجة. اسمحي لي بأن أعرفك بنفسي: أنا بريرن من جان عشيرة البوكا (كائنات تشبه الماعز لكن ملامحها تبدو مخيفة)، هذا إذا لم تكوني قد حزرتِ هذا بالفعل".

إنه لم يطلب مني قسمًا بالولاء، أو أية وعود أيًا كانت. ومن ثم يمكنني إذن أن أعمل قدر ما أريد، ما دام الأجر كان مناسبًا لمقدار جراتي.

قابلته في تلك الليلة بجوار الشاطئ، ذهبت إليه بالدراجة المستعملة التي اشتريتها. كانت عجلتها الخلفية تسرّب الهواء سريعًا، لكنها كانت رخيصة الثمن، وتنقلني حيثما شئت. كان بريرن يرتدي ملابس مزخرفة كالمعتاد، فقد كان لقبعته رباط مزدان بالقليل من ريش البط ذي الألوان الزاهية، ولديه سترة صوفية أنيقة. وعندما اقتربت منه، أخرج الساعة من جيبه، وأطال النظر فيها وهو شديد العبوس.

سألته: "أوه، هل تأخرت؟ آسفة فقد اعتدت معرفة الوقت من خلال ميل ضوء القمر".

نظر إليّ بانزعاج، وقال: "ليس معنى أنك كنت تعيشين في البلاط السامي أن تتصرفي بتعالٍ. كما أنك لست شخصية مرموقة الآن".

خطر ببالي الرد تلقائيًا أنا الملكة السامية لإلفهايم، لكنني أرغمت نفسي على الصمت لكي أمتنع نفسي من قول تلك الكلمات الخاوية من المعنى. إنه محق: أنا لم أعد شخصية مرموقة.

سألته بهدوء قدر المستطاع: "ما الوظيفة؟".

أجابني: "إن إحدى الجنيات في منطقة أولد بورت تلتهم السكان المحليين. ولديّ صفقة جيدة لمن يمكنه ان يلزمها بالتعهد بالتوقف عن التهامهم، ولديه الرغبة في ذلك".

أجد صعوبة في تصديق أنه يهتم بما يحدث للبشر - أو يهتم بالدرجة التي تجعله يدفع لي أموالًا للتصرف في هذا الشأن: "السكان المحليون من البشر الفانين؟".

هز رأسه بالنفي قائلاً: "لا، لا... أقصد السكان المحليين من الجان، منا نحن". ثم بدا أنه قد تذكر مع من يتحدث، وبدا عليه بعض الإحباط، وحاولت ألا أرى ما زل به لسانه من كلام

على سبيل المدح.

قتل وأكل أفراد من الجان؟ لا شيء يبشر بسهولة تلك المهمة. وسألته: "من الذي طلب تنفيذ تلك المهمة؟".

ضحك بتوتر قائلاً: "أشخاص لا يريدون أن ترتبط أسماؤهم بالأمر، لكنهم سيكافئونك جيداً عند تأديتك تلك المهمة".

إن أحد الأسباب التي جعلت بريرن يفضّل تكليفي بتلك المهمة هو مقدرتي على الاقتراب من الجان؛ لأنهم لا يتوقعون من بشرية فانية مثلي أن تسرقهم، أو تغرس سكيناً في أجناهم، ولا يتوقعون ألا يتأثر البشري الفاني بحيل السحر أو يعرف عاداتهم، أو يرى خبايا مساوماتهم المريعة.

وهناك سبب آخر، وهو أنني بحاجة إلى الأموال بدرجة تجعلني أرغب في تولي مهام مثل هذه - مهمة أعرف منذ بدايتها أنها ستكون في منتهى السوء.

سألته: "ما العنوان؟"، ناولني ورقة مطوية.

فتحتها ونظرت فيها، وقلت: "من الأفضل أن يكون الأجر جيداً".

قال: "500 دولار أمريكي"، قالها كما لو أن هذا مبلغ طائل.

يبلغ إجمالي الإيجار 1,200 دولار في الشهر، ناهيك عن مصاريف المرافق ومشتريات البقالة. ومع رحيل هيذر أصبح النصف الخاص بي من الإيجار والمصاريف 800 دولار كاملة، كما أود شراء إطار جديد لدراجتي، إن مبلغ 500 دولار لا يكاد يكفي أي شيء، خاصة لتنفيذ مهمة مثل هذه.

رفعت حاجبيّ وقلت باعتراض: "1,500 دولار نقدًا، مع إمكانية التحقق من عدم تزيفها باستخدام الحديد، نصفها مقدم، وإذا لم أعد سدّد النصف الباقي إلى فيفيان كهديّة لعائلتي

التي ستحزن لفقدي".

زم بريرن شفتيه في غيظ، لكني كنت أعلم أنه يملك هذا المبلغ. إنه فقط لم يكن يريد أن يدفع لي ما يكفيني حتى لا أغدو انتقائية في تحديد مهامي.

قال مساومًا: "بل ألف دولار"، ومد يده في جيب معطفه الصوفي وسحب رزمة من الأوراق النقدية ملفوفة بشريط فضي، وتابع: "لحسن الحظ لديّ النصف الآن، يمكنك أخذه".

وافقت قائلة: "حسنًا"، هذا مبلغ جيد لما قد يصبح مهمة تُنجز في ليلة واحدة إذا حالقني الحظ.

فناولني المبلغ النقدي في امتعاض قائلاً: "أعلميني عند إتمامك المهمة".

قمت بتمرير قطعة حديد متصلة بسلسلة مفاتيحي على حواف المال للتيقن من ألا يكون مزيغًا. ولا يضير أبدًا أن أذكر بريرن بحرصي.

ثم قلت سريعًا: "بالإضافة إلى خمسين دولارًا للمصاريف".

قطب جبينه، وبعد قليل مد يده نحو جزء آخر من معطفه وناولني النقود الإضافية، وقال: "فقط تولي إتمام المهمة". إن عدم اعتراضه يمثل دلالة سيئة في تقديري، ربما كان يتعين عليّ طرح المزيد من الأسئلة قبل موافقتي على المهمة، وبالتأكيد كان يتعين عليّ التفاوض بشكل أكثر قوة.

أما الآن فقد فات أوان ذلك.

ركبت دراجتي، ولوحت مودعة لبريرن، وانطلقت نحو وسط المدينة. تخيلت نفسي ذات يوم فارسة تمتطي جوادًا وتسير مختالة في مسابقات استعراض المهارات والحصول على التقدير، لكن من المؤسف أن مهاراتي وُجِهت في اتجاه آخر مغاير تمامًا.

أفترض أنني ماهرة بما يكفي لقتل واحدة من معشر الجان، بينما ما أبرع فيه حقًا هو استثارة غضب الآخرين. وأمل أن يفيدني هذا في مساعي خلف الجنية الوحشية لكي أتم ما أريده.

قبل ذهابي لمواجهتها، قررت أن أسأل عنها في الجوار.

أولاً، رأيت عفريتًا يدعى ماجبي يعيش في شجرة في منتزه ديرينج أوكس، وقال إنه سمع أنها من جان الريدكاب (جان القبعات الحمراء)، وهذا نبأ سيئ، لكنني على الأقل نشأت في ظل مادوك وهو منهم، ومن ثم فأنا مُلمة بطبيعتهم جيدًا. يتعطش جان القبعات الحمراء للدماء والقتل والعنف - بل في الحقيقة، إنهم يصابون برعشة خفيفة إذا لم يشبعوا تعطشهم للدم لفترة طويلة من الوقت. وإذا كانوا من النوع التقليدي، تكون لديهم قبعات يغمسونها في دماء أعدائهم المنهزمين، التي من المفترض أن تمدهم ببعض الحيوية المسلوقة من جثامين القتلى.

سألته عن اسم الجنية، لكن ماجبي لم يكن يعرفه، وأرسلني إلى لادهار وهو من جان الكلوريتشون، محبي اللهو والشراب المسكر، ويتسلل إلى مطابخ المقاهي لتناول المشروبات خلصة، فيرتشف من المشروبات عندما لا يوجد أحد حوله، ويخدع البشر الفانين بألعاب الحظ.

قال لادهار وقد خفض صوته: "ألا تعلمين؟ إنها جريما موج".

كدت وقتها أتهمه بالكذب، على الرغم من معرفتي بصدقه. وبعدها تخيلت لوهلة مطاردي لبريرن وإرغامه على الاختناق بكل دولار أعطاني إياه لتوريطي في مثل هذا المأزق، وقلت للادهار: "ماذا تفعل جريما موج هنا؟!".

إن جريما موج هي القائدة المهيبة للجيش في بلاط الأنياب في شمال البلاد. وهو البلاط الملكي ذاته الذي فر منه كل من الصرصور والقنبلة ذات يوم. عندما كنت طفلة صغيرة، كان

مادوك يقرأ لي في وقت النوم عن يوميات معاركها وإستراتيجياتها الحربية. ومجرد تفكيري في مواجهتها، يجعلني أتصبب عرقًا باردًا.

لا يمكنني محاربتها، ولا أعتقد أيضًا أن أمامي فرصة لخداعها.

قال لادهار: "سمعت أنها أُقيلت من منصبها، ربما أكلت شخصًا كانت تحبه السيدة نور".

ذُكرت نفسي بأنه لا يتعين عليّ القيام بهذه المهمة، فأنا لم أعد فردًا من مجلس الظلال الذي كان تابعًا للأمير داين، ولم أعد أحاول أن أحكم من وراء كواليس عرش الملك السامي كاردان، ولا أحتاج للإقدام على المخاطر الكبرى.

لكنني كنت أشعر بالفضول.

أضف إلى ذلك الجرح الكبير الذي أصاب كبريائي نتيجة كل ما تعرضت له مؤخرًا، ومن ثم وجدت نفسي واقفة على درجات السلم الأمامي لمستودع جريما موج مع بزوغ الشمس. كنت أعلم أنه يجدر بي ألا أذهب إليها خاوية الوفاض، ولهذا جلبت معي لحمًا نيئًا وباردًا من الجزار في مبرد من مادة الستايروفوم، مع شطيرة من العسل ملفوفة في ورق مفضض، وزجاجة رائعة من الشراب اللادع.

في الداخل مشيت في صالة واسعة حتى وصلت إلى باب لما يبدو أنها شقة. وقرعت الباب ثلاث مرات، وكنت أرجو، إذا لم تكن هناك روائح أخرى هنا، أن تخفي رائحة الطعام رائحة خوفي.

انفتح الباب، ونظرت إليّ امرأة كانت ترتدي ثوبًا منزليًا، ثم مالت إلى الأمام وهي ترتكز في وقفته على عكاز مصقول من الخشب الأسود، وسألت: "ماذا تريد يا عزيزتي؟".

ومع قدرتي على كشف سحرها الذي تتوارى خلفه، لاحظت لوئًا أخضر على بشرتها وأسنانها الضخمة بشكل يشبه مادوك؛ كفيلي، والشخص الذي قتل والدي، والشخص الذي قرأ لي

إستراتيجياتها الحربية، والذي كان من قبل القائد الأعلى لجيوش الملك السامي. وقد بات الآن عدوًا للتاج إلى جانب استيائه مني.

وكنت أمل أن يتسبب هو والملك السامي كاردان, معًا, في إفساد حياة أحدهما الآخر.

قلت لها وأنا ممسكة بالمبرّد: "أحضرت لكِ بعض الهدايا، فهل يمكنني الدخول؟ أريد أن أعقد معكِ صفقة".

قطبت جبينها قليلًا.

قلت لها: "لا يمكنكِ الاستمرار في الأكل العشوائي لمعشر الجان دون أن يرسلوا إليك أحدًا لمحاولة إقناعكِ بالتوقف".

ردت في ابتهاج ومرح: "ربما من الأفضل أن آلكِ أنتِ أيتها الصغيرة الجميلة"، لكنها تراجعت قليلًا لكي تسمح لي بالدخول. أعتقد أنه لا يسعها أكلي في الردهة الخارجية!

كانت شقتها جميلة وأنيقة الطراز، ذات سقف شديد الارتفاع، وجدران حجرية. وكانت أرضياتها مصقولة ولامعة، ونوافذها كبيرة يدخل من خلالها الضوء، وتطل على مشهد جميل للمدينة، ومفروشة بأثاث قديم - على الرغم من وجود تمزق في بعض قطع الأثاث - وعلامات لعلها نتجت عن قطع طائش لها بالسكين.

كانت هناك رائحة تشبه رائحة الدم تغطي المكان، رائحة نحاس معدنية تبعث على الغثيان. ثم وضعت الهدايا على مائدة خشبية ضخمة.

وقلت لها: "هذه هدية لكِ، على أمل أن تتغاضي عن وقاحتي لقدومي المفاجئ".

أخذت تشتم رائحة اللحم، وتقلب شطيرة العسل في يدها، وتفتح غطاء زجاجة المشروب بقبضتها. ثم تناولت شربة منه، وألقت نظرة فاحصة عليّ.

قالت جريما موج: "لقد علمك أحدهم فنون المجاملة. لكنني أتساءل عن سبب إرسالهم لك أيتها الماعز الصغيرة، يبدو واضحًا أنك قربان أرسل لي على أمل إرضاء شهيتي بلحم بشري فان"، وابتسمت كاشفة عن أسنانها، وأظن أنها قد تخلت عن سحرها في تلك اللحظة، لكن لأنني كشفت سحرها من الوهلة الأولى، لم أستطع الجزم بذلك.

رمشت بعيني، ففعلت مثلي في انتظار واضح لرد فعلي.

أعتقد أنني ضايقته بعدم صراخي وركضي نحو الباب، فقد كانت تتطلع إلى مطاردي أثناء ركضي.

قلت لها: "أنت جريما موج، قائدة الجيوش، وقاهرة الأعداء. فهل تريدين حقًا أن تقضي فترة تقاعدك بهذه الصورة؟".

رددت مستنكرة: "تقاعد؟!، لقد رددت كلمتي كما لو كنت قد وجهت إليها إهانة مميتة، وواصلت تقول: "على الرغم من إقصائي، لكنني سأجد جيشًا آخر كي أقوده. جيشًا أضخم من السابق".

في بعض الأحيان أقول لنفسني مثل هذا الكلام، وقد بدا غير منطقي عند سماعي إياه من فم شخص آخر. لكنه أمدني بفكرة جيدة، فقلت لها: "حسنًا، سيفضل الجان المحليين ألا تأكلي أيًا منهم بينما تخططين لخطوتك التالية، وبالطبع باعتباري بشرية، فإنني أفضل ألا تأكلي المخلوقات البشرية الفانية - بل إنني أشك في أنهم قد يمدونك بما تشتتهينه على أية حال".

نظرت إليّ في انتظار أن أواصل كلامي.

قلت لها وأنا أفكر في كل ما أعلمه عن جان القبعات الحمراء: "تحدّ... هذا ما تريدينه، أليس كذلك؟ مبارزة جديرة بك. أراهن أن الجان الذين قتلتهم لم يكونوا مميزين. وهذا إهدار لمواهبك".

لكي تُعيد جريما موج تنظيم الأمور، وفي محاولة منها لمعرفة الجهة التي أعمل لحسابها، سألتني أخيرًا: "من أرسلك؟".

لكنني بادرتها بسؤال: "ماذا فعلتِ وتسبب في إغضابها؟ أقصد مَلكتكِ، لا بد أنك ارتكبتِ خطأ فادحًا تسبب في طردك من بلاط الأنبياء".

زمرجت وهي تسأل في غضب: "من أرسلكِ؟"، أعتقد أنني قد لمست وترًا حساسًا لديها، وتلك هي أفضل مهاراتي.

حاولت ألا أبتسم، لكنني كنت قد افتقدت منذ فترة الشعور بالقوة الذي يسري فيَّ عند لعبي مثل ألعاب الحيل والتخطيط هذه. ويؤسفني أن أعترف بهذا لكنني افتقدت أيضًا المخاطرة بقطع رقبتني، حيث لا يوجد مجال للندم عندما يكون المرء مشغولًا بالفوز، أو على الأقل النجاة من الموت. وأجبتها: "لقد أخبرتكِ، معشر الجان المقيمون هنا الذين لا يريدون أن يُؤكلوا".

سألتني: "لماذا أنتِ؟ لماذا يرسلون إليَّ فتاة نكرة مثلك لمحاولة إقناعي بأي شيء؟".

من خلال تفحصي الغرفة، وجدت صندوقًا مستديرًا موضوعًا فوق الثلاجة؛ صندوقًا قديم الطراز للقبعات، وقد لفت انتباهي، ثم أجبتها: "ربما لأنني لن أمثل لهم شيئًا إذا فشلت".

عندها ضحكت جريما موج، ورشفت رشفة أخرى من المشروب اللاذع: "أنتِ شخص قَدري، كيف ستقنعيني إذن؟".

مشيت حتى المائدة، والتقطت بعض الطعام، وبحثت عن حجة لكي أقترب من صندوق القبعات، وقلت لها: "أولًا عبر إزاحة مشتريات البقالة جانبًا".

بدا على وجه جريما أنها متجاوبة معي، وهي تقول: "أفترض أن سيدة عجوزًا مثلي يمكنها أن تستعين بشابة صغيرة مثلك لتأدية بعض المهام في المنزل، لكن انتبهي، فقد تجددين في

الثلاجة ما هو أكثر مما تعاقدتِ على إتمامه، أيتها الماعز الصغيرة".

فتحت باب الثلاجة، وظهرت أمامي بقايا مَنْ قتلتهم من الجان. كانت تجمع الأذرع والرءوس، وتحفظهم بطريقة ما على نحو مخبوز ومشوي، وقد وضعتهم كما توضع بقايا الأطعمة المتبقية بعد احتفالية كبيرة. أصابني الغثيان الشديد لرؤية المنظر.

رأيت على وجهها ابتسامة شريرة تتسع لتماماً وجهها، وقالت: "أعتقد أنك كنتِ تأملين أن أدخل معك في تحدي مبارزة؟ وعزمتِ انتِ على أن تتباهي أمامي بمدى مهارتكِ في المبارزة؟ والآن ترين بعينيك ما الذي قد يعنيه أن تخسري في مواجهة جريما موج".

أخذتُ نفساً عميقاً، وبعدها قفزت وأسقطت صندوق القبعات من فوق الثلاجة ليقع بين يدي.

صاحت وهي تنهض مندفعة، بينما أنزع غطاءه: "لا تلمسيه!".

وكانت هناك: القبعة. مغمورة بطبقات وطبقات من الدماء الحمراء.

كانت جريما موج قد قطعت نصف المسافة نحوي، وهي كاشفة عن أسنانها، عندما أخرجت قداحة من جيبي، وأشعلتها بإبهامي، وتوقفت جريما موج فور رؤيتها النار.

قلت لها، وأنا أرجو ألا تهتز يدي وألا ينطفئ اللهب: "أعلم أنكِ قضيتِ سنوات طويلة في إضافة طبقات من الدماء على تلك القبعة. ربما تحمل دماء منذ أول مرة قتلتِ فيها وحتى آخر مرة. ومن دونها لن تبقى هناك أية ذكرى لانتصاراتك السابقة أو لأي شيء. والآن أنا أريد منك أن تعقدي معي صفقة. اقسمي بعدم الإقدام على القتل، سواء أكان القتل لأفراد من معشر الجان أو البشر طوال فترة إقامتك في هذا العالم الفاني".

وأكملت جريما موج عبارتي قائلة: "وإذا لم أفعل، فستحرقين كنزي"، ثم أضافت: "إن هذا الفعل لا ينطوي على أي شرف".

قلت: "أظن أن بإمكانني أن أعرض مبارزتك، لكنني على الأرجح سأخسر. وبهذه الطريقة سأفوز".

أشارت جريماً موج بطرف عكازها الأسود نحوي، وقالت: "أنتِ ابنة مادوك البشرية، أليس كذلك؟ ووكيعة الملك السامي الجديد التي نُفيت وألقيت خارج البلاط مثلما حدث معي".

أومأت برأسي، وقد شعرت بالضيق لتعرفها عليّ.

ظهرت على وجهها ابتسامة رضا، وسألته: "ماذا فعلت؟ لا بد أنك ارتكبت خطأ فادحاً".

قلت لها معترفة بخطئي: "لقد كنت حمقاء، تخليت عن طائر بين يديّ لكي أحصل على اثنين فوق الشجرة".

أطلقت ضحكة مدوية، وقالت: "حسناً، ألا نمثل معاً ثنائياً جيداً يا ابنة جني القبعات الحمراء؟ لكن القتل يجري في دمي وعظامي، ولا أنوي التخلي عنه. وإذا كنت سأبقى عالقة في هذا العالم الفاني، فإنني أنوي أن أنعم ببعض المرح".

قربت اللهب من القبعة، وبدأ قاع القبعة يسود، وامتلاء المكان براحة كريهة.

صاحت: "توقفي!" ونظرت إليّ نظرة تحمل كرهاً خالصاً، ثم واصلت كلامها: "يكفي هذا، دعيني أقدم لك عرضاً أيتها الماعز الصغيرة: نتبارز، وإذا خسرت تعيديني لي القبعة دون أن تحرقها، وأستمر أنا في الاصطياد كما أفعل، وتعطيني أصبعك الصغير".

سألته وأنا أبعد النار عن القبعة: "لكي تأكليها؟".

ردت: "إن شئت، أو ربما لكي أضعه كدبوس زينة لملابسي، فيم يهكم ما سأفعل به؟ المهم أنه سيصبح ملكي".

سألته: "ولماذا أوافق على هذا؟".

أجابت: "لأنك إذا انتصرت، فستحصلين على القسم الذي تريدينه مني، وسأخبرك بأمر مهم يتعلق بالملك السامي".

أجبت بسرعة وحدة شديدتين: "لا أريد أن أعرف أي شيء عنه"، فلم أكن أتوقع أن تأتي على ذكر كاردان.

ضحكت هذه المرة ضحكة خافتة، وقالت: "أيتها الكاذبة الصغيرة".

حدقت كل منا إلى وجه الأخرى لوهلة، وكانت نظرة جريما موج مطمئنة، إذ كانت تعلم أنها قد أقنعتني، وأني سأقبل بشروطها. وأنا أيضًا أعلم هذا على الرغم من سخافة العرض. إنها أسطورة، ولا أعلم كيف لي أن أنتصر عليها. لكن اسم كاردان كان يرن في أذني.

هل أصبح لديه وكيل جديد للملك؟ وهل صارت لديه محبوبة جديدة؟ هل يذهب إلى اجتماعات المجلس الاستشاري بنفسه؟ وهل يتحدث عني؟ وهل يسخر هو ولوك مني؟ وهل تضحك تارين؟

قلت لها وأنا أبعد عن رأسي أي خاطر آخر: "سنتبارز إلى أول إصابة تريق الدماء"، ومن الرائع أن أجد شخصًا أصب عليه غضبي، وقلت لها: "أنا لن أعطيك إصبعي، وإذا انتصرت، فستستعيدين قبعتك فقط لا غير. ثم أخرج حينها من هنا، إنني أقدم تنازلًا بخوضي المباراة".

مالت جريما موج نحو الأمام لتحفيز جسدها، وقالت: "إن تحديد أول إصابة تحدّ مثير للملل، دعينا نتفق على القتال حتى تنسحب إحدانا. أي في مرحلة ما بين بدء إراقة الدماء وزحف إحدانا مبتعدة لكي تموت في منزلها". وتنهثت كما لو كانت تتأمل فكرة مبهجة، ثم قالت: "أعطيني الفرصة لكي أكسر كل عظمة في جسدك الهزيل".

قلت لها وأنا أضع قبعتها في جيب والقداحة في الجيب الآخر: "إنك تغامرین بکبريائي".

لم تنكر وأجابت: "وهل كان هذا في محله؟".

إن أول إصابة ترييق الدماء هي بالفعل تحدُّ مثير للملل، ولن يحدث سوى أن تظل إحدانا تدور حول الأخرى تحيِّناً لفرصة الانقضاض، ولا يمثل هذا قتالاً حقيقياً. ومن ثم، وجدت إجابتي تندفع خارجة من حلقي: "حسنًا".

قالت وهي توجُّه طرف العكاز نحو السقف: "حسنًا، دعينا نصعد إلى السطح".

قلت لها: "حسنًا هذا أفضل".

ثم اتجهت ناحية الباب مع إطلاقها تنهيدة عميقة كما لو كانت امرأة عجوزًا تمامًا مثل مظهرها المخادع الذي تتوارى خلفه.

تبعتها إلى خارج شقتها ومررنا برواق خافت الأضواء، ومنه إلى درج أكثر خفوتًا، ما أثار أعصابي. وكنت أمل ألا أكون مخطئة فيما اتفقت عليه معها. كانت ترتقي درجات السلم كل درجتين معًا، ثم فتحت بقوة بابًا معدنيًا في أعلى الدرج. ثم سمعت صوت قعقعة الصلب أثناء استلالها سيقًا رقيقًا من عكازها، وارتسمت على شفتيها ابتسامة بشعة واسعة كشفت عن أسنانها الحادة.

جذبت السكين الطويلة التي كنت قد خبأتها في حذائي ذي الرقبة. صحيح أن طولها لا يصل إلى مدى بعيد، لكنني لا أملك القدرة على سحر الأشياء، ولن يمكنني حتى ركوب دراجتي والتنقل بها بسهولة إذا كنت سأحمل سيفي قاهر الظلام على ظهري.

ومع ذلك، تمنيت في تلك اللحظة لو كنت أعرف طريقة لفعل ذلك.

وطئت قدمي سطح البناية الأسفلتي. وقد بدأت الشمس في الشروق، وصبغت السماء باللونين الوردي والذهبي. هبت نسمة هواء باردة فحملت معها رائحتي الإسمنت والقمامة، إلى جانب رائحة نبات عصا الذهب القادمة من منتزه مجاور.

تسارعت ضربات قلبي لما يضطرم داخلي من مشاعر الذعر والحماس. وعندما اتجهت جريماً موج نحوي، كنت مستعدة فتفاديتها، وفعلتُ هذا مرة بعد أخرى، ما أثار انزعاجها.

ثم زمجرتُ تقول: "لقد قطعيتُ وعدًا بخوض قتال حقيقي"، لكنني استشعرت على الأقل كيفية تحركها. أعلم أنها متعطشة للعنف وإراقة الدماء، وأعلم أنها معتادة مطاردة فريستها، فقط كل ما أرجوه أن تكون ثققتها بنفسها زائدة على الحد حتى ترتكب أخطاء عند مواجهتها لشخص يمكنه أن يبادلها القتال.

هذا أمر غير مرجح لكنه ممكن على أية حال.

عندما اندفعت نحوي ثانية، قمت بالدوران حول نفسي، وركلت ركبتيها من الخلف بالقوة الكافية التي أوقعتها أرضاً. فقامت وزمجرت وهي تندفع نحوي بأقصى سرعتها. وللحظة أصابتنني رؤية الفراء على وجهها وتلك الأسنان البشعة بخوف مريع شل حركتي.

صرخ عقلي: إنها وحش!

تُضغط على أسناني لكي أطررد رغبتني في تفاديتها، ولمع النصلان حينما التقيا في ضوء النهار البازغ. التقى النصلان معاً وكان لهما صليل عالٍ ونحن نتقاتل فوق سطح المبنى، وتحسنت حركة قدمي مع الكر والفر وبدأ العرق يتقاطر فوق حاجبي وتحت إبطيني، وكانت أنفاسي تخرج ساخنة وظاهرة كغمام في هذا الهواء البارد.

من الجيد على أية حال أن أقاتل شخصاً آخر بخلاف نفسي.

ضاقت عينا جريماً موج وهي تراقبني، وتبحث عن نقاط ضعفي. وكنت مدركة لكل تصحيح للحركات القتالية علمني إياه مادوك، وكل عادة قتالية سيئة حاول الشبح أن يخلصني منها. ثم بدأت تسدد لي مجموعة من الضربات الوحشية في محاولة لدفعي نحو حافة المبنى. تراجعت في محاولة مني للدفاع عن نفسي في مواجهة هذه الثورة، وفي مواجهة نصل سيفها الطويل. لقد كانت تقاتلني بتحفظ في البداية لكنها لم تعد كذلك.

ومرة بعد أخرى أخذت تدفعني نحو الحافة، وكنت أقاتل بعزم شرس وحبات العرق تنساب على ظهري.

ثم اصطدمت قدمي بماسورة معدنية بارزة من خلال الأسفلت، فتعثرت وهاجمتني جريماً موج في اللحظة نفسها. تنحيت جانباً، وهذا كل ما استطعت فعله لتجنب اختراق نصلها لجسدي، وقد كلفني هذا سكينني التي طارت من فوق سطح المبنى، وسمعتها وهي ترتطم بأرض الشارع في الأسفل محدثة دويًا مكتومًا.

ما كان ينبغي لي قط القبول بتلك المهمة، وما كان ينبغي لي قط الموافقة على القتال، وما كان ينبغي لي قط قبول عرض كاردان بالزواج، وحينها ما كان ليتم نفيي إلى العالم الفاني.

لقد أمدني الغضب بشحنة من الطاقة، فاستعنت به على الابتعاد عن مسار حركة جريماً موج، وتركت ضربتها بالنصل تتجاوزني. ثم سدت لها ضربة قوية بكوعي في ذراعها، وأمسكت بمقبض سيفها.

صحيح أنها حركة قتالية لا تتسم بالشرف، لكنني لم أتسم بتقدير شرف النزال والخصومة منذ وقت طويل. إن جريماً موج شديدة القوة، لكنها أيضاً فوجئت وترددت للحظة، ثم ضربت رأسي بجبينها، وأصابني الدوار، لكنني كدت أستل منها سيفها.

كدت أخذه.

كانت الضربة لرأسي شديدة، وجعلتني أشعر بالدوار.

كانت كل منا تتنفس بصعوبة، وشعرت بأن رئي متيبستان. ثم قالت لي: "هذا غش يا فتاة".

قلت لها: "أنا لست فارسة"، وتأكيدياً على ما قالتها التقطت السلاح الوحيد الذي أراه أمامي: ماسورة معدنية. كانت ثقيلة وبلا أية حواف، لكنه كان الشيء الوحيد المتاح، وعلى الأقل

أطول من السكين.

ضحكت وقالت: "كان عليك أن تستسلمي، لكنني مبتهجة لأنك لم تفعلي".

قلت لها: "أنا من النوع المتفائل". وعندما ركضت اتجاهي كانت تركض بأقصى سرعتها، لكن تمكّني منها في ذلك الوضع كان أسهل من تمكّنها مني. ثم دارت إحدانا حول الأخرى حيث كانت هي تهجم، بينما أقف أنا وبين يديّ الماسورة التي كنت أؤرجحها مثل مضرب لعبة البيسبول. وكنت أرجو أن يحدث الكثير من الأمور، لكن أكثر ما كنت أرجوه هو أن أوقعها من فوق سطح المبنى.

لكن طاقتي كانت تضعف، ولست معتادة على وزن الماسورة، ومن الصعب عليّ المناورة لوقت أطول.

كانت تلافيف مخي تناشدني، وتقول استسلمي وانسحبي، بينما لا تزالين واقفة على قدميك. أعطيتها القبعة، وانسي أمر المال. يمكن لفيفي أن تسحر أوراق الشجر وتحولها إلى نقود، هذه المرة فقط، ولن يمثل الأمر مشكلة حقيقية. تذكرني أنك لا تحاربي من أجل مملكة، وأنت قد خسرت بالفعل.

خطت جريماً موج اتجاهي وهي تستشعر يأسى، واستعرضت مهارتها بضربات سريعة وعدوانية أملاً في تحين الفرصة المناسبة.

كان العرق يتصبب من جبهتي ويؤلم عينيّ.

وصف مادوك لي النزال بالكثير من الأمور، كلعبة إستراتيجية تدور رحاها سريعاً، وكرقصة، لكن في الوقت الحالي يبدو لي كمناوشة تواصل فيها جريماً شغلي بالدفاع عن نفسي لكي تحرز أية نقاط.

وعلى الرغم من إجهاد عضلاتي، أمسكتُ الماسورة بيد واحدة، وأخرجت قبعتها من جيبي باليد الأخرى.

سألتنِي: "ماذا تفعلين؟ لقد قطعْتِ عهدًا...".

ألقيت بالقبعة في وجهها، فأمسكت بها، وقد تشتت انتباهها، وفي تلك اللحظة طوحت الماسورة باتجاهها بكل ما لديّ من قوة.

أصابت ضربتي كتفها، فسقطت وهي تصرخ من الألم. ثم ضربتها ثانية في ذراعها الممتدة ما أزاح سيفها بعيدًا عنها، وأخذ يدور فوق أسفلت سطح المبنى.

ثم رفعت الماسورة لكي أضربها بها مرة أخرى.

نظرت جريماً موج إليّ وهي راقدة على الأسفلت، وقد غطت الدماء أسنانها الحادة، وكانت الصدمة بادية على وجهها، وأخيراً قالت: "أستسلم".

أنزلت الماسورة في يدي، وقلت لها: "أتفعلين؟".

قالت وهي تضغط على أسنانها، وتدفع نفسها للوقوف: "نعم أيتها المخادعة، لقد تفوقت عليّ والآن ساعديني على النهوض".

أسقطت الماسورة، واقتربت منها وأنا متوجسة من أن أجدها تستل سكينًا وتغرزها في جنبي. لكنها لم ترفع سوى يدها الخاوية لكي أساعدها على النهوض على قدميها. ثم وضعت قبعتها على رأسها، واتكأت على ذراعي وضغطت بذراعها السليمة على الذراع الأخرى المصابة.

"لقد عقد بلاط الأنياب تحالفًا مع الجنرال الأعلى العجوز - والدك - ومجموعة كاملة من الخونة الآخرين، حيث علمتُ من مصدر موثوق أن ملكك السامي سيتم خلعُه قبل الاكتمال التالي للقمر. فما رأيك في تلك الأخبار؟".

سألتها: "ألهدا السبب رحلتِ؟ لأنك لم تريدي أن تصبجي خائنة؟".

"رحلت بسبب ماعز أخرى صغيرة مثلك. والآن ارحلي، كان ما حدث ممتعًا أكثر مما توقعت، لكنني أعتقد أن مبارزتنا كانت متقاربة".

ترددت كلماتها في أذني. ملك السامي سيتم خلعه. وقلت لها بصوت خرج غليظًا من حلقي: "لا تزالين تدينين لي بتعهد".

وفوجئت بها عندما أقسمت وتعهدت لي بعدم الاضطهاد مجددًا في أرض البشر الفانيين.

ثم صاحت بي وأنا متوجهة نحو الدرج: "تعالى لمنازلتى ثانية، فلدي الكثير من الأسرار. إنك لا تعرفين الكثير منها يا ابنة مادوك. وأعتقد أنك تتوقين فعلاً إلى وجود بعض العنف في حياتك".

الفصل 3

تبيست عضلاتي من فورها، كما أن فكرة قيادتي الدراجة وصولاً إلى المنزل جعلتني أشعر بمزيد من الإعياء، حتى إنني كدت أرقد على الرصيف عوضاً عن ذلك، وفي النهاية استقلت الحافلة، حيث تلقيت الكثير من النظرات المستاءة من الراكبين نافدي الصبر أثناء ربطتي الدراجة على الحامل الخاص بالدراجات في مقدمة الحافلة، لكن عندما لاحظ الناس أنني أنزف، قرروا إكراماً لي أن يتجاهلونني.

إن إحساسي بمرور اليوم يتناسب بشكل غريب مع تقاليد عالم البشر. ففي عالم الجان يعد الوصول إلى المنزل وقت الفجر وأنت في حالة إعياء وربما غياب عن الوعي مماثلاً لوصولك إلى منزلك على الحال نفسها ولكن عند منتصف الليل في عالم البشر. ويعد وقت الفجر في عالم البشر وقتاً مفيداً ومحبباً بالنسبة إلى معتادي النهوض مبكراً، وليس للأشخاص المتكاسلين عديمي الجدوى. كانت هناك سيدة مسنة ترتدي قبعة زهرية أنيقة ناولتني بعض المناديل الورقية دون تعليق منها على حالتي، وكنت ممتنة لصنيعها هذا. استخدمت المناديل في تنظيف نفسي قدر استطاعتي، وخلال بقية الرحلة كنت أنظر من نافذة الحافلة إلى السماء الزرقاء، وأنا أشعر بالألم والرتاء لنفسي. بحثت في جيوبي عن مسكّن للألم، ووجدت أربعة أقراص، تناولتها جميعاً دفعة واحدة، وكان مذاقها مُراً.

ملك السامي سيتم خلعه قبل الاكتمال التالي للقمر. ما رأيك في تلك الأخبار؟

حاولت أن أقول لنفسي إن هذا الكلام لا يهمني، وأنه يجب عليّ أن أشعر بالسعادة إذا انتهى الأمر بهزيمة إلفهايم، كما أن كاردان محاط بالكثيرين ممن يمكن أن يحذروه مما سيقع؛ فهناك مجلس الظلال، ونصف الجيش بقي مع كاردان، وحكام ممالك البلاط الأدنى، وقد أقسموا له جميعاً بالولاء. بالإضافة إلى مجلس المستشارين كاملاً، بل وكيل الملك الجديد، في حال قام بتعيين شخص آخر بديلاً لي.

أنا لا أريد أن أفكر في أن هناك شخصًا آخر يشغل مكاني إلى جوار كاردان، لكن عقلي شرد وهو يفكر في كل الخيارات السيئة. لا يمكن أن يكون قد اختار نيكاسيا لأنها بالفعل سفيرة لمملكة البحار، ولم يكن ليختار لوك لأنه بالفعل يشغل منصب مسئول حفلات الترفيه ولأنه شخص لا يُحتمل، ولم يكن ليختار السيدة آشا لأنها... لأن أداءها هذه المهمة سيكون مريبًا، وسترى الوظيفة مملة، وستستغل نفوذ ابنها الملك بما يحقق لها أقصى استفادة. لا بد أن كاردان أذكى من أن يختارها. لكنه ربما لا يكون بهذا الذكاء؛ لأنه يتهور في بعض الأحيان، وربما سيجعل هو ووالدته الخبيثة الطائشة من سلالة جرينبريال والتاج الدموي مثيرًا لسخرية الجميع في عالم الجان. ومن ناحية أخرى إنني آمل أن يكونا قد فعلا هذا، وآمل أن يشعر الجميع بالندم على ما جرى لي وبخاصة هو.

وعندها سيتجه مادوك إلى القصر ويستولي على العرش.

ضغطت بجبهتي على الزجاج البارد للحافلة، وذكّرت نفسي بأن تلك ليست مشكلتي، وبدلاً من محاولة عدم التفكير في كاردان - وفشل محاولتي - حاولت ألا أفكر على الإطلاق.

استيقظت على حركة شخص يهز كتفي، وهو ويقول: "أيتها الصغيرة"، ثم ارتسم القلق على ملامح وجه سائق الحافلة وهو يكرر ثانية: "أيتها الصغيرة؟".

فيما مضى كنت سأستل السكين من فوري، وأضغط بها على رقبة الشخص قبل أن يتم كلامه، لكنني أدركت أن سكينني ليست معي، فقد نسيت أن أبحث عنها خارج بناية جريما موج وأستعيدها.

قلت بلهجة غير مقنعة وأنا شبه نائمة: "أنا مستيقظة"، وفركت وجهي بإحدى يدي.

قال السائق في عبوس: "للحظة ظننت أنك توفيت، لقد نزلت كثيراً، هل أتصل بأي شخص؟".

قلت له: "أنا بخير"، ثم أدركت أن الحافلة أصبحت شبه خاوية، فسألته: "هل فاتتني محطتي؟".

وأجاب: "إننا واقفون فيها"، ونظر لي كما لو كان مصرًا على جلب المساعدة لي، وبعدها هز رأسه وقال وهو يتنهد: "حسنًا، لا تنسي دراجتك".

أصابني تيبس العضلات من قبل، لكن ليس مثل هذه المرة. لقد كنت أجرد قدمي وأنا أسير كما لو كنت واحدة من عشيرة الأشجار في عالم الجان ترفع أطرافها لأول مرة عن الأرض. وتعثرت أصابعي خلا إنزال الدراجة عن مقدمة الحافلة، ثم لاحظت بقعة حمراء صدئة على أصابعي. وتساءلت عما إذا كنت قد مسحت من فوري الدماء عن وجهي أمام سائق الحافلة، ثم لمست وجنتي دون وعي مني، لا يمكنني الجزم.

لكني أنزلت الدراجة، واستطعت المرور بها عبر المرج العشبي باتجاه البناية حيث شقتي. ونويت أن أترك الدراجة بين أجمة من الأشجار مع أنها قد تتعرض للسرقة. وقد ساعدني استقرار على هذا الخيار على اجتياز ما تبقى من المسافة نحو منزلي حتى لمحت امرأة تجلس عند مدخل البناية. كان شعرها وردي اللون يتألق مع ضوء الشمس، وقد رفعت باتجاهي كوبًا من الورق المقوى به قهوة كانت تشرب منه على سبيل التحية.

أبقيت على مسافة بيني وبينها - فنظرًا للطريقة التي كان سائق الحافلة ينظر بها إليّ بدا إظهاره لجروحي الحديثة وكدماتي للآخرين كفكرة سيئة - وتساءلت متعجبة: "هيدر؟".

أجابتنني: "نعم. أنا أحاول استجماع شجاعتي لكي أطرق الباب".

قلت وأنا أميل الدراجة لتركها على العشب، إذ بدت لي أجمة الأشجار الآن بعيدة جدًا: "آه، حسنًا، تعالي معي و...".

قالت: "لا!"، ثم أدركت مدى علو صوتها فخفضته، وقالت: "لا أعلم إذا كنت سأدخل اليوم أم لا".

نظرت إليها مرة أخرى وأدركت مدى التعب البادي عليها، ومدى شحوب اللون الوردى في شعرها، كأنها لم تكلف نفسها عناء إعادة صبغه. سألتها: "لكم من الوقت ظللت هنا في الخارج؟".

أشاحت ببصرها بعيدًا، وقالت: "ليس لفترة طويلة، إنني آتي إلى هنا في بعض الأحيان". وبتنهيدة، تخليت عن فكرة إخفاء ما تعرضت له من جروح. وسرت تجاه الدرج، وجلست فقد كنت متعبة جدًا بحيث لم أتمكن من البقاء واقفة.

وقفت هيذر لتسألني: "جود؟ يا إلهي! ماذا حدث لك؟"، جفئت من علو صوتها الشديد.

قلت لأذكريها: "شششش! أظن أنك لا تريد أن تعلم فيفي بوجودك هنا. على أية حال، إن الجروح ليست بالسوء الذي تبدو عليه، أنا فقط أحتاج إلى الاستحمام وبعض الضمادات، وبالطبع لنوم عميق".

وبطريقة جعلتني أعتقد أنها لا تصدقني قالت: "حسنًا، دعيني أساعدك على الدخول، ولا تشغلي بالك إذا صادفت أختك أو أي شيء من هذا القبيل. إنك مصابة، وما كان يجب عليك أن تقفي للتحدث معي!".

هزرت رأسي وأنا أرفع يدي لرفض عرضها، وقلت: "سأكون بخير، فقط اتركيني جالسة بعض الوقت".

حدقت إلى وجهي وهي تصارع رغبتها في تأجيل المواجهة الحتمية مع فيفي لفترة أطول، وقالت: "ظننت أنك لا تزالين في ذلك القصر؟ هل تعرضت للأذى هناك؟".

قلت لها: "أرض الجان؟"، أنا أحب هيذر، لكنني لن أتظاهر بعدم وجود العالم الذي نشأت فيه لمجرد كراهيتها ما يمثله. واستطردت: "لا، هذا حدث هنا. إنني أقيم مع فيفي، في

محاولة مني لفهم وتديير الأمور، لكنك إذا انتقلت للإقامة إلى هنا، يمكنني أن أقضي معظم وقتي خارج المنزل."

خَفَضت بصرها، ونظرت إلى ركبتيها، وقضت طرف ظفرها، وهزت رأسها ثم قالت: "قد تكون محبة الآخرين حماقة؛ لأن ما يفعله الناس عادة هو جرح بعضهم قلوب بعض".

قلت لها: "صحيح"، وفكرت ثانية في كاردان، وكيف سرت مباشرة نحو الشرك الذي نصبه لي، كما لو كنت حمقاء لم تسمع قط في حياتها كلامًا معسولًا ومخادعًا. وبصرف النظر عن مقدار السعادة التي أرجوها لأختي فيفي في المستقبل، لكنني في الوقت نفسه لا أريد أن ترتكب هيذر حماقة ذاتها، فقلت: "صحيح لكن لا، قد يكون الحب والوفاء لأصدقائنا المقربين شديد حماقة أحيانًا، لكنك لست حمقاء. أنا أعلم أمر الرسالة التي أرسلتها إلى فيفي، ولا يمكنك أن تواصل حياتك بهذا الشكل".

ارتشفت هيذر رشفة طويلة من كوبها الورقي، وقالت: "تنتابني الكوابيس عن هذا المكان؛ أرض الجان، ولا أستطيع النوم. أنظر إلى الناس في الشوارع، وأتساءل عما إذا كانوا مسحورين، يحتوي هذا العالم على عدد كافٍ بالفعل من الوحوش ممن يريدون استغلالني أو إيذائي أو الاستيلاء على مقدراتي، ولا أحتاج لمعرفة المزيد عن عالم آخر كامل مليء بالوحوش".

سألتها: "إن، عدم معرفتك كانت أفضل؟".

قطبت وجهها، ثم سادت فترة من الصمت. وبعدها تحدثت وهي تتطلع بعيدًا، كما لو كانت تنظر إلى باحة انتظار السيارات: "لم أستطع أن أوضح لوالدي سبب الشجار بيني وبين فيفي، لكنهما يسألاني دائمًا عما إذا كانت تمضي وقتها مع صديقات أخريات، أو ما إذا كان وجود أوك معنا في الشقة نفسها صعبًا عليّ، كما لو كان يصعب عليّ تولي أمر طفل، دون أن يعرف حقيقته".

قلت لها: "إنه لم يزل طفلاً".

فَعَقَّبْتُ: "أنا أكره خوفي من أوك. أعلم أن هذا يؤدي مشاعره، لكنني أيضًا أكره قدراته السحرية التي يمتلكها هو وفيفي، إنه السحر الذي يمكنها استخدامه لحسم أي جدال لصالحها، قد يجعلني مقربة منها جدًا، أو يحوِّني إلى بطة! هذا دون النظر أصلًا في حقيقة الأسباب التي جعلتني أعتبرها صديقتي المقربة منذ البداية".

أطرقت برأسي في اهتمام وقلت لها: "تمهلي! ماذا؟".

استدارت هيذر تجاهي، وقالت: "هل تعلمين ماذا يجذب البشر بعضهم لبعض؟ حسنًا، لا أحد يعلم. لكن العلماء درسوا هذا الأمر، هناك أمور غريبة تتعلق بالفيرمونات وتماثل الملامح والظروف التي يتم اللقاء الأول فيها. إن البشر غرباء الأحوال، وربما لا يسعني وقف انجذابي إليها وتقربي منها تمامًا مثلما لا يستطيع الذباب التوقف عن الانجذاب إلى النباتات الآكلة له".

أصدرت صوتًا ينم عن عدم تصديقي، بينما ترددت في عقلي كلمات بالكين: لقد سمعتُ أن مشاعر الحب بالنسبة للبشر الفانين تشبه كثيرًا مشاعر الخوف، لعله كان مصيبًا فيما قال أكثر مما أردت تصديقه.

ولعل هذا القول صائب بشكل خاص فيما يتعلق بمشاعري تجاه كاردان؛ لأنني لم أمتلك قط سببًا وجيهًا لوجود أية أحاسيس لديّ تجاهه.

قالت هيذر: "حسنًا، أعلم أن كلامي يبدو سخيًّا، وأشعر أنا نفسي بالسخف، لكنني أيضًا أشعر بالخوف، وما زلت أعتقد أنه يتعين علينا دخول المنزل وتضميد جراحك".

قلت لها: "اطلبي من فيفي أن تعدك بعدم استخدام السحر معك، ويمكنني مساعدتك على أن تقولي كلمات معينة لإلزامها بتعهد ثم..." توقفت عن الكلام عندما رأيت الحزن باديًا

على وجه هيدر، ربما لأن تصديق الوعود بدا لها أمرًا صبيانيًا، أو ربما لأن فكرة إلزام فيفي بتعهد رغم أنفها يبدو أمرًا مرتبطًا بالسحر، ما بث في نفسها المزيد من الخوف.

أخذت هيدر نفسًا عميقًا، وقالت: "أخبرتني فيفي بأنها نشأت هنا في البداية وقبل مقتل والديك، وأنا آسفة لذكري هذا الكلام، لكنني أعلم أن لديها مشكلات نفسية فيما يتعلق بهذا الشأن. من البديهي أن تكون لديها مشكلات، فأني شخص في مكانها ستظهر لديه مشكلات من هذا النوع". والتقطت أنفاسها وانتظرت لمعرفة رد فعلي.

فكرت في كلماتها وأنا جالسة على السلم، والكدمات بادية عليّ إلى جوار جروحي الدامية: أي شخص في مكانها ستظهر لديه مشكلات من هذا النوع. كلا، لم يحدث هذا معي، أنا لم تظهر لديّ أية مشكلات.

أتذكّر فيفي وهي أصغر سنًا، كانت شديدة الغضب في كل الأوقات، وكانت تصرخ وتحطم ما تضع يدها عليه أيًا كان، وتصفعني في كل مرة أدع فيها مادوك يطوقني بذراعه. كانت تبدو كما لو كانت ستحطم المكان بأكمله فوق رءوسنا من شدة غضبها، لكن هذا كان منذ زمن بعيد، وقد تكيفنا جميعًا مع طبيعة حياتنا الجديدة، ولم يكن الأمر في نهاية المطاف سوى مسألة وقت.

تنفست هيدر عدة مرات باضطراب، وقالت: "المشكلة أنني أتساءل عما إذا كانت تتظاهر معي بذلك! تتظاهر أن حياتها قد سارت كيفما أرادت، وتتظاهر بأنها لم تكن تعرف لفترة طويلة من حياتها من تكون ولا من أين أتت".

مددت يدي إليها، وأمسكت يدها، وقلت: "لقد عاشت فيفي في أرض الجان فترة طويلة من أجلي وأجل تارين، لكنها لم ترد أن تعيش هناك، والسبب الذي دفعها أخيرًا للرحيل كان أنت؛ لأنها رأت فيك صديقتها الوحيدة الحقيقية من عالم البشر. صحيح أن فيفي اختارت الطريقة السهلة بعدم عرض ظروفها بشكل واضح، وكان لا بد أن تخبرك بحقيقة أرض الجان، وما كان يجب عليها قط أن تستخدم السحر معك - حتى إذا كان استخدامها له

نتيجة ذعرها - لكنك الآن أصبحت تعلمين حقيقة أمرها، وأعتقد أنه يتعين عليك الآن اتخاذ القرار بخصوص ما إذا كنتِ تستطيعين مسامحتها أم لا".

كانت على وشك أن تقول شيئًا ما، لكنها أوقفت نفسها، ثم حسمت أمرها وسألتني: "هل كنتِ لتسامحيها لو كنتِ في مكاني؟".

أجبتها وقد خففت بصري، ونظرت إلى ركبتيّ: "لست أدري، فأنا لست شخصًا متسامحًا وبالتحديد في هذه الآونة".

وقفت هيذر وقالت: "حسنًا، لقد استرحتِ قليلًا. والآن انهضي، فأنت تحتاجين إلى دخول منزلك والاستحمام ووضع مرهم نيوسبورين المسكن. وربما يستحسن أن تذهبي إلى طبيب، لكنني أعلم ردك مسبقًا".

قلت لها: "أنت محقة، محقة في كل شيء، فلن أذهب للطبيب"، ملت على جانبي في محاولة مني للوقوف على قدمي، وعندما حاولت هيذر مساعدتي سمحت لها بذلك، حتى إنني اتكأت بثقلي عليها بينما كنا نخرج معًا إلى أن وصلنا لباب الشقة. لقد تخليت عن كبريائي، وكما ذكرني بريرن فإنني لم أعد شخصية مرموقة على أية حال.

دخلنا أنا وهيذر عبر باب المطبخ، وتجاوزنا الطاولة التي يستقر فوقها وعاء أوك الخاص بحبوب الإفطار، ولم يزل فيه نصف الحليب بلونه الوردى، كما كان هناك فنجانان من القهوة موجودان إلى جوار علبة حبوب الإفطار. وانتبهت إلى عدد الفناجين قبل أن يضيفي مخي معنى على تلك التفصيلة الصغيرة، وبينما كانت هيذر تساعدني على الدخول إلى غرفة المعيشة، أدركت أن لدينا ضيفًا.

كانت فيفي جالسة فوق الأريكة، وقد أشرق وجهها عند رؤيتها هيذر، وصارت في منتهى السعادة على الرغم من معرفتها للتوابع المنتظرة لهذا اللقاء، لكنها لم تهتم. ثم تحوّل بصري إلى المرأة الموجودة إلى جوارها، التي كانت تجلس بصورة رسمية في رداؤها الأنيق

الخاص ببلاط إلفهايم والمصنوع من خيوط القماش الرقيق والزجاج المغزول. كانت هذه هي تارين، شقيقتي التوأم.

الفصل 4

تدفق الأدرينالين في جميع أنحاء جسدي، على الرغم من أوجاعي وكدماتي وتيبُّس حركتي. وددت لو وضعت يدي حول رقبة تارين، وضغطت عليها إلى أن ينفصل رأسها عن جسدها.

نهضت فيفي من مكانها ربما بسبب مظهري المريع، أو على الأرجح وجود هيذر إلى جوارِي.

وقلتُ أحدثُ شقيقتي التوأم بكل غضب: "يا أنتِ، اخرجي من هنا".

قالت تارين وهي تقف بدورها: "تمهلي قليلاً، أرجوكِ". الآن أصبحنا جميعاً واقفين ينظر بعضنا إلى بعض عبر غرفة المعيشة الصغيرة، كما لو كنا على وشك التشاجر.

"ليس هناك ما أريد سماعه من فمكِ الكذوب"، قلتها في سعادة لوجود هدف الآن يستحق أن أفرغ فيه كل الانفعالات التي أثارتهَا داخلي جريماً موج وهيدر، كررتُ كلامي قائلة: "اخرجي من هنا، وإلا سألقيكِ بنفسي خارج الشقة".

أجابت تارين في عناد: "هذه شقة فيفي".

ثم ذكّرني هيذر قائلة: "هذه شقتي أنا، وأنتِ مصابة يا جود".

قلت: "لا يهم، وإذا كنتم جميعاً تريدونها هنا، فسأخرج أنا إذن!"، وعندها استدرت ودفعت نفسي دفعاً للسير عائدة إلى الباب وصولاً إلى الدرج.

ارتطم الباب الشبكي المانع للحشرات، وبعدها وجدت تارين تقف أمامي، وكانت أطراف عباؤها تتحرك مع نسيم الصباح. لو أنني لم أكن أعلم كيف تبدو أميرات الجان لاعتقدت

أنها إحداهن. وللحظة بدا لي أننا من المستحيل أن نكون أختين، ناهيك عن كوننا توأمين متطابقين.

سألتنى: "ماذا حدث لك، يبدو أنك خضت قتالاً".

واصلت السير دون أن أنطق بكلمة. مع أنني لم أكن أعرف إلى أين سأذهب بوضعي الحالي من بطء حركتي وتيبس جسدي وأوجاعي. ربما أذهب إلى بريرن، وسيجد لي مكاناً لكي أبيت فيه حتى إذا لم أرض عن ثمن المبيت، بل إن مبيتي مع جريما موج نفسها سيكون أهون.

قالت تارين: "أحتاج إلى مساعدتك".

قلت لها: "لا، لا، قطعاً لا. مستحيل، إذا كان هذا سبب مجيئك هنا، فإنك الآن قد عرفت جوابي ويمكنك الرحيل".

سارت لتقف أمامي مجدداً ما جعلني أنظر إليها، وقالت: "فقط اسمعيني يا جود"، نظرت إليها، ولاحظت الحواف المموجة لردائها عند الخصر.

قلت لها: "مرة أخرى لا، لا لن أساعدك. ولا لن أسمع ما تريدني إيضاحه، فلم يتعين عليّ سماعك. إنها بحق كلمة رائعة، كلمة: لا. قولي أيّاً ما شئت من الهراء وأنا سأجيبك بلا وحسب".

ردت بسرعة: "لوك مات".

استدرت إليها فجأة. كانت السماء فوقنا مشرقة وزرقاء وصافية، والعصافير ينادي بعضها بعضاً من فوق الأشجار القريبة. وعلى مسافة منا كانت هناك أصوات بناء وزحام مروري. في تلك اللحظة، تمثلت المفارقة في الوقوف على أرض هذا العالم الفاني وسماع خبر فناء

كائن لا يُفترض به الفناء - جني كنت أعرفه وقد تقاربنا في فترة معينة - إنها حقًا مفارقة عجيبة.

هذا يبدو مستحيلًا حتى بعد كل ما رأيته، وسألته: "مات؟ هل أنتِ واثقة؟".

في الليلة السابقة لزواج لوك من تارين، طاردني هو وأصدقاؤه كمجموعة من الكلاب تطارد ثعلبًا. وقد أقسمت على الانتقام منه، لكنه إذا كان قد مات بالفعل، فلن أستطيع الانتقام منه أبدًا.

كما أنه لن ينظم مطلقًا حفلة أخرى بهدف إذلال كاردان، ولن يضحك مع نيكاسيا، ولن يتلاعب بي وبتارين لكي تصطدم إحدانا بالأخرى ثانية. ربما يتعين عليّ الشعور بالراحة لسماعي هذا الخبر بسبب كل ما تسبب فيه من مشكلات، لكنني فوجئت شعوري بالحزن عليه.

أخذت تارين نفسًا كما لو كانت تقوي من عزمها، وتحصن نفسها، وقالت: "لقد مات لأنني قتلته".

هزرت رأسي في ذهول كما لو كان ذلك سيساعدني على فهم ما تقوله: "ماذا؟!!!".

بدا عليها الحرج أكثر من أي شعور آخر، كما لو كانت تعترف بارتكابها حادثًا أحمق وليس بقتل زوجها. وتذكرت بانزعاج منظر مادوك وهو واقف أمام ثلاثة أطفال يصرخون بعد تقطيع جسدي والديهما، وكانت الدهشة تملو وجهه كما لو أنه لم يقصد أن يصل الأمر إلى هذا الحد. وتساءلت في نفسي عما إذا كان هذا ما تشعر به تارين.

لقد علمت منذ البداية أنني سأنشأ شبيهة بمادوك إلى درجة مزعجة، لكنني لم أعتقد قط أن تارين ومادوك يشبه أحدهما الآخر بأية حال من الأحوال.

قالت تارين: "كل ما أحتاج إليه منك أن تتظاهري بأنك أنا، وهذا لساعات قليلة فقط"، أنهت تارين كلامها دون أن تشعر بأي اضطراب لكونها تقترح عليّ الحيلة الرديئة نفسها التي أتاحت لمادوك الاستئثار بنصف جيش كاردان، الحيلة ذاتها التي دفعتني إلى الموافقة على الخطة التي تسببت في نفيي خارج أرض الجان.

سألته: "لماذا؟، ثم أدركت أن سؤالي غير محدد، فوضّحت: "لا أسألك فيما يتعلق بانتحالي شخصيتك بل أسأل لماذا قتلته؟".

أخذت نفسًا عميقًا وبعدها نظرت اتجاه الشقة، وقالت: "تعالى إلى الداخل وسأخبرك، سأخبرك بكل شيء، أرجوك يا جود".

نظرت نحو البناية، وأقررت بيني وبين نفسي على مضمض بأنني ليس لديّ مكان آخر أذهب إليه؛ فلا أريد حقًا الذهاب إلى بريرن. بل أريد العودة إلى الداخل والاستراحة في فراشي. وعلى الرغم من إجهادي لم يسعني إنكار الجاذبية المؤرقة لاحتمالية تسليي إلى إلفهايم مجددًا بصفتي تارين. إن فكرة وجودي هناك ورؤية كاردان جعلت قلبي يخفق سريعًا. على الأقل لا يدري أحد بأفكاري، صحيح أنها أفكار حمقاء لكنها تظل ملكًا لي وحدي.

بالداخل كانت هيدر وفيفي واقفتين في زاوية في المطبخ بالقرب من إبريق القهوة، وتجري بينهما محادثة غاضبة لا أريد مقاطعتها، على الأقل فهما تتحدثان أخيرًا معًا وهذا شيء طيب بأية حال. توجهت إلى غرفة أوك، حيث توجد ملابس القليلة التي حشرتها في الدرج السفلي لخزانة الملابس، وتبعنتني تارين وهي مقطبة الجبين.

قلت لها: "سوف أستحم وأضع بعض المرهم، وفي غضون ذلك أعدّي لي بعضًا من شاي اليارو السحري المُداوي في المطبخ، وبعدها سأكون مستعدة لسماع اعترافك".

قالت تارين وهي تهز رأسها في انزعاج: "دعيني أساعدك في خلع ملابسك"، وعندما أوشكتُ على الاعتراض قالت: "ليست لديك مساعدة لتعاونك على خلعها".

فَعَقِبْتُ: "وليس لديّ سلاح كذلك حتى تصقله لي"، لم أمنعها عندما رفعت قميصي من فوق أطرافي المتقرحة، لكنه كان مشبعًا بالدماء المتجلطة فارتعدت عندما رفعته. نظرت إلى الجروح في جسدي لأول مرة وكانت حمراء ومنتفخة. أعتقد أن سيف جريما موج لم يكن نظيفًا كما كنت أمل!

فتحت تارين صنبور الاستحمام، وضبطت معدل تدفق المياه الدافئة، وبعدها ساعدتني على تخطي حافة المغطس لكي أقف أسفل دش المياه الدافئ. ولكوننا شقيقتين، فقد رأيت إحدانا الأخرى دون ملابس لعدد لا حصر له من المرات على مدار سنوات عمرينا، لكنها عندما حدقت ببصرها في ندبة كبيرة على رجلي، تذكرت أنها لم يسبق لها رؤيتها قبل ذلك.

قالت تارين بتأنٍ: "فيفي قالت شيئًا بخصوص الليلة السابقة لزفافي. لقد وصلت متأخرة، وعندما أتيت كنت هادئة وشاحبة الوجه ومصابة بالإعياء. وشعرث حينها بالقلق من احتمالية أنك لا تزالين تحملين للوك مشاعر ما، لكن فيفي أصرت على عدم صحة هذا الاحتمال، وقالت إنك قد تعرضت للأذى".

أومأت برأسي بالإيجاب وقلت: "أذكر تلك الليلة".

سألتنني وهي لا تنظر إليّ: "هل... فعل لوك شيئًا؟"، ووجهت نظرها إلى قرميد الحائط، ثم إلى رسم مؤطر رسمه أوك لهيذر بقلم شمع بني للون بشرتها ثم لون وردي للون شعرها.

أمسكتُ بغسول الجسد الذي اشتريته فيفي من متجر للمنتجات العضوية، والمفترض أنه مضاد حيوي طبيعي، ووضعت منه الكثير فوق الدماء المتجلطة. وكانت رائحته كرائحة المبييض ويلسع بشدة، وسألتها بدوري: "أنتقصدين أنه حاول قتلي؟".

أومأت تارين بالإيجاب ورأيت نظرة عينيها، فقد كانت تعلم الجواب بالفعل، ثم سألتني: "لماذا لم تقولي شيئًا؟ لماذا تركتني أتزوجه؟".

اعترفت لها: "لم أعلم، لم أكن أعلم أن لوك هو الذي قاد الهجوم عليّ حتى رأيتك ترتدين القرط الذي ضاع مني في تلك الليلة. وبعدها تم أخذي إلى أعماق مملكة البحار، وبعد عودتي بفترة بسيطة خنتني، ولهذا اعتقدت أن إخبارك بالأمر لم يعد مهمًا".

قطبت تارين جبينها، وكانت مُمزقة ما بين حاجتها لجدالي، ومسعاها للبقاء صامتة لكي تستعيدني إلى جانبها. وبعد قليل انتصرت حاجتها للجدل، فنحن توأم على أية حال، وقالت تارين: "لقد فعلتُ ما قاله والدي! لم أعتقد أن الأمر مهم. لقد كانت لديك كل تلك السُلطة، لكنك لم تستخدمها، ولم أرد قط إيذاءك".

أجبتها: "أعتقد أنني أفضل أن يطاردني لوك وأصداؤه في أنحاء الغابة على أن تطعنيني في ظهري مرة ثانية".

رأيتها وهي تمنع نفسها بصعوبة من قول أي شيء آخر، وأخذت نفسًا عميقًا ثم قالت: "أنا أسفة"، ثم خرجت من الحمام، وتركتني أنتهي من الاستحمام بمفردتي.

زدت من درجة حرارة المياه، وأخذت وقتًا طويلًا في الاستحمام.



عندما خرجت كانت هيدر قد غادرت المنزل، بينما تفحصت تارين محتويات الثلاجة، وأعدت من بقايا الأطعمة الموجودة ما يشبه حفل شاي مقو للأعصاب. كان هناك إبريق كبير للشاي موضوع في منتصف المائدة، وإلى جانبه إبريق أصغر من شاي اليارو السحري، وأخرجت النصف المتبقي من كعكات الزنجبيل ووضعتهما بشكل مرتب في طبق، وضعت من الخبز نوعين من الشطائر: اللحم المدخن مع الكرفس، وزبدة الفول السوداني مع حبوب تشيريوس للإفطار.

كانت فيفي تسخن إبريق القهوة وهي تشاهد تعبيرات تارين القلقة. صببت لنفسي فنجاناً من الشاي المُداوي وشربته كله، وبعدها صببت لنفسي فنجاناً آخر. ثم وضعت الضمادات وارتديت ملابس نظيفة، وشعرت بعدها بصفاء ذهني واستعدادي للتعامل مع نبأ مقتل لوك وقتل شقيقتي له.

أخذت شطيرة اللحم المدخن لكي أتناول قزصة منها، كان الكرفس مقرمشاً وغريب الطعم بعض الشيء، لكنه ليس سيئاً على الإطلاق. وفجأة أدركت كم كنت جائعة، ودفعت ببقية الشطيرة في فمي، وأضفت شطيرتين أخريين إلى طبقي.

كانت تارين تعتصر يديها وتضغطهما معاً، ثم تضغط بيديها على رداها، ثم قالت: "لقد فقدت السيطرة على أعصابي". ولم تنبس أي منا - أنا أو فيفي - ببنت شفة، بل حاولت أن أقرمش قطع الكرفس بهدوء أشد.

ثم استرسلت تارين: "لقد وعدني أن يحبني حتى آخر يوم في عمره المديد، لكن حبه لم يحمني من قسوته. لقد حذرني من أن معشر الجان لا يحبون كما نحب، ولم أفهم ما يعنيه إلى أن تركني وحيدة في بيته الضخم المربع أسابيع متواصلة. زرعت حينها زهوراً هجينة في الحديقة، واشترت ستائر جديدة، واستضفت في منزلي حفلات لأصدقائه تمتد لأسابيع متصلة، وكل هذا لم يهمه. كنت أحاول اجتذابه بشتى الطرق، وقدمت له كل شيء، لكنه قال إنني لم يعد لي دور في حياته".

رفعت حاجبي تعجباً، فقد كان ما قاله بغيضاً، وإن لم يكن هذا ما توقعته أن يتلفظ به ككلماته الأخيرة، ثم قلت: "أعتقد أنك لقتته درساً لن ينساه".

أطلقت فيفي ضحكة عالية، ثم حدقت إلى وجهي بنظرة مؤنبة لتسببي في ضحكها بهذه الصورة.

لمعت بين أهداب تارين دموع لم تنسب من عينيها، وبصوت خافت رتيب لم أجد له تفسيرًا قالت: "أعتقد هذا، حاولت أن أوضح له أنه لا بد من تغيير بعض الأمور - لا بد - لكنه تعامل مع الأمر كما لو كنت أتصرف بسخف. وظل يثرثر، كما لو كان باستطاعته إقناعي بالعدول عن رأبي ومشاعري! وهناك على المكتب كانت توجد فتحة رسائل مرصعة بالمجوهرات، ثم - هل تذكرين كل الدروس التي علمنا إياها مادوك؟ لم أدرِ بنفسني إلا وقد غرستها في حنجرة لوك، وأخيرًا سكن وتوقف عن الكلام، لكنني عندما سحبت فتحة الرسائل من حنجرتة كان هناك الكثير من الدماء".

سألت فيفي: "إذن أنتِ لم تقصدي أن تقتليه؟".

لم تجب تارين.

كنت أعلم كيف يكون شعور المرء عندما يتكتم على الأسرار لفترة إلى أن يحين وقت البوح بها، وكنت أعلم أيضًا كيف يكون شعور المرء عند غرس سكين في جسد شخص آخر. قلت لها وأنا لا أعلم ما إذا كان كلامي صحيحًا أم لا: "لا بأس عليك".

استدارت نحوي وقالت: "كنت أعتقد أننا، أنا وأنتِ، مختلفتان تمامًا، لكن اتضح أننا متماثلتان".

لا أظن أنها كانت ترى هذا كأمر إيجابي!

ثم سألتها في محاولة مني للتركيز على الجانب العملي: "أين جثته الآن؟ علينا أن نتخلص منها و...".

هزت تارين رأسها، وقالت: "لقد اكتشفوا جثته بالفعل".

سألتها: "كيف؟ ماذا فعلت؟"، كنت في السابق محبطة بسبب مجيئها طلبًا للمساعدة، لكنني الآن منزعة لتأخرها في المجيء، في حين كان باستطاعتي تولي هذا الأمر منذ البداية.

قالت: "لقد سحبت جثته وألقيتها وسط الأمواج، فقد اعتقدت أن المد سيحمل جثته بعيداً، لكنها ذهبت إلى شاطئ آخر، وقد أكل جزء منها، وأصبح من الصعب معرفة كيفية موته". نظرت إليّ بعجز كما لو كانت لا تزال غير مستوعبة كيف جرى أي من هذا معها، ثم أضافت: "أنا لست شخصاً شريراً".

ارتشفثُ رشفة من شاي اليارو وقلت لها: "لم أقل إنك كذلك".

واصلت تارين كلامها: "سيجري تحقيق تحت تأثير التعاويذ السحرية، وسيطرحون عليّ أسئلة، ولن أتمكن من الكذب، لكنك إذا أجبتَ بدلاً مني، يمكنك أن تقولني بصدق إنك لم تقتليه".

قالت فيفي: "إن جود في المنفى، وسيستمر عقابها حتى تحصل على العفو من الملك أو تحصل على تصريح من أية جهة ذات سلطة هناك. وإذا أمسكوا بها، فسوف يقتلونها".

قالت تارين وهي تنقل نظرها بيننا: "سيستغرق الأمر بضع ساعات فقط، ولن يعرف أحد، أرجوك".

تهدت فيفي وقالت: "إنها مخاطرة كبيرة".

بينما لم أقل أنا شيئاً، وبدا أن تفكيري في الأمر قد أثار حنق فيفي، فسألتني وهي تتفحصني بنظرة تكشف خبايا أفكارني: "تريدين أن تذهبي، أليس كذلك؟ وتبحثين عن حجة لكي تعودني إلى هناك، لكن بمجرد وقوعك تحت تأثير السحر، سيسألونك عن اسمك، أو يطرحون سؤالاً سيشي بحقيقتك عندما لا تجيبين بما هو متوقع من تارين، وحينها سوف تهلكين".

هزرت رأسي وأنا أجيبها: "إنني أرثدي تعويذة تحميني من تأثير السحر"، كنت أكره مدى انجذابي لفكرة العودة إلى الفهايم، وأكره مدى رغبتني في تذوق تفاح الإيفر أبل السحري

مرة أخرى، ومدى احتياجي إلى فرصة أخرى لاكتساب السلطة ومحاولة أخرى مع كاردان. ربما هناك سبيل آخر للالتفاف على حكم النفي، لكن ليتني كنت أعرفه.

قطبت تارين جبينها وسألت: "تعويذة؟ لماذا؟".

نظرت فيفي إليّ نظرة ذات معنى، وقالت: "أخبريها، أخبريها بما فعلته حقًا، أخبريها بحقيقتك ولماذا لا يمكنك العودة إلى هناك".

كان هناك ما يشبه الخوف في عيني تارين، لا بد أن مادوك قد أوضح لها حصولي على وعد بالطاعة من كاردان - وإلا كيف تأتت لها أن تأمره بتحرير نصف جنود الجيش من عهودهم بالولاء له؟ وبعد عودتي إلى العالم الفاني، كان لديّ الكثير من الوقت لمراجعة ما حدث بيننا. أنا واثقة بأن تارين كانت غاضبة من عدم إخباري إياها بسيطرتي على كاردان، وواثقة بأنها كانت أشد غضبًا لتظاهري بعدم إمكانية إقناعي لكاردان بطرد لوك من منصبه كمسئول عن حفلات الترفيه، بينما في الحقيقة كان بوسعي أن أمره بذلك. لكنها تمتلك أسبابًا أخرى كثيرة تدفعها إلى مساعدة مادوك. على كل حال، كان مادوك والدًا لنا، ولعلها أرادت أن تلعب لعبة كبرى، ولعلها فكرت في كل ما يمكنه فعله من أجلها إذا جلس على العرش.

شرعت أقول: "كان ينبغي أن أخبرك بكل شيء يخص الأمير داين ومجلس الظلال، لكن...".

قاطعتني فيفي لتقول: "تجاوزي هذا الجزء، وانتقلي إلى المهم. أخبريها بحقيقتك".

قالت تارين بسرعة: "لقد سمعت عن مجلس الظلال، إنهم جواسيس، هل تقولين إنك جاسوسة؟".

أومأت برأسي لأنني فهمت أخيرًا ماذا تريد فيفي مني أن أوضحه، فهي تريدني أن أتحدث عن زواجي بكاردان، ما جعلني بالفعل ملكة سامية على إلفهايم. لكن لا يسعني ذلك، ففي كل مرة أفكر في الأمر، أشعر بالخزي لتصديقي أنه لم يكن ليخدعني. ولا أعتقد أن بإمكانني

توضيح أي جزء من هذا دون أن أبدو حمقاء، وأنا لست مستعدة لأكون بهذا الضعف أمام تارين.

أردت إنهاء تلك المحادثة، ولهذا قلت أمرًا كنت أعلم أنه سيُلهي كلاً منهما لأسباب مختلفة، فقلت: "لقد قررت أن أذهب وأحل محل تارين في هذا التحقيق، وسأعود بعد يوم أو اثنين، وحينها سأوضح لها كل شيء، وهذا وعد مني".

سألت فيفي: "ألا يمكن أن تبقى كلتاكما هنا في عالم البشر الفاني؟ سحِّقًا لأرض الجان، وسحِّقًا لكل شيء، وسنحصل على منزل أكبر لنعيش فيه جميعًا".

قلت: "حتى إذا بقيت تارين معنا، فمن الأفضل لها ألا تتجنب حضور تحقيق الملك السامي، ويمكنني أن أحضر معي من أرض الجان بعض الأشياء لرهنها مقابل مبلغ مالي معقول، حيث سيتعين علينا دفع أموال للحصول على منزل أكبر".

نظرت فيفي إليّ بغضب، وقالت: "يمكننا التوقف عن العيش في الشقق والتظاهر بكوننا من البشر الفانيين متى شئت، فقد فعلتُ هذا من أجل هيدر. وإذا كنا سنبقى وحدنا فقط، فيمكننا الاستيلاء على أحد المستودعات المهجورة المجاورة للساحل وسحرها بحيث لا يستطيع أحد دخولها، ويمكننا سرقة كل ما نحتاج إليه من أموال لشراء أي شيء نريده، فقط وافقي يا جود".

أخرجتُ الخمسمائة دولار التي قاتلت للحصول عليها من جيب معطفي، ووضعتها على الطاولة، وقلت: "سيمر بريرن ومعنا النصف الآخر من المال في وقت لاحق من هذا اليوم. فما زلنا نتظاهر بكوننا من البشر الفانيين، ولا تزال هيدر موجودة معنا كما هو واضح. الآن سوف أذهب لأنام قليلاً، وعندما أصحو سأمضي إلى أرض الجان".

نظرت تارين بشيء من الارتباك إلى المال الموضوع على الطاولة، وقالت: "إذا كنتِ تحتاجين إلى...".

قامت فيفي بمقاطعة ما كانت تارين تحاول عرضه أيًا كان، وذكّرتني قائلة: "إذا انكشفت وأمسكوا بك، فستُعدمين يا جود". كنت أشعر بالابتهاج في داخلي، وعلى الرغم من رغبتني في القيام بهذا الدور، فإن هذا لا يعني بالتأكيد مسامحتي تارين أو أننا أصبحنا مقربتين مجددًا، ولا أريدها أن تتصرف كما لو أننا عدنا كذلك.

قلت لهما: "إنن، سأعمل على ألا يمسكوا بي".

الفصل 5

ذهبت إلى فراش أوك لوجوده في المدرسة في ذلك الوقت، ونظرًا لحالة جسدي المليء بالجروح والكدمات فقد استولى عليّ النوم سريعًا، وجذبني إلى ظلمته السحيقة. وأحلامه.

حلمت بحضوري صفاً تعليمياً في بستان القصر الملكي بالفهايم، وكنت جالسة في الظلال الممتدة في أواخر فترة العصر وبدء المساء، وقد ارتقى القمر في الأفق كهلال واضح في السماء الصافية. رسمت خارطة للنجوم من الذاكرة، وكان الحبر يتجمد على الورقة بلون أحمر قانٍ. وسرعان ما أدركت أنها دماء، فقد كنت أغمس ريشتي في محبرة مليئة بالدماء.

ثم رأيت عبر البستان الأمير كاردان جالسًا مع رفاقه المعتادين: بدا فاليريان ولوك غربيي الشكل، فقد كانت ملابسهما متآكلة بفعل حشرة العث، وجلد جسديهما كان شاحبًا، ومكان أعينهما لطحًا بالحبر. ولم يبدُ أن نيكاسيا كانت تلاحظ أيًا من ذلك، وقد تدلى شعرها الملون بلون البحار الأزرق على ظهرها في جدائل كثيفة، وقد لوت شفيتها لترسم عليهما ابتسامة هازئة كأنما لا توجد أية مشكلة في العالم. وكان كاردان يرتدي تاجًا ملطحًا بالدماء مائلًا قليلاً إلى الأمام، وبدت قسماً وجهه شديدة الوسامة كما هي دائماً.

صاح فاليريان يسألني بصوته الساخر: "هل تذكرين ما قلته لك قبل موتي؟"، فرددت ما قاله: "إنني ألعنك، ثلاث مرات لأنك قتلتني. فلتكن يداك ملطختين دائماً بالدماء، وليكن الموت رفيقك الوحيد، ولتكن..."، وعندها بدا كأنني متّ، ولم يتسنّ لي قط إكمال ما قاله. عندئذ أكمل هو: "هل تحبين سماع الباقي الآن؟ لتكن حياتك قصيرة تفيض بالأسى، وعندما تموتين فلتمضي غير مأسوف عليك".

سرت قشعريرة في جسدي، وعدت أنا نفسي لأقول في الحلم: "آه، كان هذا الجزء الأخير مؤثراً حقاً".

ثم جاء كاردان نحوي وقد وقف بقدمه فوق خارطة النجوم، وركل المحبرة بحذائه ذي الطرف الفضي، وأوقع ما بها من دماء على الورقة بأكملها، ما شوّه ملامح رسمي. وقال بلهجة امرأة: "تعالى معي".

ثم قال لوك: "كنت أعلم أنك تحبها، ولهذا السبب كان عليّ أن أحظى بها قبلك، هل تذكر الحفل في حديقة المتاهة في بيتي؟ وكيف اقتربتُ منها جدًّا وأنت تنظر إلينا؟".

رد كاردان: "أذكر أن يديك كانتا تمسكان بها، لكن عينيها كانتا تنظران إليّ".

قلتُ في إصرار: "هذا غير صحيح!"، لكنني تذكرت كاردان وبصحبته فتاة من الجان ذات شعر شبيه بزهرة النرجس كانت تضغط بشفتيها على حافة حذائه ذي الرقبة، وفتاة أخرى تقبلُ يده، ثم انتقلت نظراته إليّ عندما بدأت إحداهما تقرب وجهها إلى وجهه، وكانت عيناه السوداوان تلمعان بلون الفحم، تلمعان كأنهما من القار.

راودتني تلك الذكرى مع حركة راحة يد لوك على ظهري، وتوهج وجنتي، وجفاف حلقي، حتى أصبح الوضع غير محتمل.

بعدها كرر كاردان وهو يجذبني بعيدًا عن خارطة النجوم المشبعة بالدماء، بينما استمر الآخرون في متابعة الدرس: "تعالى معي، أنا أمير أرض الجان، وعليك أن تمتثلي لما أريده".

ثم قادني حيث الظلال المرقطة لشجرة البلوط، ورفعني ليجلسني على فرع منخفض من الشجرة، وترك يديه على خصري، واقترب مني أكثر حتى لامس جسدي.

ثم قال وهو ينظر إليّ: "أليس هذا أفضل؟".

لم أكن واثقة مما يعنيه لكنني أومأت برأسي بالإيجاب.

وبدأ يمر بيده على الأشكال المرسومة على ذراعي، وبعدها مرر يديه على جانبي، وقال:
"إنك جميلة جدًا، جميلة جدًا".

كان صوته ناعمًا، وقد أخطأت بالنظر إلى عينيه السوداوين وفمه الماكر.

لقد واصل كلامه بالنعومة ذاتها كما لو كان عاشقًا حقيقيًا: "لكن جمالك سيذوي"، وأبقى يديه عليّ ما جعل معدتي تتقلص، وقال: "هذه البشرة الناعمة ستتجدد وستظهر بها بقع وتصبح ضعيفة كخيوط العنكبوت، وهذا الصدر سيتهدل، وشعرك سيفقد بريقه ويضعف، وأسنانك ستصفّر، وكل ما لديك وكل ما أنت عليه سيتلاشى، ستصيرين لا شيء، إنك لا شيء".

ترددت الكلمات داخلي: "أنا لا شيء"، شعرت بعجزي في مواجهة كلماته.

ثم همس في أذني قائلاً: "لقد أتيت من العدم، وستعودين إلى العدم".

وفجأة سيطر الفزع عليّ، وشعرت بالحاجة إلى الابتعاد عنه، وأسقطت نفسي من فوق الغصن، لكنني لم أسقط على الأرض، بل ظللت أتمايل وأسقط عبر الهواء كما لو كنت أليس في بلاد العجائب عند انزلاقها في جحر الأرنب.

وبعدها تغيّر الحلم، ورأيتني راقدة على لوح حجري وملفوفة في قماش حاولت النهوض، لكنني لم أستطع الحركة، كأنني دمية خشبية. كانت عيناى مفتوحتين، لكنني لا أستطيع تحريك رأسي، ولا إغماض عينيّ، ولا فعل أي شيء. كل ما استطعت فعله هو التحديق إلى السماء الصافية نفسها والهلال نفسه.

ثم ظهر مادوك أمام ناظري، ووقف أمامي ينظر إليّ بعينيه الشبيهتين بعيني القط، وعلق قائلاً كما لو كنت غير قادرة على سماعه: "هذا مؤسف، فقط لو أنها توقفت عن محاربتني؛

لأعطيها كل ما كانت تتمناه".

قالت أوريانا وهي تقف إلى جوارى: "لم تكن فتاة مطيعة مطلقًا، لم تكن مثل أختها".

كانت تارين هناك أيضًا، وقد انحدرت دمعة رقيقة على وجنتها، وقالت: "لم يكونوا ليسمحوا إلا ببقاء إحدانا فقط على قيد الحياة، وأنا دائمًا من ستبقى؛ لأنك الأخت المتمردة وأنا الأخت المطيعة".

ثم غادر ثلاثتهم، وبقيت فيفي إلى جوارى وهي تضغط بأصابعها الطويلة على كتفي.

قالت فيفي: "كان يجب عليّ أن أنقذك، لقد كان عملي دائمًا هو إنقاذك".

ثم همس أوك بعد وهلة: "جنازتي ستكون التالية".

بعدها أتاني صوت نيكاسيا كما لو كان يأتي من مكان بعيد: "يقال إن الجان سيكون في حفلات الزفاف ويضحكون في الجناز، لكنني أعتقد أن زواجك وجنازتك كانا مضحكين بالقدر نفسه".

ثم ظهر كاردان وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة محب، وعندما تحدث بدا كأنه يهمس بنبرة تأمرية قائلاً: "عندما كنتُ طفلًا كنا نمثل مسرحيات بها جنازات لتشييع الموتى، وكان البشر الفانون ميتين بالطبع، أو على الأقل يموتون في النهاية".

عندها تحدثت أخيرًا وقلت له: "إنك تكذب".

فعاد ليقول: "بالطبع أكذب، هذا حلمك أنت، دعيني أرك"، وضغط بيده الدافئة على وجنتي، وقال: "أنا أحبك يا جود، لقد أحببتك منذ وقت طويل، ولن أتوقف أبدًا عن حبك".

قلت له: "كفى!".

بعدها ظهر لوك وهو واقف بالقرب مني، وكان الماء يسيل من فمه وهو يقول: "لنتأكد من موتها". وبعد لحظات، غرس سكينًا في صدري، ثم أعاد غرسها مرات ومرات.

وفي تلك اللحظة استيقظتُ. كان وجهي مبللًا بالدموع وصرختي محشورة في حلقي.

ركلت الأغطية بعيدًا عني، وفي الخارج كان الظلام يغمر المكان، لا بد أنني نمت اليوم بطوله. أضأت الأنوار وأخذت نفسًا عميقًا، وتحسست جبهتي خشية إصابتي بالحمى، وانتظرت حتى تهدأ أعصابي المتوترة قليلًا. وكلما فكرت أكثر في الحلم، زاد تشوشي.

ذهبت إلى غرفة المعيشة، حيث وجدت علبة بيتزا مفتوحة على طاولة القهوة، وقد وضع شخص ما رءوس نبات الهندباء بجانب لحم الببروني على عدد قليل من شرائح البيتزا. بينما كان أوك يحاول أن يشرح لتارين لعبة روكيت ليج.

ثم نظر كلاهما إليّ بانتباه.

قلت لتوأمي: "مساء الخير، هل يمكنني التحدث معك؟".

أجابت تارين وهي تنهض من فوق الأريكة: "بالطبع".

عدت ثانية إلى غرفة أوك وجلست على حافة فراشه، وقلت: "أريد أن أعرف ما إذا كنت قد أتيت إلى هنا؛ لأن أحدًا دعاك إلى فعل ذلك أم لا، أريد أن أعرف ما إذا كان هذا فخًا منصوبًا لي على يد الملك السامي لاستدراجي لانتهاك بنود عقوبة النفي أم لا".

نظرت تارين إليّ بدهشة، لكنها أحسنت فعلًا بعدم سؤالي عن سبب تفكيري في مثل هذا الأمر. ثم وضعت تارين إحدى يديها بأصابع ممدودة على بطنها، وقالت: "لا، لكنني لم أقل لك كل شيء".

انتظرت أن تكمل حديثها وأنا غير متأكدة مما تقصده.

ثم قالت أخيرًا: "لقد كنت أفكر في أمنا، كنت دائمًا أعتقد أنها غادرت إلفهايم بسبب وقوعها في حب والدنا البشري الفاني، لكنني الآن لست واثقة من ذلك".

قلت لها: "لست أفهم".

قالت تارين في صوت منخفض كالهمس: "أنا حامل".

على مدى قرون اشتهر البشر الفانون بقدرتهم على إنجاب أطفال من الجان، وأن دمائنا أكثر كثافة من دماء معشر الجان. وتعد نساء الجان محظوظات إذا تسنى للواحدة منهن الحمل في طفل واحد على مدار حياتهن المديدة، وقد لا يتسنى لمعظمهن الحمل أصلًا، بينما الحال مع الزوجة البشرية الفانية أمر آخر. كنت أعرف كل هذا، ومع ذلك لم تطرأ بيالي قط إمكانية إنجاب لوك وتارين لطفل.

قلت متعجبة وقد انتقل بصري إلى يدها المنبسطة على بطنها: "يا إلهي...".

ثم قالت: "يجب ألا يعيش أي طفل تلك الطفولة التي عشناها".

هل تخيلت تربيته لطفل في ذلك المنزل، بينما لوك يتلاعب بعقليهما معًا؟ أم أنها قتلت لوك لأنها تخيلت أنها إذا هجرته، فقد يلاحقها مثلما طارد مادوك أمنا؟ لا أعرف، ولا أعرف ما إذا كان يتعين عليّ إبعادها أو دعمها. الآن وبعد أن أخذت قسطًا وافيًا من الراحة، رأيت دلائل الإرهاق التي لم أنتبه إليها أمس من احمرار عينيها، وشحوب ملامحها الذي ينبئ بنسيان تناولها الطعام.

أدركت أنها أتت إلينا لأنها ليس لديها مكان آخر تذهب إليه - ولا بد أنها كانت تعلم باحتمالية عدم مساعدتي لها بدرجة كبيرة.

سألته أخيرًا: "هل كان لوك يعلم بحملك؟".

أجابت: "نعم"، ثم توقفت قليلاً كما لو كانت تتذكر المحادثة وربما حادثة القتل، وواصلت كلامها: "لكنني لم أخبر أي شخص، لم أخبر أحداً سواك. وبالنسبة لإخباري للوك - حسناً، لقد قلت لك بالفعل كيف انتهى كلامي معه".

لم أدرِ ماذا أقول لها، لكنها عندما تقدمت نحوي وأبدت إشارة تفيد بعجزها وقلة حيلتها، ارتميت بين ذراعيها، وأسندت رأسي إلى كتفها. أعلم أن هناك الكثير مما كان يتعين عليّ إخبارها به، والكثير مما كان يتعين عليها إخباري به. أعلم أننا لم نكن رفيقتين إحدانا بالأخرى، وأعلم أنها آذنتني أكثر مما يمكنها تخيله، لكن مع كل هذا فهي لم تزل شقيقتي، شقيقتي الأرملة والقاتلة والحامل بطفلها المقبل.



بعد ساعة، كنت جاهزة للرحيل. وقد أطلعتني تارين على تفاصيل حياتها اليومية، ومَن تحدثهم باستمرار من معشر الجان، وعن كيفية إدارة منزل لوك. وقد أعطتني زوجاً من القفازات لإخفاء إصبعي المبتور. كما تبادلت معي رداءها الأنيق المصنوع من الخيوط القماشية الرقيقة والزجاج المغزول، فارتديته، وصدفت شعري بما يشبه تصفيفها لشعرها، بينما ارتدت هي سروالي الأسود وسترتي.

ثم قالت: "شكراً لك"، وهي كلمة لا يقولها الجان أبداً؛ لأن تقديم الشكر يعتبر من قبيل الوقاحة، ويقلل من قيمة وشأن الثنائية المعقدة لتقديم المعروف ثم رده لاحقاً. لكن هذا المعنى يختلف عما يعنيه البشر الفانون عند شكر بعضهم بعضاً، يختلف تمام الاختلاف.

ومع ذلك رددت عليها وأجبت: "عفواً".

أتى أوك لكي أحمله، إذ مع أنه صار في الثامنة من العمر، لا يزال جسده طويلاً ونحيلًا، ثم قال: "حزن كبير"، وهذا يعني أن يقفز ويطوق رقبتني بذراعيه، ما يخنق أنفاسي قليلاً.

لكنني استسلمت له وطوقته بدوري بشدة حتى صار يتنفس بصعوبة.

أجلسته وخلعت خاتمي الياقوتي - الخاتم الذي سرقه كاردان مني, ثم أعاده لي أثناء تبادلنا عهود الزواج. فبالتأكيد لا يمكنني أن أرديه أثناء التظاهر بأنني تارين وسألته: "هل يمكنك المحافظة عليه؟ حتى أعود".

أجاب أوك بإخلاص: "سأفعل، عودي سريعًا، فسوف أفتقدك".

فوجئت بمدى لطفه، وبخاصة بعد شجارنا الأخير.

فوعده: "سأعود سريعًا قدر استطاعتي"، وبعدها ذهبت إلى المطبخ حيث كانت فيفي تنتظرني، وسرنا معًا فوق الأعشاب, وقدمت لي باقة من أوراق وأعواد نبات زهور الشيخ. وتبعتنا تارين، وهي تجذب أكمام سترتها.

سألني فيفي وهي تقتلع أحد النباتات من جذوره: "هل أنتِ واثقة مما تفعلينه؟"، نظرت إليها وقد غطت الظلال وجهها، وانعكس ضوء مصابيح الشارع على شعرها، وكان شعرها عادة ما يبدو بنيًا مثل شعري، بينما بدا في هذا الضوء كأنه منسوج بجداول ذهبية وخضراء.

لم تثق فيفي قط إلى الذهاب إلى أرض الجان مثلما كنت أنا، فكيف لها ذلك وهي تحمل هذه الأرض معها أينما ذهبت؟

قلت لها: "تعلمين أنني واثقة، والآن هل ستخبريني بما جرى مع هيدر؟".

هزت رأسها بالنفي, وقالت: "فقط ابقني على قيد الحياة, إذا كنت تريدين أن تعرفي ما جرى", ثم نفخت في أعواد نبات الشيخ, وقالت: "أيها الحصان, انهض واحمل أختي إلى حيث تأمرك". وعندما سقطت البراعم المزهرة على الأرض, تحولت إلى مهر أصفر نحيف بعينين زمرديتين وعرف مُناسب.

سهل المهر وضرب الأرض بحوافره متحمسًا للطيران بقدر حماسي له.



بدا منزل لوك كما أتذكره؛ أبراج طويلة، وجدران من القمر يد مكسوة بالطحالب، وطبقة سميكة من اللباب. بينما كان سياج حديقة المتاهة يمتد عبر الأراضي في نمط متعرج وغريب. وبدا المكان بأكمله كما لو أنه ينتمي لإحدى الحكايات الخرافية، حيث الحب بسيط وسهل ولا ينتج عنه ألم.

جالت بخاطري الكلمات التي قالها لوك عندما وقفنا معًا في قمة أعلى برج لديه: في الليل، يبدو العالم البشري كما لو كان مليئًا بالنجوم المتساقطة.

لكزت المهر السحري لكي يهبط إلى الأرض، فنزلت من فوق سهوته وتركته ينبش الأرض بحوافره، بينما توجهت صوب الأبواب الأمامية الضخمة. انفتحت الأبواب مع اقترابي منها، وكان هناك خادمان يقفان في الداخل، وكانت بشرتهما الشبيهة في لونها بنبات عيش الغراب شديدة الشحوب لدرجة أظهرت عروقهما، وقد أضفى هذا عليهما مظهر تمثالين متماثلين من التماثيل الرخامية القديمة. كانت تنبثق من أكتافهما أجنحة رقيقة صغيرة، وتابعا سيرى بأعين باردة تخلو من التعبيرات، ما ذكّرني في الحال بوحشية معشر الجان. أخذت نفسًا عميقًا، وشدت قامتي، ثم توجهت نحو الداخل.

سمعت صوتًا أنثويًا يقول: "مرحبًا بعودتك يا سيدتي". لقد أخبرت تارين جود بوجود الشقيقين الذكر والأنثى: نيرا ونيفي. وكانا يدينان لوالد لوك بدين ما، لكنهما تُركا للوك عند وفاة والده لكي يتمًا ما تبقى من فترة قضاء الدين في خدمة الابن. وكانا يتسللان خلسة من قبل ويتواريان عن الأنظار، لكن تارين منعتهما من ذلك بعد زهابها للعيش هناك.

في عالم البشر الفاني، اعتدت على تقديم الشكر للأشخاص على خدماتهم البسيطة، والآن يتعين عليّ عدم النطق بكلمات الشكر والمجاملة، فقلت فقط: "من الجيد أن أعود إلى منزلي"، ثم تجاوزتهما واتجهت إلى البهو.

تغير البهو عما كنت أذكره، فقبل ذلك كانت الحجرات شبه خاوية، وما كان مفروشًا منها كان مؤثثًا بأثاث قديم وثقيل، وكانت مائدة الطعام عارية وكذلك الأرضيات، لكنها لم تعد كذلك.

غطت الوسائد والسجاجيد والكئوس والصواني وأواني الشراب الممتلئة حتى نصفها كل الأسطح - وقد ازدانت كلها بمختلف الألوان: القرمزي والعنبري والتركواز والأخضر الفاتح والذهبي والبرقوقي الداكن. وكان غطاء الأريكة متسخًا لوجود طبقة رقيقة من المسحوق الذهبي فوقه، ربما كانت من أثر ضيف زارهم مؤخرًا. قطبت جبيني للحظات طالت، ورأيت انعكاس وجهي في جرّة مصقولة من الفضة.

كان الخدم ينظرون إليّ، ولم يكن هناك سبب يدعوني للتطلع بفضول إلى الغرف التي يفترض أنني أعرفها جيدًا. ولهذا حاولت أن أداري تعابير وجهي، لكي أخفي حيرتي مما لم تخبرني به تارين عن حياتها.

أنا متأكدة أنها قامت بتصميم تلك الغرف بنفسها. فقد كانت غرفتها في قلعة مادوك ممتلئة بالوسادات زاهية الألوان. كانت تحب الأغراض الجميلة، ومع ذلك لا يفوتني أن هذا المكان مخصص بمعنى ما للهو. فقد تحدثت تارين عن استضافة حفلات قد تمتد لأسابيع، لكنني الآن فقط بت أتخيلها وهي تنتقل بين الوسادات وتشرب وتضحك وربما تداعب الآخرين، وربما تفعل ما هو أكثر من ذلك.

لقد كانت شقيقتي دومًا شديدة المرح وشديدة الخجل في آن واحد، أو على الأقل هذا ما كنت أعتقد عنها. وفي حين كنت أسير أنا في طريق حافل بالمخاطر والخناجر والسوموم، كانت تارين تسير في طريق مشحون بالرغبات.

استدرت باتجاه الدرج، وأنا لا أدري ما إذا كنت سأنجح في أداء دوري أم لا. وعدت لمراجعة ما أعرفه، ولمراجعة التفسير الذي توصلنا إليه معًا حول آخر مرة رأيت فيها لوك. كان يخطط للقاء إحدى مخلوقات السيلكي من مملكة البحار، إنني أوافق تارين في ظنها بأنه كان على علاقة معها. هذا أمر متوقع منه على أية حال، لقد كانت مملكة البحار على خلاف مؤخرًا مع ممالك الأرض، ويحدوني الأمل في أن يحتشد عموم الجان ضد هذه المملكة قريبًا.

سألني نيفي وهي تقف ورائي: "هل ستتناولين العشاء في القاعة الكبرى؟".

لم أرغب في أن أتناول الطعام بمفردي على تلك المائدة الكبيرة في صمت مشحون بالتوتر، فرددت: "أفضل تناوله في غرفتي".

صعدت إلى الأعلى وأنا واثقة بشكل ما من تذكري للطريق، ثم فتحت الباب في حذر، وللحظة ظننت أنني أخطأت الغرفة، لكن اتضح لي أن غرفة لوك قد تغيرت هي الأخرى. فقد تزين الفراش بالستائر المطرزة بصور الثعالب التي يلاحق بعضها بعضًا بين الأشجار الطويلة، وكانت هناك أريكة منخفضة أمام الفراش عليها أردية قليلة مبعثرة، ومكتب صغير مكس بالأوراق والأقلام.

ذهبت إلى غرفة ملابس تارين، وألقيت نظرة على أرديتها - وهي مجموعة ثقل في عدد ألوانها عن الألوان التي اختارتها للفُرُش، لكنها لا تثل عنها جمالًا. اخترت ثوب نوم وفوقه معطفًا رقيقًا من الساتان الثقيل لكي أرديهما، وخلعت الرداء المصنوع من الخيوط الرقيقة والزجاج المغزول.

كان القماش يصيب جلدي بالقشعريرة، وقفت أمام المرآة في غرفة النوم، وفككت جدائل شعري ومشطته. ثم نظرت إلى نفسي في محاولة لرؤية ما قد يتسبب في فضح أمري، إن مظهري أقل أنثوية من تارين لكن الملابس يمكنها أن تخفي هذا، وشعري أقصر لكن ليس بدرجة كبيرة، ثم هناك عصبيتي... بالطبع!

وفي محاولة مني لتخيل نفسي ثانية في البلاط السامي، قلت: "تحياتي يا جلالة الملك"، وتساءلت ماذا كانت تارين لتفعل؟ وملت جسدي في انحناءة خفيفة، ثم قلت: "لقد مر وقت طويل منذ آخر لقاء لنا".

على الأرجح التقت تارين بكاردان مؤخرًا، وبالنسبة لها - على عكسي أنا - لم يمر وقت طويل على آخر لقاء جمعهما، وفي فزع خفق قلبي بشدة في صدري. سيتعين عليّ التحدث في التحقيق وعدم الاقتصار على الرد على أسئلتهم وحسب، كما سيتعين عليّ التظاهر بعلاقتي الودية مع الملك السامي كاردان في حضوره.

حاولت الاستعداد بالنظر إلى المرأة في محاولة مني للوصول إلى التعبير المناسب لإظهار التوقير له، وكذلك في محاولة لئلا أبدو عابسة وأنا أقول: "تحياتي يا جلالة الملك، أيها الضفدع الخائن".

لا إن هذا لن يجدي نفعًا، بغض النظر عن سعادتي بقوله.

وحاولت مجددًا: "تحياتي يا جلالة الملك. أنا لم أقتل زوجي، برغم استحقاقه عن جدارة للقتل!".

ثم سمعت طرقًا على باب الغرفة، فأجفلت قليلًا.

كان الطارق نيرا، وقد أحضر لي صينية خشبية كبيرة وضعها على الفراش، ثم انصرف بانحناءة دون أن يصدر عنه أي صوت يُذكر. كان على الصينية خبز محمص ومربى لها رائحة غريبة ومشهية جعلت لعابي يسيل. وقد استغرقت وقتًا أطول مما يجب حتى أدركت أنها مربى فاكهة الجان. وقد أحضروها كما لو كانت تمثل طعامًا اعتياديًا بالنسبة إلى تارين، وكما لو كانت تأكلها بانتظام. هل جعلها لوك تأكلها دون معرفتها بها وبتأثيراتها على الوعي والإدراك؟ أم كانت تتناولها عن عمد وهي تعرف أنها ستشوش حواسها؟ ومرة أخرى وجدت نفسي حائرة.

على الأقل هناك إناء من شاي القراص وجبن طري وثلاث بيضات بط مسلوقة. إنه عشاء عادي، بخلاف غرابة وجود مربى من فاكهة الجان.

شربت الشاي وتناولت البيض والخبز المحمص، ثم خبأت المربى في مندبل حشرته خلف خزانة الملابس. وحتى إذا عثرت عليه تارين متعفنًا بعد أسابيع من الآن، حسنًا، فسيكون هذا ثمنًا زهيدًا في مقابل الخدمة التي تحصل عليها مني.

نظرت إلى الفساتين مرة ثانية في محاولة لاختيار واحد منها لليوم التالي، لن أرندي ثوبًا ملونًا، إذ من المفترض أن زوجي ميت، وأني حزينة عليه. ومع أن تكاليفات تارين لي عادة ما تكون سوداوية الطابع، فإن خزانة ملابسها تخلو من اللون الأسود. تجاوزت كل الأردية من الحرير والساتان والأردية المزركشة بأشكال الغابة وحيواناتها التي تظهر من بين أوراق الشجر، وكذلك الأردية المخملية المطرزة باللونين الأخضر المائل إلى الرمادي والأزرق السماوي، وأخيرًا استقررت على رداء برونزي داكن ووضعتته على الأريكة إلى جانب زوج من القفازات بلون كحلي داكن. ثم بحثت في صندوق مجوهراتها وانتقيت قرطين كنت قد أعطيتها إياهما، كان أحدهما على شكل قمر والآخر على شكل نجمة، وهما من صناعة الحداد المتميز جريمسين، إنهما مسحوران لكي يجعلنا من ترتديهما تبدو أكثر جمالاً.

فكرت في التسلل خارج منزل لوك للذهاب إلى مجلس الظلال، فأنا لا أريد شيئًا أكثر من زيارة كل من الصرصور والقنبلة، لكي أسمع ثرثرتهما عن البلاط، وأبقى في تلك الغرفة المألوفة لي تحت الأرض. لكن تلك الغرفة قد تهدمت - حطمها الشبح عندما خاننا لصالح مملكة البحار. ولا أعلم أين تجري أعمال مجلس الظلال الآن.

لكن لا يسعني المجازفة على أية حال.

فتحت النافذة وجلست إلى مكتب تارين وأنا أرتشف شاي القراص برائحته الملحية اللاذعة، وكانت نسائم نباتات العسلة البرية تهب عليّ عبر أشجار التنوب. ثم أخذت نفسًا عميقًا لعودتي إلى وطني، ولحنيني إليه في آن واحد.

الفصل 6

حُدِّد موعداً انعقاد التحقيق مع ظهور أول نجمة في السماء. وصلت إلى البلاط السامي في رداء تارين البرونزي، حيث وضعت شالاً فوق كتفيّ، وارتديت قفازين في يديّ، ولففت شعري في كتلة واحدة كبيرة خلف رأسي. تسارعت دقات قلبي، وأمّلت ألا يلاحظ أحد التعرق الذي بدأ يتجمّع تحت ذراعيّ من فرط قلقي.

وباعتباري الوكيلّة السابقة للملك السامي، فقد اعتدت على تلقي قدر معين من التوقير والاحترام. ومع أنني عشت لثماني سنوات في أرض الجان قبل تولي هذا المنصب دون أن أحظى بذلك، فإنني سرعان ما اعتدت تلقي مظاهر احترام الآخرين لي.

ولأنني أمثل شخصية تارين، كنت أتلقى نظرات الشك وأنا أشق طريقتي عبر الحشد الذي لم يعد أفراداه يفسحون لي الطريق تلقائياً كما كان يحدث سابقاً، فتارين الآن هي ابنة القائد الخائن مادوك وشقيقة وكيلّة الملك المنفية، وقاتلة محتملة لزوجها. كانت نظراتهم تتعطش لإدانتني بارتكاب الجريمة، ومن ثم عقابي، لكنهم لم يكونوا يخشونها حتى على الرغم من اعتقادهم أنها ارتكبت الجريمة المزعومة، بل كانوا يرونها مجرد بشرية فانية وضعيفة.

هذا جيد على ما أظن، فكلما بدت المتهمّة ضعيفة، زادت إمكانيّة تصديق براءتها.

تنقل نظري بعيداً عن المنصة الملكية على الرغم من تحركي باتجاهها، فقد بدا أن وجود الملك السامي كاردان قد سمّم الهواء الذي أتنفسه. وللحظة خاطفة فكرت في الرجوع والخروج من هذا المكان قبل أن يلمحني.

لكنني لم أكن أعلم ما إذا كان بإمكانني فعل ذلك.

كنت أشعر ببعض الدوار.

ولم أعلم إذا كان باستطاعتي النظر إليه دون أن يظهر على وجهي ما أشعر به.

أخذت نفسًا عميقًا وأخرجته ثانية، وذكّرت نفسي بأنه لن يعرف أنني أنا التي تقف أمامه؛ فهو لم يميز تاريخين عندما كانت ترتدي ثيابي، ولن يميزني الآن عنها.

وقلت لنفسي بالإضافة إلى ذلك: إذا لم تنجحي في محاولتك، فستقعين أنتِ وتاريخين في مشكلات لا حصر لها.

وفجأة تذكّرت كل الأسباب التي أخبرتني بها فيفي عن مدى سوء تلك الفكرة، وهي محقة، فهذا سخف، إذ من المفترض أنني منفية حتى الوقت الذي يعفو فيه الملك عني، وإلا سيكون مصيري الموت المحقق.

وجال بخاطري للحظة أن تلك الصياغة لأمر النفي كانت تنطوي على خطأ، فربما يمكنني العفو عن نفسي. لكنني عندها تذكرت إصراري على أنني ملكة أرض الجان، وضحك الحراس مني. لم يحتج كاردان لأن ينكر ما قلته وقتها بل كل ما قد احتاج له هو ألا يقول شيئًا، وإذا عفوت عن نفسي، فسيتعين عليه بالمثل ألا يقول شيئًا.

لا، إذا تعرف علي فسيتعين علي أن أركض وأختبئ على أمل أن يتفوق تدريبي مع أعضاء مجلس الظلال على ما تلقاه الحرس الملكي من تدريب. لكن عندها سيعرف كل أفراد البلاط أن تاريخين مذنب - وإلا، فلم أقف مكانها في المقام الأول؟ وإذا لم أتمكن من الفرار...

إنني أتساءل عن طريقة الإعدام التي قد يأمر به كاردان، ربما يتم ربط جسدي ببعض الصخور وإلقائي في البحر ليكمل الموج مهمة إغراقني. إن نيكاسيا ستحب هذه الطريقة حتمًا. وإذا لم يكن كاردان في حالة مزاجية جيدة، فهناك طريقة إعدام بقطع الرأس، أو الشنق، أو الموت سحلًا، أو التقطيع إلى أربعة أجزاء وترك جثة القتل لكي تتغذى عليها الضفادع...

قال أحد الفرسان وقد أوقف بندائه تدفق أفكاره الكئيبة: "تارين دوارتي"، كان صوته باردًا ودرعه الفضية تشي بأنه أحد حراس كاردان الشخصيين. وواصل يقول: "يا زوجة لوك، عليك أن تقفي في مكان مقدمي الالتماسات".

انتقلت إلى الموضوع المشار إليه، وقد أربكتني فكرة الوقوف في المكان الذي رأيت فيه الكثيرين سابقًا عندما كنت وكيلة الملك السامي. ثم انتهت إلى نفسي وانحنيت انحناءً كبيرة دلالة على قبولي الخضوع لرغبة الملك السامي. وبما أنني لا يسعني القيام بالانحناء أثناء نظري إلى وجهه، فقد حرصت على إبقاء عيني ناظرتين إلى الأرض.

سأل كاردان: "تارين؟"، وكان وقع صوته وتآلف أذني معه صادمًا.

ومع انتفاء أعذاري لعدم النظر رفعت عيني إليه.

لقد كانت وسامته صارخة أكثر مما كنت أتذكر؛ فطبيعة معشر الجان أنهم جميعًا شديدو الوسامة ما لم يكونوا شديدي القبح؛ فلا تستطيع عقولنا الفانية استيعاب ذلك دون تأثر وبالتالي تضعف ذاكرتنا أمام قوة تأثيرهم.

في كل إصبع من أصابع يده كان هناك خاتم يتلألأ، وتصل درع مصقولة بالذهب ومرصعة بالجواهر ما بين كتفيه وتغطي قميصه الأبيض. ويلتوي عاليًا عند أصابع قدميه طرفا حذائه ذي الرقبة، كما ترتفع رقبتنا الحذاء حتى تصل إلى ما فوق ركبتيه. وكان ذيله ملحوظًا إذ انثنى بجانب إحدى رجليه، أفترض إذن أنه قد قرر عدم الحاجة لإخفائه كما كانت الحال سابقًا. وفوق جبينه بالطبع كان هناك التاج الملكي الدموي.

نظر إليّ بعينه السوداوين الذهبيتين عند أطرافهما، وعلى شفتيه شبح ابتسامة متكلفة. ولم يكن شعره مربوطًا، وبدا أشعث كما لو أنه قد نهض حالًا من فراشه.

لم يسعني سوى التعجب من سيطرتي السابقة عليه، على الملك السامي لأرض الجان. وكيف كنت مغرورة للدرجة التي جعلتني أعتقد أن بوسعي الاحتفاظ بهذه السيطرة قدر ما

أشياء.

أتذكر مدى قرب جسده من جسدي في بعض اللحظات، وأتذكر كذلك كيف احتال عليّ.

قلت له لأنه كان يتعين عليّ قول شيء ما، ولأن كل ما تدربت على قوله يبدأ بهذا الاستهلال: "يا جلالة الملك".

فقال بصوت بدا ملكياً متغطرساً على نحو مزعج: "إننا نقدر حزنك، وما كنا لنقطع فترة حدادك لولا الحاجة إلى طرح بعض الأسئلة المتعلقة بسبب موت زوجك".

سألت نيكاسيا: "هل تعتقد حقاً أنها حزينة؟" وكانت تقف إلى جوار امرأة احتجت لبعض الوقت حتى تذكرتها: كانت السيدة آشا، والدة كاردان، وكانت ترتدي رداء فضياً وتزيّن طرفي قرنيها بالمجوهرات. لقد أضاء وجه السيدة آشا باللون الفضي الممتد على عظمتي وجنتيها وعلى شفتيها. بينما كانت نيكاسيا ترتدي رداء بألوان البحر، بل بلون خضرة أعشاب البحار، وكان شعرها المائي مجدولاً ومزداناً بتاج جميل مصنوع من عظام الأسماك وفكوكها.

على الأقل لم تكن أية منهما واقفة على المنصة إلى جوار الملك السامي، ويبدو أن مكان وكيلة الملك لم يزل شاغراً.

أردت الانقراض على نيكاسيا، لكن تارين ما كانت لتفعل تصرفاً كهذا، ولهذا توقفت. لم أقل شيئاً، وكنت مغتازة من نفسي لمعرفتي تجنب تارين للرد عليها لو كانت مكاني، لكنني لم أكن واثقة مما قد تفعله في موقف كهذا.

اقتربت نيكاسيا أكثر، واندهشت لرؤية الأسي على وجهها، كان لوك صديقها ومقرباً منها، ولا أعتقد أنه كان صديقاً جيداً بأية حال، لكنني لا أظن أبداً أن هذا يعني أنها أرادت موته. سألتني: "هل قتلت لوك بنفسك أم استعنت بشقيقتك لقتله نيابة عنك؟".

أجبتها: "إن جود في المنفى"، وقد خرجت كلماتي بنعومة أكبر من تلك النعومة التي عزمت على التحدث بها، وواصلت كلامي: "وأنا لم ألحق الأذى قط بلوك".

تساءل كاردان: "ألم تفعلي حقًا؟"، وقد مال إلى الأمام في جلسته على العرش. واهتزت أغصان الكروم خلفه، بينما كان ذيله يهتز.

قلت: "أنا أح..."، لكنني لم أستطع جعل فمي ينطق بتلك الكلمة بينما كان الحضور يترقبون، وأخيرًا قلتها مصحوبة بتهيدة قصيرة أيضًا: "لقد أحببته".

قال كاردان بلا مبالاة: "صحيح، في بعض الأحيان كنت أعتقد أنك تحبينه. لكنك قد تكونين كاذبة، ولهذا سنستعين بالسحر الذي سيجبرك على قول الحقيقة"، ثم أطبق كاردان يده فتلألأت الأضواء في الهواء.

لكنني لم أشعر بشيء، وأظن أن هذا من أثر قوة تعويذة داين الدفاعية، حيث لم تتمكن حتى حيل الملك السامي السحرية من التأثير فيّ.

قال كاردان: "والآن، أخبريني بالحقيقة فقط، ما اسمك؟".

أجبت وأنا أنحني احترامًا وأشعر بالامتنان لمدى سهولة الكذبة: "تارين دوارتي، ابنة مادوك، وزوجة لوك، وإحدى رعايا الملك السامي في إلفهايم".

لوى شفتيه قائلاً: "يا له من أسلوب راقٍ للرد في حضرة الملك".

فأجبتته سريعًا: "لقد تعلمت دروسي على النحو اللائق"، وكان يتوجب عليه أن يعلم ذلك، فقد أخذنا تلك الدروس معًا.

سألني: "هل قتلت لوك؟"، هدأت همهمات الأحاديث الجانبية، وتوقفت الأغاني والضحكات المنخفضة وصوت قرع الكئوس بعضها ببعض، وركز الجان الحاضرون وهم يتساءلون عما إذا كنت على وشك الاعتراف أم لا.

أجبت: "كلا"، ونظرت بحدة إلى نيكاسيا، واستطردت: "ولم أتأمر على قتله، ربما يتعين علينا البحث في البحر، حيث تم العثور عليه".

حوّلت نيكاسيا انتباهها تجاه كاردان، وقالت: "إننا نعلم أن جود قتلت بالكين وقد اعترفت بهذا، ولقد شككتُ طويلًا في قتلها فاليريان أيضًا، وإذا لم تكن تارين هي المجرمة فلا بد أنها جود. أما بالنسبة لأمي فقد تعهدت، الملكة أورلاج بعقد هدنة معك. وما المكسب المحتمل الذي قد تحققه من جراء قتلها مسئول حفلات الترفيه في بلاطك؟ فهي تعلم جيدًا أنه كان صديقًا لك - ولي". وتهدج صوتها في نهاية كلامها، وعلى الرغم من محاولتها إخفاء ذلك، إلا أن صدق حزنها كان باديًا.

حاولت استخراج الدموع من مقلتي، وكان سيُعد تصرفًا ذكيًا لو أنني بكيت لحظتها، لكن وقوفي أمام كاردان حال دون تمكني من فعل ذلك.

حدق إليّ وقد انعقد حاجباه وسألني: "ما قولك؟ هل اقترفت شقيقتك جريمة القتل؟ ولا تقولي لي ما أعلمه بالفعل. نعم أنا نفيت جود، لكن هذا يمكن أن يكون قد حال أو لم يحل دون ارتكابها للقتل".

كنت أتمنى لو كان بوسعي تسديد لكمة إلى وجهه المتعجرف؛ لكي أريه كيف لم يحل نفيه لي دون قيامي بأي شيء، لكنني كذبت وأجبت: "ليس لديها سبب يدفعها لكرامية لوك، ولا أعتقد أنها ترجو له أي شر".

قال كاردان: "هل الأمر كذلك بالفعل؟".

غامرت السيدة أشا بالقول: "ربما لا يعدو الأمر مجرد نسيمة تسري في أرجاء البلاط الملكي، لكن هناك حكاية شائعة عنك وعن شقيقتك وعن لوك مؤداها أنها كانت تحبه لكنه اختارك أنت. وقد لا تحتل بعض الشقيقات رؤية شقيقة أخرى تنعم بالسعادة".

عندما ألقى كاردان نظرة على والدته، تساءلت عما يكون قد اجتذب السيدة آشا إلى صحبة نيكاسيا سوى أن تكون كلتاهما شخصًا مقيتًا، كما تساءلت عن رأي نيكاسيا فيها وما ستدفعها إلى القيام به.

قد تتسم أورلاج، ملكة البحار بالقسوة والترويع للآخرين - ولم أرد لنفسي قط الوجود حيث تكون - لكنني أعتقد أنها تعتز بنيكاسيا. بالتأكيد ستنتظر نيكاسيا من والدة كاردان ما يزيد على تلك المشاعر الباهتة التي أحاطت بها ابنها فيما مضى.

شعرت بسخونة تغزو وجهي وأنا أقول: "جود لم تحب لوك قط"، وأتاح خجلي سائرًا ممتازًا لكي أتواري وراءه وواصلت كلامي: "لقد أحببت شخصًا آخر، وكان هذا الشخص الآخر هو عينه الشخص الذي تمنى موته".

فرحت عند رؤيتي إجمال كاردان الذي قال: "كفى"، وقد قالها قبل أن أوصل كلامي، ثم تابع: "لقد سمعت ما يهمني في هذا الشأن...".

قاطعته نيكاسيا: "لا!" فحدقت أعين الجميع إليها، إذ كانت تلك وقاحة هائلة منها أن تقاطع الملك السامي، ولو بصفتها أميرة، وبخاصة لكونها سفيرة لمملكة البحار. وبعد لحظات من نطقها كلمتها، بدا أنها أدركت عاقبة ما فعلته، لكنها استطرقت: "قد تكون لدى تارين تعويذة وقائية معينة تجعلها محصنة ضد السحر".

ألقى كاردان نظرة حادة على نيكاسيا ولم يعجبه تقويضها سلطانه، ومع ذلك تحوّل غضبه إلى أمر آخر، فقد ابتسم لي إحدى ابتساماته المريبة قائلاً: "أعتقد أنه سيجري تفتيشك".

ثم ظهرت على وجه نيكاسيا الابتسامة نفسها، وبدا الأمر كما لو أننا رجعنا بالزمن إلى وقت تلقي الدروس التعليمية التي كانت تُقدّم في القصر، حيث كان يتآمر صغار النبلاء والأمراء ضدنا أنا وتارين.

وتذكرت آخر إذلال لي عندما توجوني ملكة للمرح، وجرّدوني من ملابسي أمام المحتفين،
ثم ألبسوني أسماً بالية. وإذا انتزعوا ردائي الآن فسيرون الضمادات على ذراعي،
والجروح الحديثة على بشرتي التي لا أملك تفسيراً مقنعاً بشأنها، وسيحزرون بالطبع أنني
لست تارين.

لن أسمح بحدوث هذا، لذا استحضرت كل ما يمكنني حشده من مهابة وإباء في محاولة
لتقليد أوريانا - أُمي البديلة - وطريقتها في فرض هيمنتها، فقلت: "لقد قُتل زوجي. وسواء
أكنتم تصدقونني أم لا، فإنني حزينة على فقده، ولن أصبح فُرجةً لتسلية أفراد البلاط بينما
لم تكذ جثة زوجي تبرد في متواها".

لسوء الحظ، ازدادت ابتسامة الملك السامي سطوعاً، وقال: "كما تريد. إذن، أعتقد أنه
سيتعين عليّ فحصك واختبارك بمفردي في جناحي الملكي".

الفصل 7

شعرت بغضب عارم وأنا أسير عبر ممرات القصر خلف كاردان، فيما يتبعنا الحرس لمنعي من الفرار.

لم تعد خياراتي المتاحة تُبشّر بخير.

إنه سيصطحبني إلى الجناح الملكي وبعدها ماذا؟ هل سيأمر الحراس بتثبيتي وتجريدي من أي شيء يقيني من تأثير السحر - المجوهرات والملابس - حتى أتجرد تمامًا من أي شيء؟ وإذا حدث هذا، فلا بد أنه سيرى الندوب؛ وهي ندوب سبق أن رآها من قبل، وإذا انتزع قفازي، فلن يبقى لديه شك، حيث سيثبي نصف إصبعي المفقود بحقيقتي.

إذا تجردت من ثيابي أمام كاردان، فسيعرف الحقيقة.

يتعين عليّ الفرار. وهناك ممر سري في جناحه، ومن هناك يمكنني الخروج عبر إحدى النوافذ البلورية.

ألقيت نظرت خاطفة على الحراس، وفكرت في أنهم إذا انصرفوا، فسيمكنني الهروب من كاردان عبر الممر السري والابتعاد. لكن كيف أجعلهم ينصرفون؟

فكرت في الابتسامة التي ظهرت على وجه كاردان وهو على منصة العرش عندما أعلن أنه سيعمل على فحصي واختباري. ربما كان يريد أن يرى تارين بعدما تتجرد من ملابسها. وفي نهاية المطاف، فإن رغبات كاردان كانت تتمحور حولي أنا، وبما أنني أنا وتارين توأم متطابق فربما إذا تطوعت بالقيام بهذا بنفسني سيوافق على صرف الحرس، لأنه قال إنه سيفحصني وحده.

وقد قادني هذا إلى فكرة أكثر جرأة، لعلي أستطيع إلهاءه بالدرجة التي لا تتيح له معرفة هويتي، وربما يمكنني إطفاء الشموع والتجرد من ملابسني في ضوء خافت...

شغلني تلك الأفكار تمامًا، حتى إنني لم أكد ألاحظ إحدى الخادمت ذات الحوافر وهي تحمل صينية عليها إبريقًا من عصير الكرفس الأخضر ومجموعة من الكئوس المصنوعة من الزجاج المنفوخ. كانت قادمة من الاتجاه المعاكس لنا، وعندما مرت بجانبنا مالت الصينية نحوي، فصرخت الخادمة، وشعرت بشيء يصطدم بي، ثم تعثرت كلتانا ووقعنا على الأرض، وتهشمت الكئوس وتطاير زجاجها حولنا.

توقف الحراس واستدار كاردان، ونظرتُ إلى الفتاة وهي مرتبكة ومتفاجئة، وقد تبلل ردائي بالعصير. الغريب أن معشر الجان نادرًا ما يتسمون بالطيش في تصرفاتهم، ولا يبدو أن هذا حادث عابر، ثم لمست الفتاة بأصابعها إحدى يدي المغطتين بالقفاز. شعرت بضغط وملمس جلد وصلب عند رسغي؛ حيث كانت الخادمة تدفع بسكين في غمدها الجلدي عبر كُم ردائي بينما تتظاهر بتنظيفه لي مما انسكب عليّ من محتويات الصينية. ثم مالت برأسها عليّ وهي تزيل بعض الشظايا الزجاجية من شعري.

بعدها همست تقول: "والدك سيأتي من أجلك، انتظري الإشارة، ثم اطعني الحارس الأقرب إلى الباب واركضي".

همست بدوري وأنا أتظاهر بمساعدتها على إزالة القطع المتكسرة: "أية إشارة؟".

قالت بصوتها الطبيعي وهي تطرق برأسها وتقول: "أوه كلا يا سيدتي، دعي الأمر لي ولا تنحني".

عندها أمسك أحد الحراس الشخصيين للملك السامي بذراعي، وهو يقول: "هيا تقدمي"، ثم أوقفني على قدمي، فضغطت بيدي على صدري لأحول دون انزلاق السكين من كمي.

استأنفت سيرتي تجاه الجناح الملكي، وقد ألقيت بي الأفكار في حيرة أكبر.

مادوك قادم لكي ينقذ تارين، وهذه تذكيرة لي. ففي حين أنه لم يعد يشملني برعايته، إلا أن تارين ساعدته على الفكاهة من عهود خدمته للملك السامي، وقدمت له نصف الجيش على طبق من ذهب. وإني أتساءل عن الخطط التي جهزها من أجلها والمكافآت التي وعد بها، وأتخيل أنه سيسعد بتحررها من وطأة ارتباطها بلوك.

لكن عندما يأتي مادوك ماذا ستكون خطته؟ ومن يتوقع أن يحاربه؟ وماذا سيفعل عندما يأتي من أجلها ويجدني أنا بدلاً منها؟

فتح اثنان من الخدم باباً مزدوجاً ثقيلاً يُوصل إلى جناح الملك السامي، ثم دخل الملك السامي، وألقى بنفسه على أريكة منخفضة فتبعته وأنا واقفة بارتباك في منتصف البساط الممدود. ولم يدخل الجناح أي من الحرس. وبمجرد اجتيازي للعتبة انغلقت الأبواب خلفي، وفي تلك المرة كانت محكمة الإغلاق. إذن، لم يعد يتعين عليّ القلق بشأن إقناع كاردان بصرف الحرس، لأنهم ليسوا موجودين بالأساس.

كما أن معي سكيناً على أقل تقدير.

بدأت قاعة الاستقبال كما كنت أتذكرها أثناء اجتماعات مجلس المستشارين، ولم تزل تحمل رائحة الدخان وزهور نبات رعي الحمام وزهور الهندباء. أراح كاردان قدميه، بينما كان لم يزل مرتدياً حذاءه ذا الرقبة، على طاولة حجرية محفورة على شكل طائر عنقاء مرفوع المخالب استعداداً للهجوم. ثم ابتسم ابتسامة تأمرية واسعة بدأت متناقضة جداً مع الطريقة التي كان يتحدث بها معي من فوق عرشه.

قال وهو يربت إلى جواره على الأريكة: "حسناً، ألم تتلقي رسائلي؟".

كنت مرتبكة جداً حتى بدا نطقي للكلمة كأنني أنق كالضفدع: "ماذا؟".

استمر يقول: "إنك لم تجيبي على أي منها، وقد بدأت أتساءل عما إذا كان طموحك قد تحوّل بشكل خاطئ تجاه العالم الفاني".

لا بد أن هذا اختبار، ولا بد أنه فخ.

قلت بشكل رسمي: "يا جلالة الملك، أعتقد أنك أحضرتني إلى هنا لكي تطمئن إلى عدم ارتدائي أية تعاويذ أو تمائم".

ارتفع أحد حاجبيه في دهشة، واتسعت ابتسامته وهو يقول: "سأفعل إذا كان هذا ما تريدينه، هل أمرك بالتجرد من ملابسك؟ أنا لا أمانع".

قلت أخيرًا في قنوط: "ماذا تفعل؟! ما هذا الذي تتظاهر به؟".

أخذ ينظر إليّ كما لو كنت أنا من أتصرف بغرابة، وقال: "جود، لا يمكن أن تظني أنني لا أعرف أنك أنت، لقد عرفتك منذ لحظة دخولك إلى البلاط".

أومأت برأسي بالنفي في اندهاش: "هذا غير ممكن". إذا كان قد علم بحقيقتي، فما كنت لأبقى هنا، لأصبحت سجيناً في برج النسيان استعداداً لإعدامي.

لكن ربما يكون مسروراً بخرقي بنود النفي، وربما يكون سعيداً بتسليم نفسي إلى قبضته بفعلي، وربما كذلك تسليه هذه اللعبة.

وقف كاردان وكانت نظرتة حادة، وقال بلهجة أمرة: "اقتربي مني".

تراجعت خطوة إلى الخلف.

قطب جبينه وقال: "أخبرني المستشارون عن لقائك بسفير من بلاط الأنبياب وأنت حتمًا تعملين الآن مع مادوك. لم أكن راغبًا في تصديق ما قالوه، لكن برؤيتي للطريقة التي تنظرين بها إليّ الآن، ربما يتعين عليّ تصديقهم. قولي لي إن هذا الكلام غير صحيح".

للحظة لم أستوعب الأمر ثم استوعبته، إنه يتحدث عن جريما موج، فقلت: "أنا لست الخائنة هنا"، وتذكرت فجأة السكين الموجودة في كُم رداي.

سألني: "هل أنت غاضبة من...؟" ثم توقف عن الكلام وهو ينظر إلى وجهي باهتمام أكبر، ثم قال: "لا يمكن، إنك خائفة! لكن لماذا تخافين مني؟".

كانت الانفعالات تعصف بي ولا أكاد أفهم أي شيء، وبكذب أجبتة: "لست خائفة، أنا أكرهك. لقد حكمت بنفسي، وكل ما قلته لي ووعدتني به كان حيلة، وكنت بلهاء لتصديقي لك في المرة السابقة"، وبسهولة وصلت السكين الموضوعة في غمدها إلى يدي.

بادرني بالقول: "بالطبع كانت حيلة..."، وبعدها رأى السلاح وتوقف عن قول ما كان ينوي قوله.

وفجأة، ارتج كل شيء جراء حدوث انفجار قريب وعنيف للدرجة التي جعلتنا نترنح، ثم تساقطت الكتب على الأرض، وانكسرت قوائم الكرات البلورية، فوقعت على ألواح الأرضية. نظر كل منا إلى الآخر بدهشة مشتركة، ثم ضاقت عيناه تجاهي في نظرة اتهام.

في تلك اللحظة كان من المفترض أن أطعنه بالسكين وأفر هاربة.

وبعد لحظات قليلة، تناهت إلينا أصوات صليل السيوف التي يتضارب بعضها مع بعض من مكان قريب.

قال لي: "ابقي هنا"، ثم سحب سيفه وألقى بغمده على الأرض.

بعدها ناداني قائلاً وأنا أتسلل إلى القاعة الخارجية: "جود، لا تفعلني...".

كان أحد حراسه يرقد ميتاً وقد اخترق ضلوعه رمح، بينما يتقاتل آخرون مع جنود مادوك الأكفاء في معركة ضارية. أعلم جنود مادوك جيداً، وأعلم أنهم يقاتلون دون شفقة أو رحمة، ما داموا قد اقتربوا إلى هذه الدرجة من الملك السامي، فإن كاردان قد أصبح في خطر محقق.

فكرتُ ثانية في الممر السري الذي كنت أنوي الهرب منه، حيث يمكنني إخراج كاردان من خلاله - وذلك في مقابل العفو عني. فإما أن يوقف كاردان أمر نفيي ويبقى على قيد الحياة، وإما أن يأمل أن ينتصر حراسه على جنود مادوك. وكنت على وشك أن أعود لكي أعقد معه ذلك الاتفاق حينما أمسك بي أحد الجنود الذين يرتدون الخوذات.

ثم صاح هذا الجندي بصوت أجش: "تارين معي"، ومن خلال الصوت وعرفت أنه لسيلجا التي تنتسب نصفياً إلى جان الهولدرا، وهي مخيفة إلى أقصى حد، وقد رأيت تقطيعها لطائر الحَجَل بطريقة يتضح من خلالها تمامًا أنها تنتشي فرحًا بعملية الذبح ذاتها.

غرست السكين في يدها، لكنها لم تخترق جلد قفازها السميك والتوى نصلها، ثم طوّقت خصري بذراعها المغطاة بالفولاذ.

ثم قال مادوك بصوته الأجش: "ابنتي، ابنتي لا تخشي شيئًا...".

بعدها رفع يده وبها قماشة تبعث منها رائحة سكرية مثيرة للغثيان، وضغط بها على أنفي وفمي، فشعرت بارتخاء أطرافي، وبعد لحظات لم أعد أشعر بأي شيء على الإطلاق.

الفصل 8

عندما استيقظتُ، وجدت نفسي في غابة لا أعرفها، ولم أشم رائحة ملح البحر التي تنتشر -إذا ما وُجدت- في كل مكان، ولم أسمع صوت الأمواج. كل ما رأيته هو نباتات السرخس والعفن المتراكم على أوراق الشجر وطققات النار المتأججة، وأصوات تصدر من على مسافات بعيدة. جلست على بطانيات ثقيلة، وكان هناك المزيد من البطانيات فوقى - البطانيات التي تُغطى بها الأحصنة، ومع ذلك كانت أنيقة. ورأيت في الجوار عربة ذات هيكل متين، وكان بابها مفتوحًا.

كنت لا أزال أرتمي ثوب تارين وقفاز يديها.

قال صوت حنون: "لا تقلقي من شعورك بالدوار، سينتهي بعد قليل"، وكانت صاحبة الصوت هي أوريانا التي جلست على مقربة مني مرتدية ما يبدو كأنه ثوب من الصوف الملبّد فوق تنورة ذات طبقات قماشية متعددة، وكان شعرها مسحوبًا إلى الخلف أسفل قبعة خضراء، ولم تبدُ شبيهة بأية حال بشكلها الذي كنت أعرفها به عندما كانت من أفراد الحاشية الملكية وحتى كزوجة لمادوك.

مررت يدي عبر خصلات شعري الذي صار منسدلاً الآن على الرغم من وجود دبابيس الشعر فيه، وسألته: "أين نحن؟ وماذا جرى؟".

أجابت: "إن والدك لم يتقبّل فكرة بقائك في إلفهايم من الأصل، وبعد فقدانك حماية لوك أصبحت المسألة مسألة وقت قبل أن يتوصل الملك السامي إلى حجة ليجعلك رهينة لديه".

مسحت وجهي بيدي، وهناك بجوار النار كان يوجد جنى طويل تبدو هيئته أقرب إلى الحشرات يقلب محتويات وعاء كبير. سألتني الجنى: "هل تريد حساء أيتها الفانية؟".

أومأت إيجاباً برأسي.

ثم عاد ليسألني مؤملاً أن أجيبه بالإيجاب: "هل تريد أن تصبحي حياء؟" أشاحت أوريانا بيدها تنهره، وأخذت قِدرًا مجاورة للنار من على الأرض، ثم صبت محتوياتها التي تنبعث منها الأبخرة في وعاء خشبي، وكانت الرائحة ذكية تمزج بين رائحتي لحاء الأشجار وفطر عيش الغراب.

أخذت رشفة منه وفجأة شعرت باختفاء شعوري بالدوار.

سألتها وقد تذكرت متى أخذوني: "هل تم أسر الملك السامي؟ هل هو على قيد الحياة؟".

أجابتنني كما لو أن بقاءه على قيد الحياة مثير للإحباط: "لم يستطع مادوك الوصول إليه".

كرهت مدى ارتياحي لسماعي بنجاته.

استدركت: "لكن..."، وكنت على وشك أن أسأل كيف انتهت المعركة، لكنني تذكرت في اللحظة المناسبة أن أتوقف عن الثرثرة. فعلى مر السنين كنت أنا وتارين من آن لآخر نتبادل لعب الأدوار في المنزل، فتنتحل إحدانا شخصية الأخرى، وغالبًا ما كنا ننجح في ذلك ما لم نواصل اللعب لفترة طويلة، أو لم نكشف أنفسنا عبر تصرفاتنا جلية الاختلاف. وبالتالي إذا لم أرتكب أية حماقة، فأمامي فرصة جيدة لإنجاح تظاهري بأني تارين، إلى أن أتمكن من الفرار.

ثم ماذا بعد؟

كان كاردان يتحدث إليّ وقد تجرد من أسلحته، كما لو كان حكمه بإعدامي مزحة مشتركة بيننا. هذا إلى جانب حديثه عن الرسائل، الرسائل التي لم أتلقها قط. ما عساه يوجد فيها؟ هل كان ينوي العفو عني؟ هل كان يعرض عليّ صفقة ما؟

لا يسعني تخيل تسلم خطاب من كاردان، هل كان خطابه قصيرًا ورسميًا؟ أم مليئًا بالثرثرة والقييل والقال؟ أم ملطخًا ببقع الشراب المسكر؟ أم بمثابة خدعة أخرى؟

بالطبع كان خدعة أخرى.

أيًا كان ما ينويه، لا بد أنه يعتقد الآن أنني أعمل مع مادوك، ومع أن الأمر يجب ألا يضايقني، لكنه يضايقني!

أخرجتني أوريانا من دوامة أفكاره وهي تذكّرني وتقول: "كانت الأولوية الأولى لوالدك هي إخراجك من هناك".

قلت لها: "كانت هناك أسباب أخرى، أليس كذلك؟ فلم يكن ليهاجم قصر إلفهايم من أجلي وحدي". كانت الأفكار تعصف بي وتتلاحق في عقلي، ولم أعد واثقة لأي شيء.

قالت بشكل محايد: "أنا لا أتشكك في خطط مادوك، ويجب ألا تفعل ذلك أيضًا".

لقد نسيْتُ كيف كانت أوريانا تلقي بأوامرها لي، وكيف كانت تعاملني دائمًا كما لو كان فضولي سيؤدي من فوره إلى فضيحة في عائلتنا. ومن المزعج الآن بالتحديد أن أتعامل بهذه الطريقة، في حين أن زوجها قد استولى على نصف الجيش من الملك السامي لكي يخطط لانقلاب ضده.

ترددت كلمات جريما موج في جنبات عقلي: لقد عقد بلاط الأنبياء تحالفًا مع الجنرال الأعلى العجوز - والدك - ومجموعة كاملة من الخونة الآخرين، حيث علمتُ من مصدر موثوق أن ملك السامي سيتم خلعُه قبل الاكتمال التالي للقمر. يبدو هذا الآن هو الأمر الأكثر إلحاحًا.

لكن لأنني أعب دور تارين كما هو مفترض، فلن أرد عليها. وبعد قليل، بدا عليها الندم على ما قالتها فاستدركت: "المهم الآن أن تستريح، فلا بد أن حضارك إلى هنا بهذه الصورة

كان عبئًا عليكِ إلى جانب خسارتك للوك".

أجبتها: "نعم، كان عبئًا ثقيلًا. أعتقد أنني بحاجة إلى بعض الراحة، إذا سمحت".

انحنت أوريانا فوقي، وأرجعت شعري المنسدل إلى الوراء بعيدًا عن جبيني، وهي حركة محبة أثق بأنها ما كانت لتقم بها لو عرفت أن من تلمسها هي جود. تحمل تاريخين قدرًا من الإعجاب لأوريانا، وهما مقربتان إحداهما من الأخرى بعكس حالي معها وذلك لأسباب عديدة من ضمنها - وإن لم يكن أهونها شأنًا - إخفائي لأوك في عالم البشر الفاني، بعيدًا عن بلاط إلفهايم. ومنذ ذلك الحين وأوريانا تشعر تجاهي بالامتنان والاستياء في الوقت نفسه. بينما ترى أوريانا في تاريخين شخصًا تفهمه جيدًا - وهذا حسب ظني - وربما لأن تاريخين تشبه أوريانا عمومًا، لكن قتل تاريخين للوك وضع كل ما ظننت أنني أعرفه عن شقيقتي التوأم محل شك وتساؤل.

أغمضت عيني، لكنني في الحقيقة كنت أحاول معرفة كيف أهرب بدلًا من أن أنام.

وفي المرة التالية التي استيقظت فيها، وجدت نفسي محمولة في عربة متحركة، وكان مادوك وأوريانا يجلسان في الدكة المقابلة لي، وكانت الستائر مغلقة، لكنني سمعت أصوات معسكر مرتحل بأكمله متضمنًا الدواب والجنود جميعًا. وسمعت أصوات الهدير المميزة لجان عشيرة الجوبلين وهم ينادي بعضهم بعضًا.

نظرتُ إلى جني القبعة الحمراء الذي رباني، إنه والدي وقاتل والدي. وفهمت عند رؤيتي شاربه أنه لم يحلقه منذ بضعة أيام، وقد بدا الإجهاد على وجهه المألوف وغير البشري.

قالت أوريانا بابتسامة كشفت عن الكثير جدًا من أسنانها ما جعلني أشعر بالضيق لتذكري منظر أسنان جريما موج: "أخيرًا استيقظت؟".

حاولت الابتسام بدوري وأنا أنهض من نومي، ولا أدري هل كان هناك شيء في الحساء قد أفقدني وعيي، أم كان ذلك بفعل ما تبقى في جسدي من تأثير زهرة الموت الهادي التي

جعلني مادوك أستنشق رائحتها، لكنني لا أذكر حملي ووضعي في تلك العربة، ثم سألتها:
"لكم من الوقت ظللت نائمة؟".

أجاب مادوك في لا مبالة: "لقد انقضت ثلاثة أيام منذ تحقيق الملك السامي المُدبر".

شعرتُ بالدوار، وخشيت أن أخطئ فتنكشف حقيقتي، على الأقل لا بد أن سهولة فقدي
وعيي جعلتني أبدو كأني تارين؛ لأنني قبل أن أصبح أسيرة في مملكة البحار، كنت قد
دربت جسدي على أن يكون محصنًا ضد السموم. لكنني الآن بت ضعيفة مثل تارين بالضبط.

إذا حافظت على رباطة جأشي يمكنني الفرار دون أن يعلم أي منهما، وتساءلتُ أي جزء من
حديث مادوك كانت تارين ستركز معه، ربما كل ما هو متعلق بلوك. أخذت نفسًا عميقًا،
وقلت: "لقد قلت لهم إنني لم أقتله، وهذا ما قلته حتى بعد استعمال السحر للتأثير عليّ".

لم ينظر مادوك إليّ كما لو كان يعرف هويتي الحقيقية، لكنه نظر إليّ كما لو كان يعتقد أنني
حمقاء، وقال: "إنني أشك أن هذا الملك الغلام كان ينوي - بأية حال من الأحوال - أن يدعك
تخرجين حية من قصر إلفهايم. لقد حارب بضراوة كي يُبقيك هناك".

قلت في اندهاش وبصوت لا يبدو كصوتي: "كاردان؟".

أمدني بالأنباء وهو يقول في تجهم: "لم يستطع نصف فرساني الخروج من المكان مع أننا
دخلنا بسهولة نسبيًا، لكن البلاط نفسه قد أغلق لتطويقنا، فلقد تصدعت المخارج وتقلصت.
وأعاقت النباتات المعترشة والجذور وأوراق الشجر طريقنا، وأطبقت على رقابنا كما لو
كانت مناجل تضغط على رقابنا وتخنقنا".

حدقت إلى وجهه لفترة طويلة، ثم سألته: "وهل الملك السامي هو الذي فعل ذلك؟"، لا أكاد
أصدق هذا عن كاردان، فقد تركته في الغرفة كما لو كان هو الذي بحاجة إلى الحماية.

قال مادوك: "لم يكن حراسه ضعيفي التدريب أو مختارين بصورة سيئة، كما أنه يعلم مقدار قوته جيدًا، ومن الجيد أننا اختبرنا قوته قبل أن نشن الهجوم الحاسم عليه".

سألته باهتمام: "هل أنت واثق إذن بأن من الحكمة أن نشن هجومًا عليه؟"، لعل هذا الكلام ما كانت تارين لتقوله، لكنه ليس كلامًا كنت لأقوله بهذه الطريقة أنا أيضًا.

أجابني: "إن الحكمة تناسب الودعاء، ونادرًا ما تعود عليهم بالفائدة بقدر ما كانوا يعتقدون. وعلى أية حال وعلى الرغم مما تتمتعين به من حكمة، تزوجتِ لوك في نهاية المطاف! وبالطبع لعلك صرتِ أكثر حكمة الآن من ذي قبل؛ لأن حكمتك فيما مضى جعلت منك أرملة".

وضعت أوريانا يدها على ركبته في لفطة تحذيرية.

أطلق مادوك ضحكة عالية وقال: "ماذا؟ إنني لم أتوان في إخفاء كرهى لهذا الغلام، ولا يمكن أن تتوقعي منى الحزن عليه".

وتساءلت عما إذا كان سيضحك بتلك القوة إذا علم أن تارين قد قتلتها بالفعل. حسنًا، من أخدع بقولي هذا؟! لعله كان سيضحك أكثر، بل لعله كان سيواصل الضحك حتى يملأ!



وأخيرًا توقفت العربة، فقفز منها مادوك ونادى على جنوده، ثم هبطت أنا منها ونظرت في الأرجاء، وكنت مشوشة في البداية بسبب غرابة المشهد العام، ثم بسبب منظر الجيش الواقف أمامي.

كان الثلج يغطي الأرض، وعدد ضخم من المشاعل يضيئها، إلى جانب الكثير من الخيام التي تشكل متاهة. كان بعضها مصنوعًا من جلود الحيوانات، والبعض الآخر مصنوع بتأنٍ

وجهد من القماش الكتاني الملون والصوف والحريير. لكن الأكثر إثارة للدهشة كان مدى ضخامة هذا المعسكر، مع امتلائه بالجنود المسلحين والمستعدين للتحرك لقتال الملك السامي. كما كان يوجد خلف هذا المعسكر باتجاه الغرب قليلاً جبل محاط بسياج نباتي كثيف من أشجار التنوب، وإلى جواره كان يوجد موقع عسكري آخر صغير جداً - مكون من خيمة واحدة وبعض الجنود.

شعرت بأني بعيدة جداً عن العالم الفاني.

سألتُ أوريانا وهي تهبط من العربة خلفي، وتمسك بعباءة لكي تضعها فوق كتفي: "أين نحن؟".

أجابتنني: "إننا على مقربة من بلاط الأنبياب، في منطقة في عمق الشمال، أغلب قاطنيها من العمالقة ومخلوقات الهولدرا".

إن بلاط الأنبياب هو بلاط جان الأنسيلي حيث أحتجز كل من الصرصور والقنبلة كسجينين، ومن هنا نُفيت جريماً موج، وهو آخر مكان أود أن أكون فيه - ولا يوجد سبيل واضح للفرار.

قالت أوريانا: "تعالى، دعينا نهيبى مكاناً لك".

قادتني عبر المعسكر، وتجاوزنا مجموعة من العمالقة يرتدون جلود حيوان الموز، ثم تجاوزنا الأقسام ومخلوقات الجوبلين، وهم يتغنون بأناشيد الحرب، ومررنا بنساج يُصلح مجموعة من دروع الإخفاء أمام النار. وعلى مسافة منا سمعت أصوات صليل سيوف، وأصوات حيوانات، وأصوات أخرى مرتفعة. كان الهواء مشبعاً بالدخان، والأرض موحلة من أثر الأقدام وذوبان الجليد. وعلى الرغم من تشوشي حاولت التركيز على ألا أضل من أوريانا وسط كل هذا الحشد. وأخيراً وصلنا إلى خيمة تبدو مخصصة لأغراض عملية على

الرغم من كبرها الملحوظ، وفي مدخلها وُضع زوج من الكراسي الخشبية المتينة المغطاة بجلد الخراف.

ثم تحوّل بصري إلى خيمة لافتة المنظر ومحكمة الصنع تقع على مقربة منا وتستقر فوق أقدام مخلبية ذهبية، وتطل على العالم من حولها كما لو كان في مقدورها أن تهرول مسرعة في أي اتجاه إذا أمرها مالکها بذلك. بينما كنت أهدق إلى الخيمة خرج منها جريمسين، وهو الحداد الذي صنع التاج الدموي وغيره من أغراض الجان الكثيرة الشهيرة، إلا أنه لم يزل يتوق إلى تحقيق شهرة ومجد أكبر. كان يرتدي ثيابًا أنيقة لدرجة قد يظن معها البعض أنه أمير، وعندما رأيَ نظري بخبث، فحوّلت عيني بعيدًا عنه.

بانزعاج ذكرتني خيمة مادوك وأوريانا من الداخل بالمنزل، وكانت فيها زاوية بمثابة مطبخ مؤقت، حيث تعلق فيها الأعشاب المجففة إلى جانب النقانق المجففة والزبد والجبن.

قالت أوريانا وهي تشير إلى حوض نحاسي يمتلئ نصفه بالثلج في الزاوية الأخرى: "يمكنك الاستحمام، حيث نضع لوحًا معدنيًا في النار، ثم نغمسه في الماء وبعدها يسخن كل شيء سريعًا".

أومأت برأسي وأنا أفكر كيف يتعين عليّ مواصلة إخفاء يدي. لن يكون مستغربًا، على الأقل في هذا البرد، أن أبقى بالقفازين، وقلت لها: "أريد فقط أن أغسل وجهي، وأرتدي بعض الملابس الأكثر دفئًا".

قالت أوريانا: "بالطبع يا عزيزتي"، وتحركت بنشاط في المساحة الصغيرة، فأحضرت رداءً أزرق ثقيلًا، وجوربًا، وحذاء ذا رقبة. وخرجت ثم عادت بعد دقائق قليلة، ومعها خادمة تحمل وعاء به مياه ساخنة تتصاعد منها الأبخرة ووضعت على الطاولة إلى جوار الملابس. كانت المياه معطرة برائحة نبات العرعر.

قالت أوريانا وهي تضع عباءتها: "سأتركك لكي تغتسلي، وسنتناول العشاء اليوم في بلاط الأنياب".

وفي مقابل لطفها رددت ببعض الحرج لمعرفتي أن هذا اللطف ليس موجهاً لي أنا جود: "لا أريد إزعاجك".

لكنها ابتسمت ولمست وجنتي وقالت: "إنك فتاة طيبة"، وجعل تصرفها هذا وجهي يحمر خجلاً من الحرج فعلياً.

أنا لم أكن قط فتاة طيبة.

وبعدما ذهب أوريانا، كنت سعيدة لبقائي بمفردتي، وبحثت في أنحاء الخيمة لكنني لم أجد أية خرائط أو خطط للمعركة. تناولت بعض الجبن، وغسلت وجهي، وإبطي، وكل ما استطعت يداي أن تصل إليه، وبعدها تفرغرت بزيت النعناع ونظفت لساني.

وأخيراً، ارتديت الملابس الثقيلة والأكثر دفئاً، وصدفت شعري ببساطة على شكل ضفيرتين مشدودتين، واستبدلت بقفازي المخملي آخر من الصوف - مع حرص على أن يبدو الحشو الموجود في أعلى إصبعي المقطوع مقنعاً.

وبحلول الوقت الذي انتهت فيه، كانت أوريانا قد عادت، وقد أحضرت معها عددًا من الجنود وهم يحملون حشية لفراش من الفرو وبعض البطاطين، وقد رتبهم ليصنعوا مخدعاً لي محجوباً بالستائر.

قالت أوريانا وهي تنتظر رد فعلي: "أظن أن هذا مناسب لك".

ابتلعت دافعي لشكرها، وقلت: "هذا أفضل مما يمكن أن أطلبه".

وحيثما غادر الجنود الخيمة، تبعتهم عبر بابها. وفي الخارج استعنت بشمس المغيب لمعرفة موقعي، ونظرت ثانية إلى أعداد الخيام الهائلة، وتمكنت من تمييز الفصائل الموجودة: كان

جنود مادوك يرفعون شعاره على خيامهم، وهو عبارة عن هلال يبدو أشبه بوعاء مفتوح من جانب واحد، وتميزت خيام بلاط الأنياب برفع أعلام عليها ما يبدو كأنه سلسلة جبلية كئيبة المنظر، وبالإضافة إلى بلاطين ملكيين آخرين أو ثلاثة، إما أنهم محدودو العدد أو كانت أعداد من تم إرساله من جنودهم قليلة. فقد قالت جريما موج: مجموعة كاملة من الخونة الآخرين.

لم يسعني سوى أن أفكر بطريقة الجواسيس التي اعتدتها، ولم يسعني سوى أن أرى أنني في مكان مثالي لاكتشاف خطة مادوك، لأنني في معسكره بل في خيمته، وبالتالي يمكنني اكتشاف كل شيء.

لكن هذا جنون مطبق، كم من الوقت سيمضي قبل أن يكتشف مادوك أو أوريانا أنني جود ولست تارين؟ أذكر العهد الذي قطعه مادوك على نفسه، وقوله: "وعندما أتفوق عليك، سأفعل ذلك بالطريقة ذاتها التي أتبعها مع أي منافس أظهر أنه ند لي". يبدو عهده كإهانة في صيغة مدح، لكنه أيضًا تهديد مباشر. فأنا أعرف جيدًا ما يفعله مادوك بأعدائه - يقتلهم ثم يغمس قبعته في دمائهم.

وماذا يهم في ذلك؟ أنا في المنفى ومطرودة.

لكنني إذا حصلت على خطط مادوك، يمكنني مقايضتها بإبطال وإنهاء قرار نفيي، لا بد أن كاردان سيوافق على ذلك، عندما أقدم له الوسائل اللازمة لإنقاذ مملكة إلفهايم. هذا إن لم يعتقد، بالطبع، أنني أكذب.

في هذا الموقف كانت فيفي تقول لي إن عليّ أن أتوقف عن القلق بشأن الملوك والحروب، وأوجه قلقي بدلًا من ذلك إلى مسألة عودتي إلى منزلي. وبعد نزالي مع جريما موج، يمكنني مطالبة بريرن بمهام أفضل. كما أن فيفي محقة في أننا إذا توقفنا عن التظاهر بعيش حياة بشرية كباقي البشر، فسيصبح لدينا عالم أرحب للعيش فيه. ونظرًا لما أسفرت عنه نتائج التحقيق، فالأرجح أن تارين لن تتمكن من العودة إلى أرض الجان.

على الأقل حتى يستولي مادوك على الحكم.

وربما يستحسن أن أدع ذلك يحدث.

لكن هذا يعيدني إلى أمر آخر لا يمكنني تجاوزه. وعلى الرغم من سخافته، لا يسعني إيقاف الغضب الذي يعتل داخلي ويُدمي قلبي بسببه:

أنا ملكة إلفهايم.

مع أنني ملكة في المنفى، فإنني لا أزال الملكة.

وهذا يعني أن مادوك لا يحاول الاستيلاء على عرش كاردان فقط، وإنما على عرشي أنا أيضًا.

الفصل 9

تناولنا العشاء في خيمة بلاط الأنياب، وكانت أكبر من خيمة مادوك ثلاث مرات على أقل تقدير، ومزينة بعناية كأنها قصر. وداخلها كانت الأرضية مغطاة بالسجاد والفراء، وتندلى من سقفها المصابيح، وتضيئ على مائدتها الشموع الطويلة المصنوعة من الدهون، إلى جانب أواني الشراب وأوعية توت أبيض مغطى بالثلوج وهو نوع من التوت لم أره قط من قبل، وفي أحد أركانها كانت هناك عازفة تعزف على آلة القيثارة، واستمرت موسيقاها تندفق أثناء حديثنا.

في وسط الخيمة كانت هناك ثلاثة عروش - اثنان كبيران وواحد صغير. وبدا لي أنها منحوتة من الثلج، وبداخلها زهور وأوراق شجر مجمدة. كان كرسي العرش الكبيران شاغرين، بينما شغلت الكرسي الصغير فتاة زرقاء البشرة على رأسها تاج من رقاقت الثلج ولجام ذهبي يطوق فمها وحنجرتها. ولم يبدو أن عمرها يزيد على عمر أوك إلا بعام أو اثنين، وكانت ترتدي ثوبًا من الحرير الرمادي غير المنفوش، وتنظر إلى أصابعها وهي تحركها بلا انقطاع، كما كانت أظافرها مقضومة ومتقشرة وتُظهر الدماء في أطراف أناملها.

لو كانت هذه هي الأميرة فلن يتعذر عليّ معرفة الملك والملكة، حيث كانا يرتديان تاجين مصنوعين من رقاقت ثلج كبيرة الحجم وأكثر بروزًا، ويتسمان ببشرتيهما الرمادية مثل لون الأحجار أو بشرة الجثث، وأعينهما كانت صفراء وصافية وذات لمعة مميزة. وكان ثوباهما باللون الأزرق المطابق للون بشرة ابنتهما، فصار الثلاثة كأنهم نماذج متماثلة.

ثم قالت لي أوريانا بهدوء: "هؤلاء هم السيدة نور واللورد جاريل وابنتاهما الملكة سورين". إذن، الفتاة الصغيرة هي الحاكمة؟"

وللأسف لاحظت السيدة نور تحديقي إليها فقالت بازدراء مألوف: "كائن فان! ما سبب وجودها؟".

ألقى مادوك نظرة اعتذارية تجاهي وقال: "اسمحوا لي بأن أقدم لكم تاريخين، إحدى ابنتي بالتبني، وقد أتيت على ذكرها لكم من قبل".

فقال اللورد جارييل وهو يشارك في الحديث: "ربما حدث ذلك"، كانت نظرتة حادة وتمائل نظرة بومة لفأر تائه يصعد مباشرة نحو عَشَّها.

انحنيت لأقدم التحية كأفضل ما يكون، وقلت: "أنا سعيدة لوجود مكان لي بينكم هنا الليلة".

نقل اللورد جارييل نظرتة الباردة إلى مادوك، وقال: "هذا مسلٌ، إنها تتحدث كما لو كانت تعتقد أنها واحدة منا".

كنت قد نسيت في السنوات السابقة كيف يكون شعوري بالعجز التام مع وجود مادوك بمفرده لكي يحميني، والآن تتوقف تلك الحماية على عدم تخمينه الصحيح لأي من ابنتيه تجلس إلى جواره. نظرت إلى اللورد جارييل بخوف بادٍ في عيني إذ لم أحتج للتظاهر بهذا الخوف، وكرهت مدى اتضاح سروره لرؤيته.

فكرت في كلمات القنبلة عما فعله بها بلاط الأنياب هي والصرصور: لقد عذبوا جسدنا، وقيدونا بالكثير من اللعنات والتعاويد، وغيروا طبيعتنا وأجبرونا على خدمتهم.

وذكَّرت نفسي بأنني لم أعد الفتاة التي كنت عليها في السابق، وصحيح أنهم يحيطون بي، لكن هذا لا يعني عجزي، وأقسمت أن اللورد جارييل هو من سيشعر بالخوف مني في يوم من الأيام الأتية.

لكني اكتفيت في الوقت الحالي باللجوء إلى زاوية متوارية جلست فيها على الأعشاب أتفحص المكان. وتذكرت تحذير مجلس المستشارين بأن بعض حكام الممالك كانوا يتهربون من القسم بالولاء للملك السامي عبر إخفاء أطفالهم في العالم الفاني، ثم توليتهم مقاليد الحكم. وتساءلت عما إذا كان هذا ما جرى هنا، وإذا كانت الحال كذلك، فلا بد أن

تخلي اللورد جارييل والسيدة نور عن منصبيهما الرسميين قد ساءهما، وضغط على أعصابهما إلى حد أنهما ألجما فم ابنتهما.

من المثير للاهتمام رؤية أمارات التباهي والاستعراض - التيجان والعروش والخيمة الفاخرة - مع دعمهم الظاهري لمحاولة وصول مادوك إلى عرش الملك السامي، وهو الأمر الذي إذا تحقق فسيضعه في مرتبة أعلى منهم كثيرًا. لا أصدق هذا الزعم، صحيح أنهم قد يدعمونه الآن لكنني واثقة بأنهم يأملون في إزاحته فيما بعد.

وفي تلك اللحظة دخل جريمسين إلى الخيمة وهو يرتدي عباءة قرمزية عليها دبوس صدر على شكل قلب من المعدن والزجاج المنفوخ، وقد بدا كأنه ينبض. تحوّل انتباه السيدة نور واللورد جارييل إليه، وقد حوّل جمود وجهيهما إلى ابتسامات باردة.

نظرت نحو مادوك، لكنه بدا أقل سعادة لمراى الحداد.

وبعد تبادل القليل من المجاملات، قادتنا السيدة نور واللورد جارييل نحو المائدة، وقد قادت السيدة نور الملكة سورين بلجامها. وبينما كانت الملكة الطفلة تُقاد إلى المائدة، لاحظت وجود أشرطة موضوعة بشكل غريب على جلدها، كما لو كانت مغروسة فيه جزئيًا، ودفعتني وميض الأشرطة الجلدية على اعتقاد أنها مسحورة.

وقد تساءلت عما إذا كان هذا الشيء المرعب من صنع جريمسين.

عند رؤيتي قيد الطفلة لم يسعني سوى التفكير في أوك، ونظرت إلى أوريانا وأنا أتساءل عما إذا كانت قد تذكرته بدورها، لكن وجهها كان هادئًا ولا يحمل أية تعبيرات، كما لو كان أشبه بوجه بحيرة متجمدة.

ذهبنا إلى المائدة حيث أجلسوني إلى جوار أوريانا، وفي الناحية المقابلة لجريمسين الذي عندما لاحظ قرطي الشمس والقمر اللذين كنت أرديهما في أذني أشار إليهما.

ثم قال: "لم أكن واثقًا بأن شقيقتك ستتخلي عنهما".

ملت إلى الأمام، ولمست شحمة أذني بأصابعي وأنا لا أزال مرتدية قفازي، وقلت له لمعرفتي بمدى ولعه بالمديح: "إن عملك رائع دومًا".

نظر إليّ بإعجاب وأظن أنه كان يفخر بعمل يديه، وإذا كان يراني جميلة فهذا يرجع إلى جمال ما صنعه لي ابتداءً.

كان من المفيد لي أيضًا أن أجعله يواصل الحديث، فلا يوجد هنا من يرجح أن يُطلعني على الكثير من الأمور سواه. وحاولت أن أتخيل ما قد تقوله تارين في مثل هذا الموقف، لكن كل ما استطعت التوصل إليه هو المزيد مما يحب جريمسين سماعه، فخفضت صوتي ليصدر كالهمس: "لا أكاد أستطيع خلعهما حتى في الليل".

تباهى قائلاً: "إنهما مجرد حلي".

عقبت على كلامه: "لا بد أنك تعتقد أنني شديدة السذاجة، لكنني أعلم جيدًا أنك صنعت ما هو أعظم كثيرًا، ومع ذلك هذان القرطان قد أسعداني جدًّا".

نظرت إليّ أوريانا بشكل غريب، هل ارتكبت خطأ؟ هل تشك فيّ؟ تسارعت ضربات قلبي.

قال جريمسين: "يجب أن تأتي لزيارة ورشتي للحدادة، واسمحي لي بأن أريك كيف يبدو السحر حقًّا".

استطعت أن أجيبه: "سيسعدني هذا كثيرًا"، على الرغم من تشتت انتباهي بسبب إحباطي وقلقي من احتمالية كشف حقيقتي جراء دعوة جريمسين لي. فلو أنه اكتفى فقط بالتباهي بأعماله هنا بدلاً من تحديده موعدًا لزيارته لهان الأمر! لكني لا أريد الذهاب إلى ورشة الحدادة، وأريد الخروج من هذا المعسكر. إن المسألة مسألة وقت قبل أن ينكشف أمري، وإذا كنت سأعرف أي شيء فعليّ أن أعرفه سريعًا.

تصاعد شعوري بالإحباط مع توقف المحادثة لوصول المزيد من الخدم الذين أحضروا العشاء، وكان عبارة عن قطعة هائلة الحجم من لحم دب مشوي مقدمة مع ثمار الكلاودبيري. وجذب أحد الجنود اهتمام جريمسين في مناقشة عن دبوس الصدر الذي يضعه. وإلى جوارى كانت أوريانا تتحدث عن قصيدة ما لا أعرفها مع أحد أفراد حاشية بلاط الأنياب، وبعدها لم يعد انتباهي موجهًا لأحد ركزت على تمييز صوتي مادوك والسيدة نور، حيث كانا يتناقشان بشأن من يمكن استمالة إلى صفوفهما من حكام الممالك الأخرى. سألت السيدة نور: "هل تحدثت مع بلاط النمل الأبيض؟".

أومأ مادوك برأسه بالإيجاب، وقال: "إن اللورد رويبين غاضب جدًا من ملكة البحار ولا يمكنه أن يقبل بحرمان الملك السامي له من حقه في الانتقام".

قبضت أصابعي على سكيني، فقد عقدت اتفاقية مع رويبين وقتلت بالكين تنفيذًا لها وحفاظًا عليها. وكانت هذه هي الحجة التي نفاني بسببها كاردان، وما يجعلك تشعر بالمرارة هو التفكير في أنه بعد كل هذا، قد يفضل اللورد رويبين الانضمام إلى مادوك.

لكن بغض النظر عما يريده اللورد رويبين، فقد أقسم على الولاء للتاج الدامي. وعلى الرغم من احتيال بعض حكام الممالك - مثل حكام بلاط الأنياب - للتحرر من عهود أسلافهم، فإن معظم الحكام لا يزالون مقيدين بها، بمن في ذلك رويبين. فكيف إذن يعتقد مادوك أن بإمكانه إعفاءهم من الالتزام بتلك الموائيق؟ فمن دون وجود وسيلة للتحرر منها، لن تمثل تفضيلات الممالك الأدنى لمن يملك السلطة أية أهمية، وسيتعين عليهم اتباع الحاكم الوحيد المتوج بالتاج الدموي: الملك السامي كاردان.

لكن ولأن تارين ما كانت لتقل أيًا من ذلك، لذت أنا بالصمت بينما تدور الأحاديث من حولي. وفي وقت لاحق في خيمتنا، حملت أباريق مشروب العسل المسكر وأعدت ملء الكئوس لجنرالات مادوك. ولم أكن مميزة بما يجعلهم ينتبهون إليّ - بل كنت في نظرهم ابنة مادوك البشرية وحسب، وواحدة رآها أغلبيتهم بشكل عابر، ولم يشغلوا تفكيرهم بها. ولم تكن لديّ

فرصة لفعل أي تصرف آخر غريب، فإذا كنت اعتقدت أنني تصرفت بغرابة مع جريمسين، فلن أعطي أوريانا الآن سببًا آخر يزيد من شكها بي.

شعرت بانجذاب فطري تجاه دوري القديم كابنة مادوك فحسب، ومدى سهولته واستعدادي للغوص داخله كما لو كان بطانية ثقيلة.

بدا من المستحيل لي في تلك الليلة أن أبدو بأية صورة تخالف صورة ابنته المطيعة.

عندما ذهبت لكي آوي إلى فراشي، ذهبت والمرارة في حلقي. مرارة لم أشعر بها منذ وقت طويل، مرارة نتجت عن عدم قدرتي على التأثير على مجريات الأمور المهمة، مع أنها تحدث أمام ناظريّ.

لاحقًا استيقظت في فراشي وفوقي كم هائل من البطاطين والفراء، ثم شربت شايًا ثقيلًا إلى جوار حفرة النار، وتمشيت قليلًا لتنشيط أطرافي، وتنفست الصعداء عندما رأيت أن مادوك قد خرج بالفعل.

قلت لنفسني: اليوم، اليوم يجب أن أجد طريقة للخروج من هنا.

ألقيت نظرة على الخيول التي أتت بنا إلى هذا المعسكر، ربما يمكنني سرقة واحد منها، لكنني لست فارسة جيدة في ركوب الخيل، بل أقل من المتوسطة. ومن دون خريطة قد أضل طريقي بسهولة، والأرجح أن مادوك يحتفظ بالخرائط معًا في خيمة التخطيط للحرب، ربما يمكنني التحجج بذريعة ما لكي أذهب إليه وهو فيها.

سألت أوريانا آملّة الرد بالإيجاب: "هل تعتقد أن مادوك قد يرغب في تناول الشاي؟".

أجابتنني بلطف: "إذا كان يريد يمكنه أن يرسل خادمًا لإعداده، لكن هناك العديد من المهام المفيدة لكي تشغلي بها وقتك حيث سنقوم نحن سيدات البلاط بالتجمع وحياسة الشارات والرايات، إذا كنت ترغبين في ذلك".

لا يوجد شيء سيشي بحقيقة هويتي أسرع من خيبتني في أشغال الإبرة، حتى إن وصفي بأنني لا أجيدها ينطوي على قدر من الإطراء.

أخبرتها على سبيل التنبيه: "لا أظن أنني مستعدة بعد للجواب عن أسئلة بخصوص لوك".

أومأت برأسها في تعاطف، حيث تجعل الثرثرة في مثل تلك التجمعات الوقت يمر بشكل أسرع، ومن غير المستغرب التفكير في إثارة الحديث خلالها عن الزوج الميت.

ثم اقترحت: "يمكنك أن تأخذي سلة صغيرة وتذهبي لجلب بعض الثمار، لكن عليك البقاء في الغابة وعدم الخروج إلى المعسكر، وإذا رأيت الحراس، فأظهري لهم ختم مادوك".

حاولت ألا أظهر حماسي لاقتراحها وأنا أقول: "حسنًا، سأفعل ذلك".

وبينما كنت أرتمي عباءة قد استعرتها، وضعت أوريانا يدها على ذراعي.

وقالت: "سمعتك تتحدثين مع جريمسين أمس، عليك أن تحذري منه"، أتذكر تحذيراتها الكثيرة على مر السنين في الاحتفالات، حيث جعلتنا نعدّها ألا نرقص، وألا نتناول أي شيء، وألا نفعل أي شيء من شأنه أن يتسبب في إحراج مادوك. هذا بخلاف أسبابها الأخرى؛ فقبل أن تصبح أوريانا زوجة مادوك، كانت من محبوبات الملك السامي إلدريد، وقد رأت محبوبات أخريات - ومن بينهن صديقتها المقربة - يُسمّمن. لكن بغض النظر عن كل ذلك تظل تحذيراتها مزعجة.

أجبتها: "سأفعل، سأكون حذرة".

نظرت أوريانا إلى عيني وقالت: "يريد جريمسين الكثير، وإذا تصرف بلطف زائد فقد يرغب فيك أنت أيضًا. فقد يشتهيكَ بسبب جمالك مثلما يريد المرء جوهرة نادرة لنفسه، أو قد يطلبك فقط لكي يرى ما إذا كان مادوك سيتخلى عنك أم لا".

قلت لها وأنا أحاول أن أبدو كشخص لا تحتاج إلى أن تقلق عليه: "أفهم هذا".

تركنتني أمضي, وقد ارتسمت على فمها ابتسامة شاحبة, حيث اعتقدت أن كلاً منا تفهم الأخرى.

وفي الخارج, اتجهت نحو الغابة ومعني سلتي الصغيرة, وبمجرد عبوري خط الأشجار توقفت, وقد استرحت لتحرري من الدور الذي كنت أعبه. يمكنني الاسترخاء قليلاً, فأخذت أنفاساً عميقة وفكرت في خياراتي. ومرة بعد أخرى كان تفكيري يعيدني إلى جريمسين, إذ على الرغم من تحذيرات أوريانا, فهو يمثل أفضل الاحتمالات لإيجاد طريق لخروجي من هنا. ومع كل ما لديه من حلي سحرية, ربما أجد لديه جناحين معدنيين يطيران بي إلى المنزل أو مزلجة سحرية تجرها أسود الصخور البركانية, وحتى إذا لم أجد لديه أيّاً من ذلك, فإنه على الأقل لا يعرف تاريخين بالدرجة التي تجعله يشك بي.

وإذا أراد مني شيئاً لا أريد أن أمنحه إياه, فإن لديه عادة سيئة, وهي أنه يترك السكاكين في كل مكان, وهذا بوضوح أمر يفيدونى .

سرت صعوداً عبر الغابة حتى وصلت إلى أرض عالية, ومن هناك تمكنت من رؤية المعسكر وكل خيامه, وكذلك رأيت ورشة الحدادة المؤقتة وكانت بعيدة قليلاً عما سواها من خيام, وكان دخانها يتصاعد بكميات هائلة من خلال مداخنها الثلاث. كما رأيت خيمة كبيرة ومستديرة في المعسكر في منطقة كانت مركزاً للنشاط, وربما تكون هي الخيمة التي يوجد بها مادوك وتوجد بها الخرائط.

وكان هناك شيء آخر رأيته عند رؤيتي المعسكر في المرة الأولى, فقد لاحظت وجود معسكر صغير عند سفح الجبل بعيد عن بقية الخيام. لكن من هنا أمكنني أيضاً أن أرى كهفًا يقف حارسان عند مدخله.

هذا غريب. فهو يبدو بعيداً عن أي شيء آخر, لكن وفقاً لما قد يوجد داخله ربما يكون هذا هو سبب بعده, لأنه بعيد بالدرجة التي تكفي لانقطاع أعلى أصوات الصراخ دون أن يسمعها أحد.

وبارتعادة خفيفة توجهت نحو ورشة الحدادة.

تابعتني نظرات بعض الجان من عشيرتي الجوبلين والجريج وآخرين من ذوي الأنياب المسننة بأجنحتهم الرقيقة حتى وصلت إلى الحافة الخارجية للمعسكر. وسمعت أصوات هسهسة وأنا أمضي، كما لعق أحد الغيلان شفثيه في إشارة لا تدل قطعًا على الترحاب، ومع هذا لم يوقفني أحد.

كان الباب المؤدي إلى ورشة جريمسين للحدادة مفتوحًا، ورأيت في الداخل وقد خلع قميصه وحتى جسده المشعر والقوي رغم نحوله ليعمل على نصل كان يدق عليه بالمطرقة. كانت الحرارة في ورشة الحدادة حارقة، والهواء كثيف بفعل الحرارة، وتتبعث منه رائحة سائل الكريوزوت الزيتي الكريهة. وفي الأرجاء كانت هناك مجموعة من الأسلحة والحلي التي تختلف تمامًا عما تبدو عليه: قوارب معدنية صغيرة، ومجموعة من دبابيس الصدر، وكعوب فضية للأحذية ذات الرقبة، ومفتاح يبدو كأنه منحوت من البلور.

خطر ببالي العرض الذي أرادني جريمسين أن أنقله إلى كاردان قبل أن يقرر أن هناك مجددًا أعظم يكمن في الخيانة: سأصنع له درعًا من الثلج تصد أية ضربة من أي نصل، وستجعل هذه الدرع قلبه شديد البرودة حتى لا يشعر بأية شفقة. أخبريه بأنني سأصنع له ثلاثة سيوف تحارب بقوة ثلاثين جنديًا عند استخدامها في المعركة نفسها.

أكره أن أفكر في وقوع كل هذا بين يدي مادوك.

ثم أفقت من أفكاري، وطرقت على إطار باب الورشة.

رأني جريمسين ووضع المطرقة جانبًا، وقال: "الفتاة ذات القرطين".

قلت أذكره: "لقد دعوتني للحضور. آمل أنني لم أكن قد جئت في وقت مبكر، لكن فضولي كان شديدًا، هل يمكنني أن أسألك ماذا تصنع، أم أن هذا سر؟".

بدا أن كلامي قد أسعده، فأشار بابتسامة إلى قضيب معدني يعمل عليه، وقال: "أصنع سيفًا سيشق سماء إلفهايم. ما رأيك بهذا أيتها الفتاة الفانية؟".

من ناحية، إن جريمسين صنع عددًا من أعظم الأسلحة على الإطلاق، لكن هل تركز خطة مادوك حقًا على اختراق جيوش إلفهايم؟ فكرت في كاردان الذي يجعل البحر يغلي، والعواصف تهب، والأشجار تذبل، كاردان الذي يحوز ولاء العشرات من حكام ممالك البلاط الأدنى، وهو الأمر على كل جيوشهم. هل يمكن لسيف أي شخص أن يتصدى لكل هذا حتى إذا كان أعظم سيف صنعه جريمسين على الإطلاق؟

قلت بحيادية: "لا بد أن مادوك ممتن لوجودك إلى جواره، ولوجود مثل هذا السلاح الموعود".

قال وهو ينظر إليّ بعينين ماكرتين: "لا بد أن يكون ممتنًا، لكن هل هو كذلك؟ عليك أن تسأليه بنفسك، نظرًا لأنه لم يتحدث عن أي امتنان. وإذا حدث أن ألفت البعض أغاني تشيد بي، فهل سيهتم بسماعها؟ لا. إنه يقول لا يوجد وقت للأغاني، وأتساءل عما إذا كان شعوره سيختلف إذا كانت الأغاني تشيد به هو".

على ما يبدو لم يكن تشجيعه على التفاخر هو ما حثه على الكلام، بل إنكاء استيائه.

قلت وأنا أؤكد تلك النقطة: "إذا أصبح مادوك الملك السامي المقبل، فسيتم إنشاد الكثير من الأغاني عنه".

اكفهر وجه جريمسين وتلوى فمه قليلاً تعبيرًا عن الاستياء.

واصلت: "في حين أنك الحداد البارِع منذ عهد الملكة ماب وكل من أعقبوها، لا بد أن حكايتك أكثر تشويقًا من حكايته - ومادتها أكثر ثراءً للأغاني الشعبية"، خشيت أن أكون قد أفرطت في الكذب، لكنني رأيت وجهه يشع بالفخر.

ثم تذكر قائلاً: "آه الملكة ماب! عندما أتت إليّ لصنع التاج الدموي، فإنها ائتمنتني على شرف عظيم، وقد أقيتُ تعويذة عليه لحمايته على مر الزمن".

ابتسمت لأشجعه، وكنت أعلم هذا الجزء من حكايته، فقلت: "إن قتل من يرتديه يتسبب في مصرع المسئول عن قتله".

قال في تلهف: "أريد لعملي أن يبقى، تمامًا كما أرادت الملكة ماب لسلاستها أن تبقى. لكنني أهتم أيضًا بأبسط ما تصنعه يداي". ومد يده ليلمس قرطي بأصابعه المسودة بالسخام، ثم مسح شحمة أذني بيده الدافئة والقاسية، تخلصت من يده بما كنت أرجو أن يراه كضحكة محتشمة وليست زمجرة غاضبة.

قال: "لنأخذ هذا القرط كمثال؛ إنه يعلو في قَدْرِهِ عن الجواهر، لكن جمالك سيذوي ولو بعد حين - ولا أقصد هنا القدر من الجمال الذي يضيفه عليكِ القرطان مهما كان عظيمًا فحسب، وإنما كل جمالك، حتى تملأ التجاعيد بشرتكِ وتؤدي مجرد رؤيتك إلى دفع الجميع للصراخ، حتى إن كانوا من معشر الجان".

حاولت السيطرة على رغبتني في خلع القرطين من أذنيّ نزعًا، وسألته: "هل أقيت تعويذة عليهما أيضًا؟".

فابتسم ابتسامة ماكرة وقال: "لا يبدي الجميع احترامهم اللائق للحرفي البارع كما تبدينها أنتِ يا تارين ابنة مادوك، ولا يستحق الجميع هداياي".

تأملت كلامه لوهلة، وتساءلت عن مجموع مصنوعاته التي خرجت من ورشته، وتساءلت عن كم منها كان مصحوبًا بالتعاون.

سألته: "هل كان هذا سبب نفيك؟".

أجابني: "كرهت الملكة السامية حصولي على الكثير من الإشادات لبراعتي الفنية، ولهذا لم تتوانَ في نفيي عندما تبعت إدركينج إلى المنفى"، خمنتُ أن إجابته تعني نعم، ثم أضاف: "إنها تحب أن تكون وحدها النابغة".

أومأت برأسي كما لو أنه لا يوجد أي شيء يدعو إلى القلق في تلك الحكاية، وتسارعت أفكارِي وأنا أحاول تذكر كل ما صنعه وسألته: "ألم تُهدِ قرطًا إلى كاردان عند قدومه لأول مرة إلى إلفهايم؟".

أجابني جريمسين: "لديك ذاكرة جيدة"، وآمل أن تكون ذاكرتي أفضل من ذاكرته لأن تاريخي لم تحضر حفل القمر الدموي، ثم واصل كلامه: "إنه يتيح له أن يسمع حديث البعيدين عن نطاق سماعه، إنه أداة رائعة لاستراق السمع".

انتظرت في ترقب.

ثم ضحك وهو يقول: "ليس هذا ما تريدين سماعه، أليس كذلك؟ نعم كانت عليه تعويذة، فبكلمة مني يمكنني تحويل القرط إلى عنكبوت ياقوتي اللون يأكل جسده حتى يموت".

سألته: "هل استخدمت تلك التعويذة؟"، وأخذت أتذكر ما رأيته في مكتب كاردان حيث كان هناك عنكبوت أحمر لامع يحفر في الزجاج بلا هوادة، وامتلات نفسي برعب جمّد الدماء في عروقي لمأسة تم تجنبها بالفعل - وبعدها امتلات نفسي بغضب عارم.

هز جريمسين كتفيه قائلاً: "إنه لم يزل حيًّا، أليس كذلك؟"

إنها إجابة ملائمة لأهل أرض الجان، فمع أن الجواب يبدو بالنفي، ففي الحقيقة أن الحداد حاول لكنه لم ينجح.

كان ينبغي لي أن أضغط عليه لمعرفة المزيد، وسؤاله عن السبيل للفرار من المعسكر، لكن لم يسعني تحمل الحديث معه ولو دقيقة أخرى دون أن أغرس في جسده أحد الأسلحة

التي لديه. سألته وقد ضغطت على أسناني بعد أن بدت ابتسامتي المصطنعة كما لو كانت تكشيرة: "هل يمكنني العودة لزيارتك ثانية؟".

لم تعجبني النظرة التي رمقني بها كأنني حجر كريم يريد أن يضعه في إطار معدني يليق به، وقال: "بكل سرور"، ثم أشار بيده عبر أنحاء الورشة إلى كل الأغراض الموجودة بها، وقال: "كما ترين، أنا أحب كل ما هو جميل".

الفصل 10

بعد زيارتي لجريمسين، عدت إلى الغابة ثانية، وصدري يختلج بنزعة عدوانية متأججة، لكي أحضر ما وعدت بإحضاره من طعام، عبر جمع ثمار توت الروان، ونبات حماض الزهور، ونبات القُرَّاص، والقليل من زهور نبات الموت الهادي، والكثير من فطر عيش الغراب البني. ركلت حجرًا فتدحرج حتى أعماق الغابة، ثم ركلت حجرًا آخر، وهكذا حتى ركلت الكثير من الأحجار قبل أن تتحسنَّ حالتي المزاجية قليلًا.

أنا لم أقترب من إيجاد سبيل للخروج من هنا، ولم أقترب من الوصول إلى خطط مادوك. إن الشيء الوحيد الذي اقتربت منه هو أن يتم الإيقاع بي وكشف هويتي.

وبينما كانت تلك الفكرة الكئيبة تتملك رأسي، رأيت مادوك جالسًا إلى جوار النار خارج خيمته، وهو ينظف ويشحذ مجموعة خناجره التي يحتفظ بها. وبحكم العادة شعرت بدافع يدفعني إلى مساعدته في عمله، ثم تعين عليَّ أن أذكر نفسي بأن تارين ما كانت لتساعده على فعل ذلك.

قال مادوك يحثني على الجلوس وهو يربت على جزء خالٍ إلى جواره من الجذع الخشبي الجالس عليه: "تعالى اجلسي هنا، إنك غير معتادة الوجود في معسكرات الإعداد للحرب، وقد فُرض ذلك عليكِ فُرضًا".

هل يشك في أمري؟ جلست ووضعت سلتي الممتلئة عن آخرها إلى جوار النار، وطمأنت نفسي بأنه ما كان ليتحدث معي بهذا الود إذا كان يظن أنه يتحدث مع جود. ولمعرفتي بضيق الوقت، أقدمت على السؤال عما أردت معرفته: "هل تعتقد حقًا أن باستطاعتك هزيمته؟"

ضحك كما لو أن السؤال الذي طرحته يشبه أن تسأل طفلة صغيرة أباه: إذا كان باستطاعتك مد يدك عاليًا، فهل كنت ستنتزع القمر من السماء؟ أجابني مادوك: "ما كنت لأحاول إذا لم أكن قادرًا على الفوز".

وبتأثير ضحكته، شعرت بجرأة غريبة، إنه يصدق تمامًا أنني تاريخ وأني لا أفقه شيئًا عن الحرب، سألته: "لكن كيف؟".

أجابني: "سأجيبك التعقيدات الإستراتيجية، لكنني سوف أتحداه في مباراة، وبعد فوزي سأشق رأسه".

سألت في ارتباك: "مبارزة؟ ولماذا يوافق هو على محاربتك أنت؟"، إن كاردان هو الملك السامي صاحب الجيوش التي ستحول بينكما.

ابتسم مادوك ابتسامة واسعة، وقال: "سيوافق بدافع من الحب والواجب".

سألته وأنا لا أتصور أن تكون حيرة تاريخين أقل من حيرتي الآن بأية حال من الأحوال: "حب من؟".

قال: "لا توجد وليمة أكبر من شهية رجل يتضور جوعًا".

لم أدر بما أجيب عن هذا الكلام، وبعد وهلة، أشفق عليّ، وقال: "أعلم أنك لا تهتمين كثيرًا بدروس التنظيم الحربي، لكنني أعتقد أن هذا الدرس سيثير اهتمامك. لكي نحقق أقصى ما ننشده سنقتنص أية فرصة، وهناك نبوءة تتحدث عن أنه سيكون ملكًا ضعيفًا، ولا تزال تلك النبوءة باقية في أذهاننا ومعلقة فوق رأسه. لكنه يعتقد أن بوسعه اجتناب قدره، دعينا نرّه وهو يحاول ذلك، سوف أعطيه فرصة لكي يثبت كفاءته كحاكم".

فرددت من فوري: "وبعدها؟".

ضحك مادوك ثانية قائلاً: "وبعدها سيلقبك معشر الجان بالأميرة تاريخين".

على مدار حياتي كنت أسمع عن الغزوات العظيمة لأرض الجان. وكما هو متوقع من الجان الذين لا ينجبون سوى أعداد قليلة من المواليد، فقد كانت معظم المعارك تتسم بطابع رسمي محض، شأنها في ذلك شأن سلاسل موارد الحكم. كان معشر الجان يفضلون تجنب الحروب الشاملة، ما يعني أنه من غير المستبعد حسم حرب ما بمبارزة تم الاتفاق المتبادل عليها. لكن كاردان لم يهتم كثيرًا بالمبارزة بالسيف من قبل ولا يجيدها. فلماذا قد يوافق على خوض مبارزة؟

لكنني إذا طرحت هذا السؤال، فلا شك أنه سيكشف هويتي، ومع ذلك يجب أن أقول شيئًا. لا يسعني الجلوس هكذا والتحديث إلى مادوك وحسب، بينما فمي مفتوح وامتدلاً بهذه الطريقة.

قلت: "جود بشكل ما استطاعت السيطرة على كاردان"، وتوقفت قليلاً ثم تابعت: "ربما يمكنك السيطرة عليه أنت أيضًا و...".

هز رأسه رافضاً وقال: "انظري ماذا حل بشقيقتك، أيًا كانت السلطة التي امتلكتها، فقد أخذها منها. وأنا لا أنوي ولو مجرد التظاهر بخدمته بعد ذلك، بل سوف أحكم". توقف عن شحذ خنجره ونظر إليّ نظرة مخيفة، وقال: "لقد أعطيتُ جود فرصة تلو أخرى؛ لكي تقدم المساعدة لعائلتها، أعطيتها كل الفرص لكي تخبرني باللعبة التي كانت تلعبها. ولو فعلت، لكانت نتيجة الأمور قد تغيرت تمامًا".

سرت في جسدي قشعريرة، وتساءلت: هل يساوره شك في أن جود هي التي تجلس إلى جواره؟

قلت بطريقة كنت أمل أن تبدو محايدة: "إن جود حزينة جدًا، على الأقل هذا ما تقوله فيفي".

سألني مادوك: "وأنتِ لا تريدينني أن أعاقبها أكثر من ذلك عندما أصبح الملك السامي، أليس كذلك؟ ليس الأمر أنني لست فخورةً بها؛ لأن ما حققته لم يكن هينًا، ولعلها تكون أكثر أطفالٍ شبيهًا بي، ومثل كل أطفال العالم كانت متمرّدة، وقد تطلعت إلى امتلاك ما هو بعيد عن متناولها، بينما أنتِ...".

نقلت بصري لأحدق إلى اللهب، وقلت: "أنا؟"، كان من المزعج سماع حديثه عني، لكن فكرة سماعي لحديث موجّه إلى تارين فقط كانت أسوأ. وشعرت كأنني آخذ ما هو حق لها، ولم أجد طريقة لإيقاف ذلك، طريقة لن أنكشف بها.

مد يده ليمسك بذراعي، وكان يجب لهذا التصرف أن يكون مطمئنًا لولا أن قبضته كانت شديدة الإحكام، ومخالبه حادة جدًا. وظننت أن تلك هي اللحظة التي سيمسكني فيها من رقبتي، ويقول لي إنني انكشفت. تسارعت ضربات قلبي.

قال: "لا بد أنك شعرتِ بأنني كنت أفضلها عليك، على الرغم من نكرانها للجميل، لكن الأمر أنني كنت أفهمها بصورة أفضل، ومع ذلك لدينا أنا وأنتِ أمر مشترك - إن كلينا عاش حياة زوجية بائسة".

نظرت إليه بطرف عيني، وكانت مشاعر الراحة والشك تتصارعان داخلي. هل يقول حقًا إن زواجه من والدتنا أشبه بزواج تارين من لوك؟

ثم ابتعد قليلاً عني لكي يضيف قطعة خشب أخرى للنار ثم قال: "وكلتاها انتهت نهاية مأساوية".

شهقت وأنا أقول: "إنك لا تعتقد حقًا..."، لكنني لم أعرف ما الكذبة التي يمكنني قولها، ولا أعرف ما إذا كانت تارين لتكذب أم لا.

سأل مادوك: "ألم تفعلني؟ من إذن قتل لوك إن لم يكن أنتِ؟".

ولفترة طويلة لم أستطع الوصول إلى أي جواب مقنع.

ضحك عاليًا، وأشار بإصبعه المخليبي إليّ، وكان في غاية السرور: "إنه أنت. حقًا يا تارين لقد اعتقدتُ دائمًا أنك رقيقة ووديدة، لكنني أرى الآن كيف كنت مخطئًا".

سألته: "هل أنت سعيد بقتلي له؟"، بدا أن فخره بقتل تارين للوك كان أشد من فخره بكل محاسنها ومهاراتها؛ قدرتها على بث الشعور بالراحة في نفوس الآخرين، واختيار الرداء المناسب لكل مناسبة، وقولها نوعية الكذبة المناسبة التي تجعل الآخرين يحبونها.

هز كتفيه في لا مبالة وهو لا يزال مبتسمًا، وقال: "سواء أكان حيًا أم ميتًا، إنه لم يشغل بالي على الإطلاق، بل كنت مشغولًا بك فقط. إذا كنتِ حزينة لرحيله، فأنا أتفهم شعورك ومتعاطف معك. وإذا كنتِ تأملين أن يعود إلى الحياة حتى يتسنى لك قتله ثانية، فأنا أعرف هذا الشعور جيدًا. لكن ربما تكونين قد أرسيتِ العدالة ولو أرقتكِ قسوتها".

سألته: "في اعتقادك، هل ما فعله بي يستحق القتل؟".

بعد أن أذكى النار تطاير الشرر منها، وقال: "أظن أنه قد فطر قلبك، والمثل يقول: العين بالعين والقلب بالقلب".

تذكرت كيف كان شعوري عند الضغط بالسكين على حنجرة كاردان، وعند الذعر من فكرة السلطة التي يسيطر بها عليّ، وعند إدراكي وجود سبيل سهل لإنهاء الأمر برمته. سألته: "هل لهذا السبب قتلت أُمي؟".

تنهد وهو يقول: "لقد صقلتُ حدسي في ساحات المعارك، وفي بعض الأحيان لا يزال حدسي يُملي عليّ ما يجب أن أفعله بعيدًا عنها".

فكرت في كلامه، وتساءلت عما يتطلبه الأمر من المرء لكي يقسِّي قلبه بغية أن يُحارب ويقتل مرارًا وتكرارًا. وتساءلت عما إذا كان داخله جانب بارد، نوعًا من البرودة التي لا

تحظى أبدأ بأي دفاء، مثل قطعة جليد سكنت قلبه. وتساءلت عما إذا كانت لديّ أيضًا قطعة مثلها في قلبي.

ولوهلة جلسنا معًا بهدوء نستمع إلى صوت استعار النار، ثم تحدث ثانية يقول: "عندما قتلت أمك - أمك وأباك - غيرتُك. كان موتهما هو وعاء للنار الذي تشكلت داخله ثلاث فتيات. إذا غمرت سيقًا ساخنًا في الزيت، فسيتحول أي عيب بسيط فيه إلى صدع كبير. لكن غمسكن في الدماء كما حدث، لم يؤدِّ إلى كسر أي منكن، بل ازددتن قوة، وربما ما قارك لإنهاء حياة لوك كان نتيجة خطئي أكثر مما هو عاقبة لخطئك. إذا كان من العسير عليك تحمّل عبء ما فعلته، فألقي بثقله على كاهلي".

دارت برأسي كلمات تارين: يجب ألا يعيش أي طفل الطفولة التي عشناها.

ومع ذلك وجدت أنني أريد طمأنة مادوك، حتى إن لم أتمكن قط من مسامحته. ماذا كانت تارين ستقوله يا ترى الآن؟ لا أعلم، لكن من غير المنصف أن أواسيه بكلماتها.

قلت وأنا أشير إلى سلة الطعام: "يجب أن آخذ السلة إلى أوريانا"، لكنه أمسك بيدي.

ثم نظر إليّ بتمعن وقال: "لا تظني أنني سأنسى إخلاصك، فلقد وضعتِ مصلحة عائلتنا قبل مصلحتك. عندما ينقضي كل هذا، يمكنك أن تنالي المكافأة التي تريدينها، وسأحرص على حصولك عليها".

شعرت بغصة؛ لأنني لست الابنة التي يُقدّم لها مثل هذه الوعود، لست الابنة المُرحب بها في بيته، ولست الابنة التي قد يهتم ويعتز بها.

تساءلت ماذا كانت تارين لتطلب لنفسها ولجنينها. الأمان هو الشيء الوحيد - وسأراهن على ذلك بثقة - الذي يعتقد مادوك أنه قد منحنا إياه، وهو الأمر الوحيد الذي لا يسعه أن يوفره لنا حقًا بغض النظر عما يقدمه من وعود؛ لأن قسوته الشديدة تحول دون بقاء أي شخص من حوله آمنًا لفترة طويلة.

أما بالنسبة لي، فإن الأمان هو أمر غير مطروح من الأساس، إنه لم يكتشف حقيقة هويتي بعد، لكن قدرتي على البقاء متخفية تضعف تدريجيًا. ومع أنني لست متأكدة من كيفية تمكّني من السفر عبر الثلوج، فإنني عازمت على الهروب في تلك الليلة بالتحديد.

الفصل 11

أشرفت أوريانا على تحضيرات العشاء من أجل المجموعة كلها، وكنتُ إلى جانبها. حيث أشرفتُ على إعداد حساء نبات القَرَّاص الذي يتم طهوه مع البطاطس للتخلص من طعمه اللاذع، وذبح الطباء التي تم اصطيادها حديثًا حيث لا تزال الأبخرة تتصاعد من أجسادها، وتم استخدام دهونها لإضفاء النكهة على الخضراوات الطازجة. وكان لدى كل واحد من أفراد المجموعة وعاء وكوب معلق في حزامه كزينة تُصدر قرقرة، وقد قدّم الخدم لهم فيهما ما يخص كلاً منهم من الطعام والشراب.

تناول مادوك الطعام مع الجنرالات وهم يضحكون ويتحدثون. بينما مكث أفراد بلاط الأنياب في خيامهم، وأرسلوا خادمًا لتحضير طعامهم على نار أخرى. جلس جريمسين بعيدًا عن قادة الجيش إلى مائدة يجلس إليها الفرسان الذين استمعوا بانتباه شديد إلى قصصه عن النفي مع إدركينج. وكان من السهل ملاحظة أن المحيطين به من معشر الجان يتزينون بالحلي على نحو أكثر مما هو معتاد.

كانت المنطقة التي توجد فيها أواني الطهي والموائد تقع على الجانب الآخر البعيد من المعسكر، والقريب من الجبل. وعلى مرمى البصر رأيت حارسين يقفان للحراسة قرب الكهف، ولا يغادران موقعهما كي يتناولوا الطعام معنا. وقريبًا منهما كان هناك زوجان من حيوان الرنة يتشممان الثلوج بحثًا عن الجذور المغمورة تحتها.

كنت أشرب حساء نبات القراص، حينما تشكلت في ذهني فكرة، وفي الوقت الذي حثتني فيه أوريانا على العودة إلى مخيمنا، كنت قد توصلت إلى قراري: سأسرق إحدى الركائب من الجنود المجاورين للكهف، وسيكون هذا أسهل من سرقة إحداها من المعسكر الرئيسي. وحتى إذا ساءت الأمور، فسيكون من الصعب تعقبني. صحيح أنني ليست معي خريطة،

لكني على الأقل أستطيع الطيران اهتداءً بالنجوم للذهاب إلى الجنوب على الأقل. وكما
أمل سأجد ماوى بشرياً لأستقر فيه.

احتسينا الشاي معاً للتخفيف من برودة الثلوج، وفي نفاذ صبر دقّأت أصابعي المتجمدة عبر
إمساكي للكوب. أنا لا أريد إثارة شكوكها، لكن يجب عليّ التحرك ويجب أن أحزم كل ما
أستطيع من طعام ولوازم أخرى.

قالت أوريانا وهي تتفحصني: "لا بد أنك تشعرين ببرد شديد"، وقد بدت بشعرها الأبيض
وبشرتها الشاحبة وكأن جسدها قُدّ من الجليد.

ابتسمت قائلة: "هذا ضعف بشري، وهو سبب آخر يجعلني أشعر بالحنين لجزر إلفهايم".

قالت تطمئنني: "حسناً، سنعود إليها قريباً"، إنها لا تستطيع الكذب، ولا بد إذن أنها تُصدّق ما
تقوله، ولا بد أنها تعتقد أن مادوك سينتصر وسيصبح الملك السامي.

وأخيراً، بدت مستعدة لأن تأوي إلى فراشها، فغسلت وجهي، ووضعت أعواد الثقاب في
أحد جيوبي وسكيناً في الجيب الآخر، وبعد ذهابي إلى فراشي، انتظرت حتى نامت
بحسب تخميني، ثم عدت الثواني حتى مرت نصف ساعة، فنهضت من أسفل الأغطية
بمنتهى الهدوء، ووضعت قدمي في حذاء ذي رقبة. بعدها وضعت بعض الجبن في الحقيبة،
إلى جانب قطع الخبز المتيبسة وثلاث تفاحات ذابلات، وأخذت زهور نبات الموت الهادي
الذي عثرت عليه أثناء بحثي عن الطعام ولففتها في ورقة صغيرة. ثم سرت نحو باب
الخيمة ومعني عباءتي. كان هناك فارس واحد واقف يسلي نفسه بنحت مزمار أمام النيران.
أومأت له برأسي وأنا أمر إلى جواره.

فقال لي وقد نهض من مكانه: "سيدتي؟".

رمقته بنظرة حادة، فأنا لست سجيناً على أية حال، بل أنا ابنة القائد الأعلى، وقلت له:
"نعم؟".

أجابني وقد صاغ سؤاله بطريقة مراعية لمشاعري: "إذا سألتني والدك، فألى أين أخبره أنك ذهبت حتى يستطيع العثور عليك؟"، ولا شك في أن الخطأ في الجواب قد يؤدي إلى طرح مزيد من الأسئلة بصورة لن تراعي مشاعري.

لهذا أجبته: "أخبره بأنني خرجت لقضاء حاجتي في الغابة"، جفل الجندي من إجابتي على النحو الذي أردته، ولم يطرح عليّ أسئلة أخرى. بينما وضعت العبادة على كتفي وابتعدت، مع معرفتي أنه كلما زاد الوقت المستغرق لفعل ما زعمته زاد الشك لديه.

لم يكن المسير وصولاً إلى الكهف طويلاً، لكنني تعثرت كثيراً في الظلام، وكانت الريح الباردة تزداد قوة مع كل خطوة أخطوها، ثم تعالي صوت الصخب والموسيقى من المعسكر بأغانٍ تخص مخلوقات الجوبلين عن الخسارة والاشتياق والعنف، وأغانٍ شعبية عن الملكات والفرسان والحمقى.

رأيت بالقرب من الكهف ثلاثة حراس واقفين بانتباه حول المدخل الواسع - أي أصبح هناك حارس إضافي آخر على عكس ما تمنيت. كان مدخل الكهف أشبه بالابتسامة طويلاً وواسعاً، بينما كان يظهر بين الحين والآخر وميض نار داخل ظلمته، كأن هناك ضوءاً يصدر من أعماقه. وهناك أيضاً كان زوجان من حيوان الرنة نائمين على مقربة وقد تكوّرا فوق الجليد كالقطط، وحيوان رنة ثالث يحك قرنيه في شجرة مجاورة.

هذا هو الحيوان المستهدف لرحلتي إذن، حيث يمكنني التسلل بعمق أكثر بين الأشجار وإغراؤه بإحدى التفاحات السحرية. وعندما بدأت التوجه نحو الأشجار سمعت صيحة من داخل الكهف، وقد انتقل صداها إليّ عبر الهواء البارد الكثيف، ما جعلني أعود أدراجي ثانية.

إن مادوك لديه سجين.

حاولت أن أقنع نفسي بأن هذه ليست مشكلتي، حينما صدرت صيحة أخرى شوّشت تمامًا تفكيري العقلاني. هناك شخص في الداخل يتألم، وعليّ أن أطمئن إلى أنني لا أعرفه شخصيًا. كانت عضلاتي متيبسة بالفعل من أثر البرد، وهكذا ذهبت بخطوات بطيئة ودرت حول الكهف، وتسلفت الصخور التي تقع فوقه مباشرة.

تمثلت خطتي المرتجلة في الهبوط عند مدخل الكهف مباشرة، نظرًا لأن الحرس غالبًا ما ينظرون في الاتجاه المقابل، وهذا كفيلاً بأن أهبط دون أن ترني أعينهم. لكن الهبوط فعليًا يجب أن يتم بطريقة بارعة جدًا وإلا سيؤدي صوت حركتي أثناء الهبوط إلى تنبيه الحرس.

صررت على أسناني، وتذكرت دورس الشبح؛ التحرك ببطء ودراسة كل خطوة جيدًا واللجوء إلى الظل. بالطبع توارد هذا مع خواطر ما تعرضت له لاحقًا من خيانة الشبح، لكنني قلت لنفسي هذا لا يجعل الدروس أقل فائدة بأية حال من الأحوال، ثم خفضت قامتي ببطء وراء صخرة كبيرة مدببة، وعلى الرغم من ارتدائي القفاز شعرت كأن أصابعي تتجمد.

بعدها أدركت وأنا معلقة في هذا الوضع مدى الخطأ الفادح في حساباتي، فحتى مع مد جسدي بالكامل كنت لم أزل بعيدة عن الأرض، ولا سبيل للسقوط دون إحداث صوت، وكل ما يمكنني فعله هو أن أتحرك بهدوء وسرعة بأقصى درجة ممكنة. أخذت نفسًا عميقًا، وتركت نفسي أسقط من هذا الارتفاع البسيط. صدر صوت ناتج عن ارتطام قدمي بالثلوج ولم يكن هناك سبيل لتفاديه، فاستدار أحد الحراس، لكنني تواريت من فوري في الظل.

سأل أحد الحراس الثلاثة الحارسين الآخرين: "ما الأمر؟".

حدق الأول إلى الكهف، ولا أعرف هل رأني أم لا.

ظللت ساكنة قدر الإمكان، وقد حبست أنفاسي على أمل ألا يكون قد رأني، وعلى أمل ألا يستطيع شم رائحتي، فإنني على الأقل لن أتعرق في هذا البرد.

كانت سكيّني قريبة من يدي، وذكّرت نفسي بأنني قاتلت جريماً موج، وإذا تحتم عليّ القتال، فسيمكنني قتالهم.

وبعد لحظات، هز الحارس رأسه، وعاد إلى الاستماع إلى أغاني الجوبلين، انتظرت وتريثت فقط للاطمئنان. وساعدني هذا على تكيف عينيّ مع الظلمة. كانت هناك رائحة معدنية تبعث في الهواء، إلى جانب رائحة زيت المصباح المحترق. وكانت الظلال تتراقص في نهاية الممر الملتوي، وتجتذبنني تجاهها بما تعدني به من الضوء المنبعث من الداخل.

اتخذت سبيلي صعوداً وهبوطاً بين الرواسب المعدنية المتكتلة على أرضية الكهف، والرواسب المعدنية الهابطة من سقف الكهف كما لو كنت أخطو عبر أسنان حادة لعملاق. ثم دخلت إلى مساحة جديدة اضطررت عند ولوجها إلى إغلاق عيني من قوة وهج المشاعل.

ثم قال صوت هامس في تعجب، صوت أعرف صاحبه جيّداً وهو الشبح: "جود؟".

كان نحيلاً وراقداً على أرضية الكهف، وقد بدت الكدمات واضحة حول عظمتي الترقوة لديه، وبدا معصماه مقيدتين ومثبتتين بسلسلتين إلى ألواح في الأرض، بينما تتوهج المشاعل في دائرة تحيط به. وقد رفع بصره لينظر إليّ بعينيه العسليتين الواسعتين.

وعلى الرغم مما كنت أشعر به من برودة، فقد شعرت فجأة ببرودة أشد. إن آخر ما قاله لي هو: لقد كنت أخدم الأمير داين، وليس أنت. وكان هذا قبل أن يتم جرّي إلى أعماق مملكة البحار، ثم احتجّازي بها لأسابيع وأنا مرعوبة وجائعة ووحيدة. ومع ذلك وعلى الرغم مما حدث، وعلى الرغم من خيانتته، وعلى الرغم من تدميره مقر مجلس الظلال، فقد نطق اسمي باندهاش تام كشخص يعتقد أنني جنّت لكي أنقذه.

فكرت في التظاهر بأنني تارين، لكنه لن يصدق أن توأمي هي التي تسللت إليه وتجاوزت الحرس في الخارج. وعلى كل حال إنه من علمني كيف أتحرّك على هذا النحو. قلت وأنا أسحب سكيّني: "أردت أن أرى ما يخفيه مادوك في هذا المكان. وإذا كنت تفكر في أن

تنادي الحرس، فاعلم أن السبب الوحيد الذي يمنعني من غرس السكين في حنجرتك هو الخوف من احتمالية ارتفاع صوت استغاثتك عند الموت".

ابتسم الشبح ابتسامة واهنة وساخرة وهو يقول: "أتردين؟ هذا ما سأفعله. سيرتفع صوتي جدًا عند الموت، فقط لكي أغيبك".

قلت له وأنا أتفحص أنحاء الكهف بناظري: "إذن ما نلته هنا هو مقابل خدماتك. آمل أن تكون الخيانة هي الجائزة التي حصلت عليها".

قال بصوت معتدل: "فلتُبدي شماتتك كما تشائين فإني أستحق ذلك، وأعلم جيدًا ما فعلته معك يا جود، فقد كنت أحمق".

أزعجني الشعور بمدى ضعفي وهشاشتي حتى لمجرد سؤاله: "إذن لمَ فعلت ذلك؟"، لكنني وقتها كنت أثق به، وأردت أن أعرف مدى حماقتي. هل كان يكرهني طوال تلك الفترة التي كنت أراها فيها صديقين؟ هل سخر هو وكاردان مني واستغلا ثقتي الفطرية بالآخرين؟

سألني: "هل تذكرين عندما أخبرتك بأنني قتلت والدة أوك؟"، أو مات برأسي بالإيجاب، فقد تسممت ليريوبي بنوع سام من فطر عيش الغراب لإخفاء عملية قتلها. وفي حين أنها كانت إحدى محبوبات الملك السامي، لكنها كانت حاملًا بابن الأمير داين. وإذا لم تكن أوريانا قد أخرجت أوك من رحم ليريوبي، لمات جنينها أيضًا. إنها قصة مفزعة، والأرجح أنني لن أنساها حتى إذا لم يهتم بها أوك نفسه.

سألني: "هل تذكرين كيف نظرت إليَّ عندما اكتشفت ما فعلته؟".

كان ذلك بعد يوم أو يومين من حفل التتويج، وكنت قد وضعت الأمير بالكين في السجن، وكنت لا أزال في حالة صدمة، وأحاول ربط الأمور بعضها ببعض لفهم خطة مادوك. لقد أصابني الفزع عندما علمت أن الشبح قام بمثل هذه الفعلة الشنعاء، وتأثرت بذلك كثيرًا

وقتها. إن الموت بفطر عيش الغراب الأحمر السام يعد موتة شنيعة، وكاد أخي أوك يموت أيضًا من تأثيره. ثم أجبت سؤاله: "كنت متفاجئة".

هز رأسه: "حتى الصرصور قد أصابه الرعب، فهو لم يكن يعلم بالأمر من قبل".

سألته بتشكك: "ولهذا السبب خنتنا؟ لأنك اعتقدت أننا ننتقدك وتُدينك؟".

تهد الشبح وهو يقول: "لا، فقط استمعي إليّ لدقيقة أخرى. أنا قتلت ليريوبي لأن الأمير داين أحضرني إلى أرض الجان وأعالني وأعطى حياتي مغزى وهدفًا. ولأنني كنت مخلصًا له فعلت ذلك، لكن بعدها اهتز كياني بسبب ما ارتكبته يداي، وفي يأس ذهبت إلى الطفل الذي كنت أعتقد أنه ابن ليريوبي الوحيد الحي".

غمغمت أقول: "لوك"، وتساءلتُ عما إذا كان لوك قد أدرك بعد حفل تنويج كاردان أن أوك يجب أن يكون أخًا غير شقيق له. وتساءلتُ أيضًا عما إذا كان قد شعر بأي شيء حياله، وعما إذا كان أتى على ذكره أمام تارين.

واصل الشبح كلامه: "وبسبب شعوري بالذنب، عرضت عليه حمايتي واسمي".

كدت أقول: "اسم..."، لكنه قاطعني.

وقال: "اسمي الحقيقي".

بين معشر الجان تعتبر الأسماء الحقيقية أسرارًا محفوظة بعناية، حيث يمكن السيطرة على أي منهم من خلال معرفة اسمه الحقيقي، وبما يتفوق على فاعلية أية تعويذة سحرية للسيطرة. كان من الصعب أن أصدق أن الشبح قد عرض نفسه لمثل هذا الخطر.

سألته كي أصل إلى صلب الموضوع: "ماذا طلب منك أن تفعله؟".

أجاب الشبح: "لم يطلب شيئًا على مدى عدة سنوات، ثم طلب أمورًا بسيطة، كالتجسس على البعض ومعرفة أسرارهم. لكنني كنت أعتقد أنه لم يرد سوى العبث ولم يسعَ لأي أمر خطير حتى أمرني بأخذك إلى برج النسيان وترك جان مملكة البحار يخطفونك".

لا بد أن نيكاسيا عرفت كيف تطلب ذلك منه، ولا عجب إذن أن لوك وأصدقائه كانوا يأمنون على أنفسهم من ردة فعلي الغاضبة بدرجة كافية حتى يسعوا لمطاردتي في الليلة السابقة لزواجه. وذلك لمعرفته أنني لن أكون موجودة في الليلة التالية.

ومع ذلك، فهمت ما يعنيه الشبح بالتحديد. حيث لم يسعَ لوك أيضًا إلا للعبث بالآخرين، حتى مع احتمالية موتي جراء هذا العبث.

ثم هززت رأسي في عدم فهم، وقلت له: "لكن هذا لا يوضح كيف وصلت إلى هنا".

نظر إليّ الشبح كأنه يعاني كي لا يرفع صوته أو يفقد أعصابه: "بعد موضوع البرج، حاولت أن أضع مسافة بيني وبين لوك بحيث لا يأمرني بأي شيء آخر، وقد أمسك بي الفرسان أثناء مغادرتي جزيرة إنسمابير. وعندها اكتشفتُ مدى الشر الذي يمكن أن يرتكبه لوك. فقد عرّف والدك اسمي، وكان هذا مهر أختك التوأم إلى جانب وجود مكان له على طاولة الحكم عند تولي بالكين السلطة".

شهقت وأنا أسأله: "مادوك يعلم اسمك الحقيقي؟".

أطلق ضحكة جوفاء، وقال: "هذا أمر سيئ، أليس كذلك؟ إن مصادفة وجودك هنا هي أول شيء حسن يحدث لي منذ وقت طويل. وهذا من حسن حظي حتى إذا كنا نعلم ما يجب أن نفعله لاحقًا".

تذكرت مدى حرصني عند إعطائي الأوامر لكاردان، وأوامر مفادها ألا يتجنبني أو يفر مني. ولا شك أن مادوك قد فعل هذا وأكثر، حتى توصل الشبح إلى الاعتقاد بأنني السبيل الوحيد المتاح أمامه.

قلت له: "سأخرجك من هنا، وبعدها...".

قاطع الشيخ حديثي وهو يقول: "يمكنني أن أريك أين تصيبيني بأقل قدر من الألم، ويمكنني أن أريك كيف تجعلين موتي يبدو كما لو كنت قد قتلت نفسي".

رددت كلامه السابق وأنا أتظاهر بأنه غير جاد فيما يرمي إليه فقلت: "لقد قلت إن صوت استغاثتك سيرتفع جدًا عند الموت، فقط لكي تغيظني".

قال بابتسامة باهتة: "كنت سأفعل، كنت أحتاج إلى إخبارك... كنت أحتاج إلى إخبار أي شخص بالحقيقة قبل أن أموت. والآن بعد أن قلتها، دعيني أعلمك درسًا واحدًا أخيرًا".

قلت وأنا أرفع يدي في محاولة مني لمماطلته؛ لأنني ما زلت أحتاج إلى التفكير: "انتظر".

لكنه واصل بلا هوادة: "ليست حياة تلك التي يبقى فيها المرء خاضعًا دائمًا لسيطرة شخص ما، وخاضعًا لمشيئته ونزواته. أعلم بشأن التعويذة التي طلبتها من الأمير داين، وأعلم أنك كنت مستعدة للقتل كي تحسني عليها حتى لا تقعي تحت تأثير أية شعوذة أخرى. هل تذكرين كيف كانت حالك قبل حصولك عليها؟ هل تذكرين كيف كانت حالك عندما كنت معدومة الحيلة؟".

بالطبع أتذكر، ولا يسعني سوى التفكير في صوفي، الخادمة الفانية التي كانت في قصر الكين، وجيوبها المليئة بالأحجار. لقد غرقت صوفي في قاع مملكة البحار في نهاية المطاف. وسرت في جسدي قشعريرة قبل أن أستعيد سيطرتي على نفسي ثانية.

جذبت حقيبة الطعام التي كانت معي، وجلست على التراب، وقمت بتقطيع بعض أجزاء من الجبن والتفاح والخبز، وقلت له: "توقف عن التصرف كشخص يائس فخياراتنا لم تنفذ بعد. إنك تبدو كشخص في خضم مجاعة، وأنا أحتاج إليك حيا. يمكنك أن تسحر سيقان نبات

زهرة الشيخ، وتخرجنا من هنا - وأنت مدين لي بهذه المساعدة على الأقل".

أمسك بقطع الجبن والتفاح ودفعتها إلى فمه، وبينما كان يأكل فكرت في السلاسل التي تقيده، هل يمكنني فك تلك السلاسل؟ ثم لاحظت فتحة على اللوح المعدني بدا حجمها مناسب تمامًا لإدخال مفتاح.

قال الشبح وقد لاحظ نظرتي: "إنك تخططين لعمل شيء. لقد جعل جريمسين قيودي مقاومة لكل شيء سوى نصل سيف ذي قوة سحرية هائلة".

أجبت: "أنا دائمًا أضع الخطط لتحقيق شيء ما، ما مقدار ما تعلمه عن خطة مادوك؟".

أجاب الشبح: "لا أعرف سوى القليل جدًا، يُحضر الفرسان لي الطعام والملابس، فقد سمحوا لي بالاستحمام فقط تحت حراسة مشددة. وذات مرة جاء جريمسين لكي يراني لكنه ظل صامتًا تمامًا، حتى عندما صحت في وجهه". لم تكن من عادة الشبح أن يصيح أو يصرخ كوسيلة لدفعي إلى سماعه، ولا بد أن الصراخ كان من منطلق شعوره بالبؤس واليأس والقنوط. ثم واصل الشبح كلامه: "جاءني مادوك عدة مرات لكي يسألني عن مجلس الظلال وعن القصر وعن كاردان، والسيدة آشا وداين بل عنك أنت. كنت أعلم أنه يبحث عن نقاط ضعف كوسيلة للتلاعب بالجميع".

مد الشبح يده نحو قطعة أخرى من التفاح وتردد وهو ينظر إلى الطعام كما لو كان يراه للمرة الأولى، وسألني: "ما السبب في وجود أي من هذه الأطعمة معك؟ لماذا تأخذين معك سلة طعام وأنت تستكشفين كهفًا؟".

اعترفتُ له: "كنت أخطط للفرار في هذه الليلة، قبل أن يكتشفوا أنني لست التوأم الأخرى التي أتظاهر بأنني هي".

نظر إليّ بفرع وقال: "انذهبي إذن يا جود. اركضي، لا يمكنك أن تبقي هنا من أجلي".

قلت له في إصرار: "لن أبقى هنا من أجلك - بل إنك ستساعدني على الخروج من هنا"، ثم قاطعته عندما همَّ بمجادلتي، وقلت له: "يمكنني البقاء ليوم آخر، أخبرني فقط كيف أفك

تلك السلاسل".

بدا أن شيئًا في وجهي قد أقنعه بجدية كلامي، فقال وهو يتفادى النظر إلى عيني:
"المفتاح لدى جريمسين، لكنك لن تحصلي عليه إلا إذا استخدمتِ سكينًا".

كان أسوأ شيء في عبارته الأخيرة هذه أنها صحيحة تمامًا.

الفصل 12

عندما رجعتُ إلى الخيمة، لم يكن الحارس موجودًا. فشعرت بأنني محظوظة، وتسللت عبر مدخل الخيمة على أمل أن أتمكن من التسلل إلى فراشي قبل أن يعود مادوك بعد انتهائه مما يخطط له مع قادة الجيش.

لكن ما لم أتوقعه أن أجد الشموع مضاءة وأوريانا جالسة إلى الطاولة ومستيقظة تمامًا. وهكذا تجمدت في مكاني.

ثم وقفتُ تسألني وقد عقدت ذراعيها أمامها: "أين كنتِ؟".

أجبت في محاولة مني لمعرفة ما تعلمه بالفعل - وما قد تصدقه: "كان هناك فارس ما طلب مني أن ألقاه تحت ضوء النجوم و...".

قالت أوريانا: "لقد تسترت عليك، وصرفتُ الحارس قبل أن يبدأ في الترتة والقييل والقال. لا تهينيني بكذبك عليّ ثانية. إنك لستِ تارين".

سيطر عليّ رعب هائل لاكتشاف أمرِي، أردت أن أركض بعيدًا من حيث أتيتُ، لكنني فكرت في الشبح. إذا فررت الآن، فستصبح فرصة حصولي على المفتاح ضئيلة ولن ينجو، وبالتالي ستصبح فرصتي في إنقاذ نفسي شبه معدومة.

قلت لها بأمل على الرغم من يأسِي من إقناعها بالوقوف إلى جانبي: "لا تخبري مادوك، أرجوك. أنا لم أخطط قط للمجيء إلى هنا، بل أعادني مادوك وأنا فاقدة الوعي وجرتني إلى هذا المعسكر، وقد تظاهرتُ فقط بأنني تارين؛ لأنني كنتُ أتظاهر بالفعل بأنني موجودة هنا في إلفهايم لأنها هربت".

سألت وهي تحديق إليّ بشك بعينيها الورديتين، ودون أن يطرف لها جفن: "كيف لي أن أعرف أنك لا تكذبين؟ كيف لي أن أعرف أنك لست هنا كي تغتاليه؟".

أجبتها في إصرار: "لم يكن هناك من سبيل لكي أعرف أن مادوك سيأتي من أجل إنقاذ تارين، والسبب الوحيد لبقائي هنا هو أنني لم أعرف كيف أرحل - وقد حاولت الليلة، لكنني لم أستطع. ساعديني على الفرار، ساعديني ولن تريني ثانية أبدًا".

نظرت إليّ كما لو كان هذا العرض جذابًا لدرجة يصعب رفضها، ثم سألتني: "إذا رحلت، فسيستنتج مادوك أنني قد عاونتك في فعل هذا".

هزرت رأسي في محاولة للوصول إلى خطة ما، ثم قلت: "اكتبي إلى فيفي، يمكنها أن تأتي لاصطحابي. وسأترك ورقة بأنني ذهبت لرؤيتها هي وأوك. ولن يحتاج أبدًا إلى أن يعرف أن تارين لم تكن هنا بالفعل".

استدارت أوريانا لتصب سائلًا عشبيًا شديد الخضار في أكواب صغيرة، وقالت في ضيق: "أنا لا أحب مقدار التغيير الذي يحل بأوك في العالم الفاني".

أردت أن أصرخ من الإحباط لتغييرها المفاجئ موضوع حديثنا، لكنني أجبرت نفسي على الهدوء. وتخيلت أوك وهو يقلّب حبوب الإفطار بألوانها الغريبة الزاهية في وعائه، وقلت تأكيدًا على كلامها: "أنا أيضًا لا أحب ذلك دائمًا".

مررت لي أحد الأكواب الزجاجية سهلة الكسر وقالت: "إذا تمكن مادوك من أن يصبح الملك السامي، يمكن عندئذ أن يعود أوك للعيش معنا، ولن يحول بين مادوك والتاج، وسيكون آمنًا".

سألتها: "أتذكرين تحذيرك لي بشأن خطورة الاقتراب من الملك؟"، انتظرت حتى رأيته ترشف من كوبها قبل أن أرتشف من كوبي. كان مذاقه عشبيًا ولاذعًا على اللسان، وبه نكهة نباتات إكليل الجبل والقراص والزعتر، وأجفلت عند تذوقه لكن لم يكن طعمه سيئًا.

نظرت إليّ بانزعاج، وقالت: "إنك بالتأكيد لم تتصرفي وفقًا لتحذيري على الرغم من تذكرك له".

أقررت: "هذا صحيح، وقد دفعْتُ الثمن".

فعقبتُ: "سأحفظ سرِّك يا جود، وسأرسل رسالةً إلى فيفي. لكنني ما كنت لأعمل ضد مادوك، ويجب عليك ألا تفعل ذلك أيضًا. أريد وعدًا منك بذلك".

بصفتي ملكة إلفهايم فأنا خصم لمادوك، وسأشعر برضا كبير عندما تعلم أوريانا ذلك في الوقت نفسه الذي تقلل فيه من شأنِي. دارت تلك الفكرة البسيطة في ذهني، وتبعها إدراكي حقيقة أنه إذا عرف مادوك بحقيقتي، فسأقع في نوع من المشكلات يختلف تمامًا عما واجهته. سوف يستغلني، وبقدر ما كنت خائفة وأنا هنا إلى جواره، فسيزداد خوفي أكثر.

نظرت إلى عيني أوريانا، واجتهدت في الكذب كما لم أجتهد قط من قبل، وقلت لها: "أعدك".

قالت أوريانا: "جيد، والآن لماذا تتسللين في أنحاء إلفهايم متنكرة في شخصية تارين؟".

أجبتها: "هي من طلبت مني ذلك"، ثم رفعت حاجبي في انتظار أن تستوعب ما قلته.

همت أن تسألني: "لماذا قد..."، ثم توقفتُ، وعندما تحدثت ثانية بدا كأنها تُحدث نفسها: "بسبب التحقيق، آه".

ثم تناولتُ رشفةً أخرى من المشروب العشبي.

قالت أوريانا وقد انعقد حاجباها الشاحبان: "لقد كنت أخشى على وجود أختك بمفردها في هذا البلاط، فقد صارت سمعة عائلتها في الحضيض، إلى جانب أن السيدة آشا قد عادت ولا شك في أنها ترى لديها فرصة سانحة للتأثير على رجال الحاشية، خاصة الآن مع وجود ابنها على العرش".

قلتُ مررمة كلماتها: "السيدة آشا؟"، وفوجئت من تفكير أوريانا بها باعتبارها مصدر تهديد لتارين بصفة خاصة.

نهضت أوريانا وجمعت الأغراض اللازمة للكتابة، وعندما جلستُ ثانية، بدأتُ تكتبُ خطابًا لفيفي، وبعد كتابتها لأسطر قليلة، رفعتُ بصرها من فوق الورق، وقالت لي: "لم أظن قط أن آشا قد تعود".

هذا ما يحدث عندما يُلقى بالمرء في برج النسيان، حيث ينساه الآخرون. وقلتُ لها: "لقد كانت من أفراد الحاشية في الوقت نفسه تقريبًا الذي كنتُ فيه هناك، أليس كذلك؟"، وكان هذا أقرب ما يمكنني قوله لبيان ما أعنيه. فقد كانت أوريانا أيضًا من محبوبات الملك السامي، وصحيح أنها لم تنجب له طفلًا قط، لكنها تعرف حتمًا الكثير من الخبايا والشائعات، ما حدا بها لقول مثل هذا التعليق.

"أتعلمين أن إيفا، والدتك، كانت صديقة السيدة آشا، وكانت تقدر قيمة الشر وأفعاله. أنا لا أقول هذا حتى أرح مشاعرك يا جود؛ لأنها سمة لا تستحق الازدراء ولا الفخر".

فتذكرتُ أول ما قالته لي السيدة آشا في برج النسيان: أنا أعرف والدتك، أعرف الكثير جدًا من أسرارها الصغيرة".

قلتُ لها: "لم أكن أعلم أنك تعرفين أمي".

قالت أوريانا: "لم أعرفها بدرجة كبيرة، ولا أظن أنه يجوز لي التحدث عنها".

قلتُ لها بدوري: "ولا أطلب منك أن تتحدثي عنها".

تساقط الحبر من طرف قلم أوريانا قبل أن تنهي الكتابة، وتختتم الرسالة التي سترسلها إلى فيفي، ثم قالت: "كانت السيدة آشا جميلة ومتهلفة لإرضاء الملك السامي. لكن علاقتهما لم

تستمر طويلاً، وأثق بأن إدريد كان يعتقد أن علاقته بها لن يثمر عنها شيء. والحقيقة - وكما كان واضحاً تماماً - أنه ندم على حملها لطفله، لكن ربما كان لذلك علاقة بالنبوءة".

قلت من فوري: "نبوءة؟! أذكر أن مادوك ذكر شيئاً من هذا القبيل فيما يتعلق بقراءة طالعها عندما كان يحاول إقناعي بالالتحاق بقواته.

هزت كتفيها وقالت: "وُلِدَ أصغر الأمراء تحت نجم سيئ الطالع لكنه يبقى أميراً. وبمجرد إنجاب آشا له، بات مكانها في البلاط محفوظاً. آشا شخصية مثيرة للفرقة والتناحر، وتتوق لنظرات الإعجاب وخوض التجارب والفوز وهي أمور تتطلب صراعاً وتخلق أعداء. إنها ما كانت لتعامل أحداً ليس لديه نفوذ مثل أختك بلطف".

تساءلت عما إذا كانت آشا قاسية مع أوريانا في السابق، ثم قلت لها: "أفهم أنها لم تول ابنها الأمير كاردان عناية جيدة"، وتذكرت الكرة البلورية في غرف إدريد والذكريات العالقة داخلها.

قالت معلقة على كلامي: "لم يكن الأمر كما لو أنها لم تجعله يرتدي الأقمشة المخملية أو الفراء، بل كانت تترك مثل تلك الملابس عليه حتى تتهراً. ولا أنها لم تطعمه أشهى قطع اللحم والكعك، لكنها كانت تنسأه لفترات طويلة يتعين عليه خلالها البحث عن الطعام بنفسه. ولا أعتقد أنها قد أحبته وكذلك لا أعتقد أنها قد أحبت أي شخص، كانت تداعبه وتسقيه وتلاطفه ثم تنسى أمره تماماً. لكن ومع كل هذا إذا كانت حاله سيئة وهو معها، فإنها صارت أسوأ دونها. إنهما من نوعية واحدة".

اقشعر جسدي، وتخيلت مدى الوحدة التي يعانيتها المرء في حياة من هذا النوع، وكذلك مدى الغضب الذي يعتمل داخله، ومدى رغبته في الشعور بالحب.

لا توجد وليمة أكبر من شهية رجل يتضور جوعاً.

قالت أوريانا: "إذا كنتِ تبحثين عن أسباب لخذلانه لكِ، فقد كان الأمير كاردان بكل المقاييس مخيبًا لجميع الآمال منذ البداية".



في تلك الليلة، أرسلت أوريانا بومة ثلجية، وقد أرفقت في مخالبتها الرسالة. امتلأَتْ بالأمل بينما البومة تطير عاليًا في السماء الباردة.

وفيما بعد، بينما كنت مستلقية على فراشي، بدأت إعداد الخطة وكنت قد توقفت عن إعداد الخطط منذ نفيي. في الغد سأسرق المفتاح من جريمسين، وعندما أغانر سأصطحب معي الشبح. ومن خلال ما أعرفه عن خطط مادوك وحلفائه وموقع جيشه، سأدفع كاردان إلى عقد صفقة معي لإبطال أمر النفي وإنهاء التحقيق مع تارين. ولن أترك نفسي تشغل بخطابات لم أتسلمها، أو بطريقة نظرتة إليّ عندما كنا بمفردنا في جناحه، أو بنظريات والدي عن نقاط ضعفه.

لسوء الحظ، منذ لحظة استيقاظي لن تدعني أوريانا أغيب عن نظرها، صحيح أنها تثق بي بما يكفي لتحافظ على سري، لكنها لن تثق بي بما يكفي لتسمح لي بالتجول في أنحاء المعسكر بعد أن علمت حقيقة هويتي.

لقد أعطتني بعض الغسيل لكي انشره أمام النار، وفاصوليا لكي أزيل منها الحجارة الصغيرة، وبطاطين لكي أطويها. حاولت ألا أتعجل بإنهاء مهامتي، وحاولت فقط أن أبدي انزعاجي، فقد بدا أن هناك الكثير من الأعمال أمامي، مع أنني لم أكن لأبدي التذمر نفسه عندما كنت أظاهر بأنني تارين. لا أريدها أن تعلم مدى إحباطي من الانقضاء البطيء لليوم، ولا بأن أصابعي كانت تتوق لسرقة المفتاح من جريمسين.

وأخيرًا، مع حلول المساء حصلت على فترة راحة، حيث جهزت أوريانا صينية موضوعًا عليها إبريق شاي القراص، وبعض البسكويت الملفوف، ومعه برطمان من المربي، وقالت لي: "خذي هذه إلى والدك في خيمة القادة. لقد طلب على وجه التحديد أن تأتي إليه".

أخذت عباءتي وكنت أمل ألا تبدو لهفتي واضحة عليّ حتى سمعتُ واستوعبتُ الجزء الثاني مما قالته فاضطربتُ، وكان هناك جندي ينتظرني خارج باب الخيمة ما زاد من قلقي. لقد قالت أوريانا إنها لن تخبر مادوك عني، لكن هذا لا يعني أنها ستعجز عن أن تكشف أمري بشكل ما، ولا يعني أن مادوك قد يعجز عن أن يفطن إلى حقيقتي بنفسه.

كانت خيمة القادة كبيرة، ومكدسة بكل الخرائط التي لم أجدها في خيمته. كما كانت مليئة بالجنود الجالسين فوق دك مغطاة بجلود الماعز، وكان بعضهم يرتدي الدروع والبعض الآخر لا يرتديها. عندما دخلت الخيمة حدق بعضهم إليّ، ثم انحرف بصرهم عني كما ينحرف عن الخدم.

وضعت الصينية وصبت كوبًا، وأجبرت نفسي على ألا أنظر بإمعان إلى الخريطة المنبسطة أمامهم. لكن كان من المستحيل ألا ألاحظ تحريكهم قوارب خشبية صغيرة عبر البحر باتجاه إلفهايم.

وضعت شاي القراص أمام مادوك وأنا أقول: "عذرًا".

ابتسم لي برحابة صدر وقال: "تارين، ها قد حضرت. لقد كنت أفكر في أنه يجب أن تكون لديك خيمة خاصة بك، فأنت أرملة ولست طفلة".

قلت باندعاش: "هذا... هذا لطف كبير منك"، هذا بالفعل لطف، ومع ذلك لم يسعني سوى أن أتساءل عما إذا كانت تلك الخطوة أشبه بخطوات لعبة الشطرنج التي تبدو إيجابية في البداية، بينما يتضح لاحقًا أنها بمثابة تمهيد لقتل الملك في النهاية.

بينما كان يرتشف الشاي، بدا على وجهه رضا شخص لديه أمور مهمة تشغله، ومع ذلك يسعد بفرصة لعب دور الأب المُدَلِّل لابنته، ثم قال: "لقد وعدتك بمكافأة على إخلاصك".

لا يسعني إلا أن أرى كيف أن كل ما يقوله ويفعله قد يُفسَّر بمعنيين.

ثم نادى مادوك على أحد فرسانه قائلاً: "تعال، هنا"، فجاء أحد جان الجوبلين وهو يرتدي درعًا ذهبية لامعة وقام بالانحناء، ثم قال له: "جهز لابنتي خيمة بما فيها من أغراض تليق بها، وأي شيء تريده". ثم وجَّه حديثه لي قائلاً: "هذا ألفير، حاولي ألا ترهقيه كثيرًا".

ليس من المعتاد توجيه الشكر إلى الجان، لكنني قبَّلت مادوك على وجنته، وقلت: "إنك طيب جدًا معي".

ابتسم ابتسامة صغيرة أظهرت أنيابه الحادة. وتركت عيني تدرسان الخريطة - ونماذج القوارب الطافية على البحر المخطط - قبل أن أتبع ألفير إلى الخارج.

وبعد ساعة، أصبحت خيمتي الفسيحة منصوبة على مقربة من خيمة مادوك. لقد ساور أوريانا الشك عندما ذهبت إليها لكي أنقل أغراضي، لكنها لم تعترض، بل قامت حتى بإحضار الجبن والخبز ووضعتهما على طاولة مطلية تم جلبها لي.

ثم قالت بعدما غادر ألفير أخيرًا: "إنك سترحلين في الغد".

رددت كلماتها: "في الغد؟".

قالت: "تلقيت رسالة من أختك، وستصل إلى هنا قرب الفجر لكي تصطحبك. ستقابلينها خارج المعسكر عند مجموعة من الصخور البارزة، حيث يمكن لفيبي أن تنتظرك هناك في أمان. وعندما تتركين رسالة لوالدك، فأنا أتوقع أن تكون تلك الرسالة مقنعة".

قلت لها: "سأبذل قصارى جهدي".

أزمت شفتيها حتى شكَّلتا خطأ ربيعًا. ربما يجب عليّ أن أشعر بالامتنان لها لكنني منزعة للغاية، لو لم تُضَيِّع عليّ أغلب نهارِي، لأصبحت فترة المساء أهون كثيرًا.

سيُتَعَيَّن عليّ تولي أمر حراس الشبح، ولن أتسلل من ورائهم هذه المرة، وسألْتُ أوريانا: "هل يمكنك أن تعطيني بعض أوراقك؟"، وعندما وافقت أخذت أيضًا وعاء الشراب الجلدي.

وحيثما صرت وحدي في خيمتي الجديدة، طحنت زهور نبات الموت الهادي، وأضفت القليل منه إلى الشراب حتى يُنقَع لساعة على الأقل قبل أن أصفيه من الشوائب. إذ ستكفي قوة هذا الشراب لدفعهم للنوم مدة يوم وليلة، لا لقتلهم. وكنت مدركة مع ذلك أن الوقت المتاح أمامي للاستعداد كان محدودًا، بينما كانت أصابعي تهتز وأعصابي تحترق.

رفع مادوك غطاء مدخل الخيمة ما جعلني أقفز من مكاني فزعة، بينما كان يقول: "تارين؟"، ونظر في الأرجاء معجبًا بكرمه، ثم عاد ينظر إليّ بتجهم وسألني: "هل كل شيء على ما يرام؟".

أجبتُه: "لقد فاجأتني".

قال: "تعالى لتتناولي العشاء مع المجموعة".

للحظات حاولت التذرع بحجة تتيح لي البقاء حتى يتسنى لي التسلل إلى ورشة جريمسين للحدادة، لكنني لم أستطع وضع نفسي محل شكوك قد تساوره، ليس الآن وقد أوشكت على الفرار. وقررت أن أنهض في الليل قبل حلول الفجر بوقت طويل وأمضي في طريقي.

وهكذا سأتناول الطعام مع مادوك مرة أخيرة. وضعت بعض مساحيق التجميل على وجنتي وعقدت شعري إلى الوراء في صغيرة. إذا تصرفْتُ بلطف زائد في هذه الليلة، وأكثر من مراعاتي مشاعر الآخرين ومن ضحكاتي العالية، فهذا لأنني أعلم أنه لن يتسنى لي فعل ذلك

ثانية أبدأ. ولن أراه يتعامل معي على هذا النحو ثانية، لكن لمرة واحدة أخيرة عليّ أن أقر بأنه والدي الذي أملك معه أغلب ذكرياتي، وهو الشخص الذي أصبحت في كنفه ما أنا عليه الآن، ولا أدري أخير هذا أم شر.

الفصل 13

استيقظت على ضغط يد شخص ما على فمي، فدفعت مرفقي إلى حيث يُفترض وقوف هذا الشخص المُمسك بي، وشعرت بالرضا لسماعي شهقته الحادة من الألم، مع أنني كنت في الموقف الأضعف، ثم سمعت ضحكة خافتة على يساري، هناك إذن شخصان، ولا يشعر أحدهما بأي قلق، إن هذا في حد ذاته أمر مقلق، فمددت يدي أسفل وسادتي للوصول إلى سكينتي.

قال الصرصور وهو لا يزال يضحك: "جود، لقد أتينا لكي ننقذك، وصراخك قد يضر حقًا بخطة إنقاذك".

خرج صوتي حادًا بدرجة لم أقصدها وأنا أقول: "إنك محظوظ أنني لم أطعنك!"، فقد كان غضبي يغطي ويخفي مدى شعوري بالذعر.

قال الصرصور: "لقد أخبرته بأن ينتبه". كان هناك صندوق صغير ينبعث منه صوت حاد وضوء ساطع ينير الملامح البارزة لوجه الصرصور كأحد جان الجوبلين. كان الصرصور يبتسم وواصل كلامه: "لكن هل كان سينصت إليّ؟! كنت سأوجهه وأمره بغير ذلك، لولا فارق بسيط وهو أنه الملك السامي!"

سألته: "كاردان أرسلك؟".

أجاب الصرصور: "ليس على وجه التحديد"، وحرَّك الضوء حتى أتمكن من رؤية الشخص المصاحب له، وهو الشخص الذي لكزته بمرفقي قبل قليل، وهو نفسه الملك السامي لإلفهايم. كان الملك يضع على ظهره عباءة بنية بسيطة مصنوعة من قماش داكن اللون جدًا حتى بدا كأنه يمتص الضوء، وسلاحه في غمده المثبت عند فخذه، ولم يكن يرتدي تاجًا فوق جبينه ولا الخواتم في أصابعه، ولا يتألق المسحوق الذهبي على عظام وجنتيه، وبدا

أقرب ما يكون لجاسوس من جواسيس مجلس الظلال، خاصة مع ابتسامته الماكرة
المرسومة على أحد جانبي فمه الجميل.

شعرتُ ببعض الدوار وأنا أنظر إليه في مزيج من الصدمة وعدم التصديق، ثم قلت له: " يجب ألا تكون هنا".

قال الصرصور: "هذا ما قلته له أيضًا. لقد افتقدت حقًا الأيام التي كنتِ تتولين فيها
المسئولية، يجب ألا يتسكع الملوك كعامة الجان".

ضحك كاردان وقال: "ما رأيك إذن في الجان من غير العامة؟".

رفعت ساقِيَّ فوق حافة الفراش، خفتت ضحكته تدريجيًّا، بينما أدار الصرصور بصره
ووجهه إلى السقف، وأدركت فجأة أنني كنت أرتمي ثوب نوم خفيًّا كانت أوريانا قد
أعطتني إياه.

احمرت وجنتاي من الغضب، حتى لم أكد أشعر بأية برودة حولي. سألتهما: "كيف اهتديتما
إلى مكاني؟" وأنا أسير عبر الخيمة، وأتلمس طريقي إلى حيث أضع معطفي، ثم ارتديته
بارتباك فوق ثوب نومي، ووضعت سكيني في غمدها.

ألقي الصرصور نظرة على كاردان، وقال: "لقد أتت أختك فيفيان إلى الملك السامي ومعها
رسالة من أوريانا. وكانت تخشى أن تكون الرسالة تمهيدًا لعمل فخ معين. وقلقت أنا أيضًا
من أن يكون فخًا، فخًا للملك، وربما حتى فخًا لي أنا".

لهذا السبب إذن أقدمًا على تحمل مشقة القدوم إلى هنا والإمساك بي بهذه الصورة
المفاجئة. لكن لماذا أتيا من الأصل؟ ومع وضع كل الصفات الذميمة التي قد تقولها أختي
الكبرى عن كاردان في الاعتبار، لماذا إذن وثقت به لتقول له أيًّا من هذا؟ فسألته: "فيفي
لجأت إليك أنت؟".

استهل كاردان كلامه قائلاً: "لقد تحدثنا بعدما حملك مادوك إلى خارج القصر. وخمّني من وجدته هناك في مسكن فيفي الصغير؟ وحدثت تاريخين، وكان لدينا جميعاً الكثير ليقوله كل منا للآخر".

حاولت أن أتخيل الملك السامي في العالم الفاني، وهو واقف أمام شقتنا ويقرع بابنا. يا ترى أيّ من ملابسه الغريبة كان يرتدي؟ هل جلس على الأريكة الثقيلة وتناول القهوة كما لو كان لا يحتقر كل شيء حوله؟

هل أصدر عفواً عن تاريخين، بينما لم يعف عني أنا؟

فكرت في اعتقاد مادوك أن كاردان متعطش للحب. وقد بدا الكلام بلا معنى وقتها، ويبدو بلا معنى بدرجة أكبر حالياً. إن شخصيته تأسر الجميع، وقد أسرت أختي كذلك، إنه أشبه بقوة جاذبية ساحقة تجذب كل شيء نحوها.

لكنني لن أخضع لتأثيره بسهولة، وإذا كان قد حضر إلى هنا، فهو هنا لغرض خاص به، فربما يمثل وقوع ملكته في أيدي أعدائه خطراً عليه. ما يعني أنني صرت ذات سلطة، وكل ما يتعين عليّ فعله هو اكتشاف تلك السلطة، ثم أجد سبيلاً لاستخدامها ضده.

قلت لهما وأنا أرتدي جورباً ثقيلاً، ثم أدخل قدمي في حذاء ذي رقبة: "لا يمكنني الذهاب معكما بعد. هناك أمر ينبغي عليّ فعله، وهناك شيء أريد منكما أن تعطيانني إياه".

قال كاردان: "ربما يتعين عليك أن تتركينا ننقذك، ولو مرة واحدة"، حتى مع ملابس كاردان العادية ورأسه الذي يخلو من التاج، لم يكن بوسعها أن يخفي مدى ملاءمته لأداء دوره الملكي. عندما يعطي الملك هدية، فمن غير المسموح لك برفضها.

قلت له: "ربما يمكنك فقط أن تعطيني ما أريد".

قال الصرصور: "ماذا تقولين؟ دعينا نكشف أوراقنا على الطاولة يا جود، إن أختيك وصديقتهما ينتظرنك بالأحصنة، ويجب علينا الإسراع".

أختاي؟ كلاهما؟ وصديقتهما - هيذر؟ سألتهما: "هل تركتهن يأتين؟".

أجاب الصرصور: "لقد أصرت أختك على المجيء. ولأنهما كانتا الوحيدتين اللتين تعرفان مكانك، لم يكن لدينا خيار آخر"، كان الإحباط باديًا على الصرصور من الموقف بأكمله، فمن الخطورة العمل مع أشخاص غير مدربين، ومن الخطورة أن يصاحبك الملك السامي وهو يتصرف كما لو كان جنديًا محاربًا، ومن الخطورة أن يبدأ الشخص الذي تحاول إنقاذه - والذي يحتمل أن يكون خائنًا - في تسيير خطتك بطريقته الخاصة.

لكن تلك مشكلته هو وليست مشكلتي أنا، سرت نحوه وأخذت المصباح من يده، واستعنت به لإيجاد وعاء الشراب، وقلت: "هذا الشراب به جرعة من المنوم. كنت سأخذه كي يتناوله بعض الحرس، ثم أسرق المفتاح وأحرر سجينًا لكي أفر معه".

ردد الصرصور الكلمة باستغراب: "سجين؟".

قلت لهما: "رأيت الخرائط في غرف مادوك الحربية، وأعرف التشكيل الذي ينوي شن الهجوم على إلفهايم به. أعلم عدد سفنه، وأعلم جنود معسكره، وأي الممالك مساندة له، وأعلم ما يصنعه جريمسين في ورشة الحدادة. فإذا وعدني كاردان بتوفير مرور آمن لي إلى إلفهايم وإيقاف الحكم بنفسي بمجرد وصولنا إلى هناك، حينها سأقدم كل تلك المعلومات. بالإضافة إلى وجود السجين بين يديك قبل أن يتم استخدامه للعمل ضدك".

قال الصرصور: "هل تقولين الحقيقة، ولا تقوديننا نحو شرك من صنع مادوك؟".

أجبتة: "أنا لا أقف في صف أحد ضد أحد، وأنت تحديداً من بين كل المخلوقات لا بد أنك تفهم هذا".

تبادل الصرصور النظر مع كاردان، وحدّق الملك السامي إلى وجهي بغرابة كما لو كان يريد أن يقول شيئًا أمسك عن قوله.

وأخيرًا، تنحّج وقال: "بما أنك مخلوقة فانية يا جود، فلا يمكنني إلزامك بعودك. بينما يمكنك أن تلميني بعودي: أنا أضمن لك مرورًا آمنًا. عودي معي إلى إلفهايم، وسأقدم لك وسيلة لإبطال الحكم بالنفي".

سألته: "وسيلة لإبطاله؟"، إذا كان يظن أنني لا أفقه شيئًا حتى أوافق على هذا الكلام، فقد نسي كل ما كان يجدر به أن يتذكره عني.

استدرك يقول: "عودي إلى إلفهايم، وأخبريني بما كنت ستقولينه. وسأبطل الحكم بنفيك، وهذا وعد مني".

شملني شعور بالانتصار، ثم تلاه شعوري بالحذر، فقد خدعني قبل ذلك، وإن وقوفي أمامه يذكّرني بأنني صدقت أن عرضه للزواج مني كان صادقًا ما جعلني أشعر بضآلتي ودونيتي وعجزتي الشديد. لا يمكن أن أسمح لنفسي بأن أنخدع ثانية.

أومأت برأسي وأنا أقول: "يحتفظ مادوك بالشبح سجينًا لديه، وجريمسين لديه المفتاح الذي نحتاج إليه...".

قاطعني الصرصور قائلاً: "أنت تريدين تحرير الشبح؟ بل دعينا نزع أمعاه كما نفعل مع سمكة الحدوق، لكن بسرعة وسعادة أكبر".

قلت لهما: "إن مادوك يعرف اسمه الحقيقي، وقد حصل عليه من لوك. وأيًا كان العقاب الذي يستحقه الشبح، يمكنك إنزاله به بمجرد عودته إلى مجلس الظلال، لكن ليس قتله".

ردد كاردان: "لوك؟"، ثم تنهد وقال: "نعم، حسنًا، ماذا يتعين علينا أن نفعل؟".

قلت: "كنت أخطط للتسلل إلى ورشة جريمسين للحدادة وسرقة مفتاح سلاسل الشبح".

قال الصرصور: "سأساعدك"، ثم التفت إلى كاردان وقال: "لكنك يا مولاي بكل تأكيد لن تساعدها، انتظرنا هنا من فضلك مع فيفيان والآخريين".

قال كاردان: "أنا قادم معكما، ولا يمكنك أن تأمرني بخلاف هذا".

هز الصرصور رأسه وهو يقول: "يمكنني أن أتعلم شيئاً من النموذج الذي قدمته جود، ومن ثم سأطلب وعداً منك بأنه في حال جرى الانتباه إلى وجودنا، وفي حال الإيقاع بنا، عدني بالعودة إلى إلفهايم على الفور. ويجب أن تبذل كل ما بوسعك لأن تكون بأمان بغض النظر عن أي شيء".

نظر إليّ كاردان كما لو كان يطلب مساعدتي، ولأنني ظللت صامتة، قطب جبينه منزعجاً من كلينا، وقال: "مع أنني أرتدي العباءة التي صنعتها لي الأم مارو، وهي العباءة التي تصد أي نصل يتوجه إليّ، فما زلت أعدك بأني سأركض ساعة الخطر واضعاً ذيلي بين أسناني. وبما أنني بالفعل أمتلك ذيلًا، فلا بد أن هذا المشهد سيكون مسلياً للجميع. هل أنت راضٍ الآن؟".

أصدر الصرصور صوتاً يدل على موافقته، فتسللنا معاً إلى خارج الخيمة. انسكب القليل من وعاء الشراب المليء بالمخدر في حجري، بينما كنا نتسلل خلف الظلال، ومع تأخر الوقت لكن كان هناك عدد قليل من الجنود يتحركون بين الخيام. لقد تجمع البعض لكي يتناولوا الشراب أو يلعبوا بالزهر والأحجيات، فيما كان البعض الآخر يغنون على وقع أنغام آلة العود التي يعزف عليها أحد مخلوقات الجوبلين.

كان الصرصور يتحرك بسلاسة فائقة، وينتقل من ظل إلى آخر، وكان كاردان يتحرك خلفه بهدوء شديد أكثر مما كنت أتوقعه، ولن أسعد باعترافي بأنه صار متفوقاً عليّ في مهارة التسلل. ومع أنني يمكنني الزعم أن السبب هو قدرة معشر الجان الفطرية على فعل ذلك، لكنني أظن أنه قد تدرب أكثر مقارنة بي. لقد قللت من كفاءة تعلمي بتشتيت انتباهي على فعل أمور كثيرة، لكن لكي أحكم بإنصاف أود لو أعلم مقدار ما قضاه من الوقت في دراسة

كل الأمور التي تعين عليه أن يعلمها لكي يصير حاكم إلهام. لا، إن القيام بتلك الدراسات هو مسئوليتي أنا.

بينما كانت تلك الأفكار المقيمة تدور في رأسي، اقتربنا من ورشة الحدادة. كان الوضع هادئًا والنار منطفئة، ولا ينبعث أي دخان من المداخل المعدنية.

توجه الصرصور صوب النافذة، ومسح ما عليها من سخام في محاولة لاستراق النظر عبر اللوح الزجاجي، وسألني: "إن لقد رأيت هذا المفتاح؟".

أجبت بدوري: "إنه مفتاح بلوري معلق على الجدار"، بينما لم أستطع رؤية أي شيء عبر الزجاج المضرب وعتمة المكان في الداخل، ثم قلت: "وقد بدأ جريمسين العمل على سيف جديد من أجل مادوك".

قال كاردان: "لا بأس إن من إتلاف هذا السيف قبل أن يوضع على رقبتني".

قلت له: "ابحث عن سيف كبير، سيكون هو السيف المنشود".

نظر إليّ الصرصور بوجه عابس، لكن ما ذنبي في عدم معرفتي لوصف أدق؛ ففي آخر مرة رأيت فيها السيف لم يكن أكثر من مجرد قضيب معدني.

استدركت أقول: "إنه كبير حقًا".

فنخر كاردان.

قلت وقد تذكرت مرأى العنكبوت المرصع بالجواهر، والقرطين اللذين يمنحان الجمال أو يسلبانه: "علينا أن نتحلى بالحدز، لا بد أن هناك فخاخًا".

قال الصرصور: "سندخل ونخرج بسرعة، لكنني سأشعر براحة أكبر إذا بقيتما هنا في الخارج وتركتماني أدخل بمفردي".

عندما لم يجبه أي منا، جلس جني الجوبلين أرضًا ليحاول فتح القفل، وبعد وضعه بعض الزيت عليه، انفتح الباب بهدوء.

تبعته إلى الداخل، وكان ضوء القمر ينعكس على الثلوج بطريقة أتاحت لعيني البشريتين الضعيفتين أيضًا الرؤية في أنحاء الورشة. كانت هناك الكثير من الأغراض المتراكمة - بعضها من المجوهرات والبعض الآخر من الأدوات الحادة، وكلها بعضها فوق بعض. وكانت هناك مجموعة من السيوف على حامل للقبعات، وكان مقبض أحد هذه السيوف ملتفًا على نفسه مثل الثعبان. لكن لم يكن هناك سبيل للخطأ في التعرف على سيف مادوك الذي كان موضوعًا على الطاولة، لكنه لم يُشحذ أو يُصقل بعد، ولم يُوضع له مقبض، وكان هناك جذر شاحب شبيه بالعظم موضوع إلى جواره ليتم نحته كمقبض.

رفعت المفتاح البلوري من على الجدار بحذر، بينما كان كاردان واقفًا إلى جوار ي ينظر إلى بعض الأغراض، وسار الصرصور باتجاه السيف.

كان الصرصور في منتصف الطريق نحو السيف عندما صدر صوت يشبه دقة الساعة، فانفتح عاليًا في الجدار بابان داخليان وكشفا عن فجوة دائرية، وكل ما كان متاحًا لي فعله قبل أن تنطلق مجموعة من السهام نحونا هو أن أشير إليهما وأصدر صوتًا تحذيريًا.

وقف كاردان أمامي وجذب عباءته، فارتدت السهام المعدنية عن قماش عباءته وسقطت على الأرض. ولوهلة ظللنا نحدق أحدهنا إلى الآخر وقد اتسعت عيوننا، وقد نظر كاردان إليّ باندهاش مماثل لاندهاشي من إقدامه على حمايتي.

وبعدها، خرج طائر معدني من الفتحة التي انطلقت منها السهام. وأخذ منقاره ينفث وينغلق وهو يصيح: "لصوص! لصوص! لصوص!"

وفي الخارج سمعت صوت صيحات.

وبعدها رأيت الصرصور عبر الغرفة وقد شحب لونه، كان على وشك أن يقول شيئًا وبدا الألم واضحًا على وجهه، ثم ارتكز على إحدى ركبتيه. لا بد أن السهم قد أصابه، أسرعت إليه وسأل كاردان: "ماذا كان في السهم الذي أصابه؟".

قلت: "مسحوق نبات الموت الهادئ"، وربما تم قطفه من المنطقة ذاتها التي وجدته فيها في الغابة، وأضفت: "ربما تستطيع القنبلة مساعدته، فهي يمكنها أن تجهز ترياقًا".

كنت آمل أن تستطيع ذلك، أو على الأقل أن يوجد وقت لفعل ذلك.

وبسهولة مدهشة رفع كاردان الصرصور بين ذراعيه، وناشدني يقول: "أخبريني بأن هذه ليست خطتك، أخبريني".

أجبتته من فوري: "لا، بالطبع لا، أقسم لك".

قال: "تعالى إذن، إن جيبي ممتلئ بفروع نبات زهرة الشيخ، يمكننا أن نطير".

هزرت رأسي بالنفي.

صاح كاردان بلهجة تحذيرية: "جود".

لم يكن لدينا وقت للجدل، فقلت له: "لم تزل فيفي وتارين تنتظرانني، ولا تعلمان ما حدث. إذا لم أعد إليهما، فسيتم القبض عليهما".

أدرت أنه لم يكن واثقًا مما إذا كان يستطيع أن يصدقني أم لا، لكن كل ما فعله أنه غيّر وضع حمله للصرصور حتى يتمكن من فك عباءته بيد واحدة، وأمرني قائلاً: "خذي العباءة، ولا تتوقفي"، كانت تعبيرات وجهه صارمة، وانطلق بعدها في ظلمة الليل وهو يحمل الصرصور بين ذراعيه.

اتجهت نحو الغابة، ولم أكن أركض ولا أختبئ على وجه التحديد، بل كنت أتحرك بسرعة، وقد ربطت عباءة كاردان على كتفيّ. ثم نظرت إلى الوراء ورأيت الجنود يحتشدون حول ورشة الحدادة - ودخل بعضهم إلى خيمة مادوك.

لقد قلت إنني سأذهب مباشرة إلى فيفي لكنني كذبت، وتوجهت إلى الكهف، وقلت لنفسي لم يزل هناك وقت. وإن الحادث الذي وقع عند ورشة الحدادة يمثل وسيلة إلهاء ممتازة، وإذا كانوا سيبحثون هناك عن الدخلاء، فلن يبحثوا عني هنا مع الشبح.

وبدت صحة تفاؤلي مع اقترابي أكثر من الكهف، فلم يكن الحرس موجودين في مواقعهم، فتنفست الصعداء، واندفعت إلى داخل الكهف.

لكن الشبح لم يعد مقيداً، ولم يكن هناك على الإطلاق. بل كان مادوك واقفاً مكانه وقد ارتدى زيه الحربي المدرع.

قال مادوك: "أخشى أنك قد أتيت بعد فوات الأوان، بعد فواته كثيراً".

ثم استل سيفه.

الفصل 14

تهدّجت أنفاسي من شدة الخوف. فلم يقتصر الأمر على افتقاري إلى سلاح يماثل سيفه فحسب، بل كان من غير المتصوّر أيضًا أن أفوز في معركة أواجه فيها الشخص الذي علمني تقريبًا كل ما أعلمه. وبالنظر إليه، فقد جاء مستعدًّا للقتال.

سحبت العبادة أكثر حولي، وكانت سعادتي بها لا توصف! فمن دونها لم تكن لتبقى أمامي أية فرصة للنجاة.

سألته: "متى علمت بحقيقة أنني لست تارين؟".

خطا خطوة نحوِي، وقال مفسرًا: "متأخرًا أكثر مما يجب، لكنني لم أكن متشككًا، أليس كذلك؟ كان شيئًا هينًا ذلك الذي كشف لي حقيقتك، وهو تعبير وجهك عند رؤيتك خريطة جزر إلفهايم. فقط هذا، وبعدها تغيرت نظرتي لكل شيء آخر قلته أو فعلته، ووجدت أن كل شيء يتناسب مع شخصيتك أنت".

شعرت بالامتنان لأنه لم يعرفني منذ البداية، وأيًا كان ما قد خطط له، فسيتعين عليه على أقل تقدير أن ينفذه بسرعة. سألته: "أين الشبح؟".

قال مصححًا لي: "تقصدين جاريت"، قال اسم الشبح الحقيقي بصورة ساخرة، اسمه الذي لم يخبرني الشبح به قط، حتى عندما كان بإمكانه أن يقوله لي لكي أنهى تأثير مادوك عليه. ثم واصل مادوك كلامه: "حتى إذا بقيت على قيد الحياة، فلن تتمكني أبدًا من إيقافه في الوقت المناسب".

ارتعش صوتي قليلًا وأنا أسأله: "أرسلته في إثر من؟"، وتخيلت تمكّن كاردان من الفرار من معسكر مادوك، ثم تلقيه سهمًا داخل قصره كما حدث سابقًا حينما كاد يتعرض للإصابة وهو

في فراشه.

ارتسمت ابتسامة رضا على وجه مادوك تُظهر كل أسنانه الحادة، وسألني كما لو كان يلقني درسًا: "إنك لا تزالين مخلصه لهذا الدمية كاردان، لماذا يا جود؟ ألن يكون من الأفضل لو أصيب بسهم يخترق قلبه في داخل قاعة حكمه؟ ولا أظنك تعتقدين أنه قد يكون ملكًا ساميًا أفضل مني".

نظرت إلى عيني مادوك، ونطق فمي بالكلمات قبل حتى أن أنتبه إليها: "ربما أعتقد أنه قد حان الوقت ليصبح حاكم إلفهايم هو الملكة".

من وقع المفاجأة أطلق ضحكة عالية عند سماعه هذا الكلام، وقال: "أعتقد أن كاردان سيسلم سلطانه ببساطة؟ وإليك أنتِ؟ أيتها الطفلة الفانية، لا بد أن تعي الوضع بقدر أكبر من ذلك. لقد نفاك وأهانك، ولن يراك أبدًا سوى شخص أدنى منه".

صحيح أنه لم يزد في كلامه عما فكرت فيه سابقًا، ومع ذلك فقد وقعت كلماته عليّ كالصاعقة.

واصل مادوك يقول: "إن هذا الفتى هو نقطة ضعفك، لكن لا تخشي شيئًا فسوف ينتهي حكمه قريبًا".

طمأننتني قليلاً حقيقة أن كاردان كان هنا تحت طائلته وبالقرب منه، وتمكن من الفرار. لكن كل الأمور الأخرى تبدو مريعة؛ الشبح اختفى، والصرصور تسمم، وأنا ارتكبت أخطاء، بل حتى هذه اللحظة لم تنزل فيفي وتارين وربما هيذر ينتظرني تحت الثلوج، بينما يتزايد قلقهن أكثر فأكثر مع اقتراب بزوغ الشمس في الأفق.

قال مادوك وهو ينظر إليّ كما لو كان يشعر ببعض الأسف عليّ: "استسلمي يا طفلتي، فقد حان وقت قبولك للعقوبة".

رجعت خطوة إلى الوراء، وقمت تلقائيًا بتحسس سكيني. لكن اشتباكي في قتال معه بينما يرتدي درعه وكذلك يملك سلاحًا يتفوق على سلاحي كثيرًا هي فكرة سيئة للغاية.

نظر إليّ غير مصدق، وقال: "حسنًا، إنك تتحديني حتى النهاية؟ عندما أتمكن منك، سأتركك مقيدة بالسلاسل".

قلت له: "أنا لم أرد قط أن أصبح عدوة لك، لكنني أيضًا لا أريد الخضوع لسلطانك"، ولذت بعدها بالفرار فوق الثلوج، فعلت الشيء الوحيد الذي قلت لنفسي إنني لن أفعله أبدًا.

صاح يقول: "لا تفري من أمامي!" وتردد في نفسي صدى مريع لكلماته، فقد كانت تلك هي الكلمات الأخيرة التي قالها لأمي في الماضي.

إن ذكرى موتها جعلت قدمي تركضان أسرع، وتسارعت أنفاسي لتشكّل سحبًا صغيرة من حولي في هذا الجو البارد. سمعت خطواته وهو ينطلق ورائي، وسمعت صوت أنفاسه.

أثناء ركضي، تضاءلت آمالي في أن يفقد أثري في أنحاء الغابة، فبغض النظر عن التعرجات الكثيرة التي سلكتها، فإنه لم يتوقف. ارتفعت ضربات قلبي، وقد تذكرت قبل كل هذا أنني لا أستطيع أن أقوده إلى حيث توجد أختاي.

لقد اتضح أنني لم أنته من ارتكابي الأخطاء بعد.

وبعد أخذ نفس ثم نفسين استللت سكيني، وبعد ثلاثة أنفاس استدرت لمواجهة مادوك.

ولأنه لم يكن يتوقع هذا فقد اصطدم بي، وتمكنت من طعنه في جانبه في مكان التقاء طبقات زيه المدرع، صحيح أن المعدن قد تلقى الجزء الأكبر من الطعنة، لكنني رأيت تأثيره بالطعنة.

أرجع مادوك ذراعه إلى الوراء وسدد لي ضربة بظهر يده أوقعتني على الثلوج.

ثم قال وهو واقف ينظر إليّ من الأعلى: "لقد كنتِ دائماً ماهرة، لكن لم تكوني قط ماهرة بالدرجة الكافية".

إنه محق، لقد تعلمت الكثير عن القتال بالسيف منه ومن الشبح، لكنني لم أدرسه جيداً في أغلب أوقات حياتي الفانية. وخلال معظم فترات العام الماضي كنت مشغولة بتعلم مسؤوليات وكيلة الملك. وكان السبب الوحيد الذي مكنتني من الاستمرار في القتال أثناء قتالنا الأخير أنا ومادوك أنه تعرض للتسمم. والسبب الوحيد الذي مكنتني من هزيمة جريما موج أنها لم تتوقع أن أكون على أي قدر من الكفاءة في القتال، بينما مادوك يعرفني جيداً. وكذلك عند قتالي لجريما موج، كانت معي سكين أطول كثيراً.

قلت له وأنا أقف على قدمي: "لا أظن أنك راغب في أن تجعل هذا القتال أكثر تكافؤاً؟ ربما يمكنك أن تقاتلني بينما تضع يداً واحدة خلف ظهرك؛ لكي نعادل فرص الفوز بيننا". فابتسم وهو يدور حولي لمحاصرتي.

ثم بدأ هجومه ولم يترك لي فرصة إلا للصد، وشعرت بجهد كبير واقع على ذراعيّ. كان من الواضح ما يفعله لكن أثر ذلك كان مجهداً؛ كان يستنزف قواي ويشغلني بصد ضرباته وتفاديها مرة بعد أخرى، بينما لا يتيح لي أبداً أن أقرب منه بما يكفي لكي أسدد له ضرباتي. كان يشغلني بالتركيز على الدفاع عن نفسي، وكان هذا يستنزف قوتي.

بدأ اليأس يتسلل إلى نفسي. يمكنني أن أستدير وأفر ثانية، لكننا سنعود إلى الموقف نفسه مجدداً حيث أظل أركض دون مكان أتوجه إليه. وبينما كنت أصد ضرباته بخنجري البائس، أدركت مدى قلة ما لديّ من خيارات وكيف أنها ستستمر في التناقص.

ولم ينقض وقت طويل حتى تداعى دفاعي، وانكسر جزء من سيفه عندما ضرب به العباءة التي تغطي كتفيّ، فهي من قماش الأم مارو الذي لا يُمس.

توقف مدهوشًا، بينما سددت ضربة ليده. إنها حركة خسيصة، لكنني أدميته فزمر من الأئين.

شد العباءة ولفها حول يده ثم سحبني نحوه. خنقتني الأربطة، ثم تخلصت منها، بينما انغرس سيفه في جانبي وصولاً إلى معدتي.

نظرتُ إليه لوهلة وعيناى متسعتان.

وبدا عليه اندهاش مماثل لاندهاشي.

بشكل ما وبرغم ما كنت أعلمه عن مادوك جيداً، لكن جزءاً مني كان لا يزال يصدق أنه سيمتنع عن تسديد ضربة قاتلة لي.

مادوك الذي صار والدي منذ أن قَتَلَ والدي الحقيقي، مادوك الذي علمني كيف أقاتل بالسيف لكي أصيب الخصم نفسه لا أن أصيب سيفه فقط، مادوك الذي أجلسني على ركبته وقرأ لي وأخبرني بأنه يحبني.

وقعت على ركبتيّ بعد أن انهارت مقاومة ساقيّ، ثم خرج نصله من جسدي وعليه دمائي التي أدمت ساقي من أثر النزيف.

علمت ما سيحدث بعدها؛ سيسدد لي الضربة الأخيرة، فيقطع بها رأسي، أو يغرسها في قلبي، وهي ضربة الرحمة، فعلى كل حال من يريد أن يموت ببطء بينما يمكن له أن يموت سريعاً؟

أنا.

أنا لا أريد أن أموت سريعاً، بل لا أريد أن أموت على الإطلاق.

بتردد رفع مادوك سيفه، بينما سيطرت عليّ غريزة البقاء الحيوانية، فاندفعت واقفة على قدمي. اهتزت رؤيتي قليلاً، بينما انتشرت في جسمي مادة الأدرينالين تؤازرني.

قال مادوك: "جود"، ولأول مرة في حياتي على ما أتذكر، ظهرت في صوته نبرة خوف، خوف لم أفهم سببه.

وبعدها رأيت ثلاثة سهام سوداء تنطلق من الحقل الجليدي. مرق سهمان فوق رأسه، وأصاب الثالث كتفه التي تحمل السيف. فصاح يئن، ثم بدّل يده التي تحمل السيف، ونظر إلى مهاجمه. ولوهلة نسيني تمامًا.

انطلق سهم آخر من وسط الظلمة، وأصاب هذا السهم منتصف صدره تمامًا، واخترق درعه. لم تكن الإصابة بالعمق الكافي لقتله، لكنها ألمته بالتأكيد.

ومن خلف إحدى الأشجار خرجت فيفي لتظهر أمامنا، وخلفها وقفت تارين وهي تعلق سيفي قاهر الظلام على خاصرتها، ومعهما شخص ثالث اتضح لي أنها لم تكن هيذر على الإطلاق.

إنها جريما موج، وقد استلت سيفها، بينما كانت تجلس فوق صهوة جواد ضخم مسحور.

الفصل 15

أجبرت نفسي على التحرك خطوة بعد أخرى، ومع كل خطوة أخطوها كنت أوشك على الصراخ من الألم.

قالت فيفي: "أبي، ابقَ في مكانك. وإذا حاولت إيقاف جود فلديّ المزيد من السهام، ولقد انتظرتُ أكثر من نصف عمري كي أسقطك أرضًا".

قال مادوك في سخرية: "أنتِ؟ إن الطريقة الوحيدة لتكوني سببًا في نهايتي هي المصادفة البحتة، انتبهي فإن جيوشي تقف عند التل مباشرة"، ومد يده ليسحب السهم الذي اخترق صدره.

قالت فيفي بنبرة شبه هستيرية: "اذهب وأحضرهم إذن، بل أحضر جيشك كله".

ثم نظر مادوك ناحيتي. لا بد أن منظري كان مدهشًا، فقد كانت الدماء تغمرني ويدي موضوعة على جانبي، وتردد ثانية، وقال: "إنها لن تنجو بهذه الحال، دعيني...".

ردًا على كلامه انطلقت ثلاثة أسهم أخرى تجاهه، لم يصبه أي منها في دلالة مؤسفة على مهارة فيفي في الرماية، وكل ما أرجوه أن يكون قد اعتقد أنها تعمدت ألا تصيبه.

كاد الدوار يستولي عليّ، ووقعت على إحدى ركبتيّ.

ثم انبعث صوت أختي، لم تكن فيفي بل تارين، على مسافة غير بعيدة وقد سحبث سيفي قاهر الظلام من غمده، وأمسكت بالسيف في يد ومدت يدها الأخرى نحوي وهي تقول: "جود، عليك أن تقفي. ابقِ معي يا جود".

لا بد أنه قد بدا أنني سأفقد وعيي، فقلت لها وأنا أحاول أن أصل إلى يدها: "أنا هنا"،
واتكأت بوزني عليها وسرت مترنحة نحو الأمام.

ثم تعالى صوت جريما موج وهي تقول: "يا مادوك، إن ابنتك بارزتني منذ أسبوع. والآن
أصبحت أعلم من كانت تريد حقًا أن تقتله".

قال مادوك وقد حنى رأسه قليلاً دلالة على الاحترام: "جريما موج، أيًا ما كانت الطريقة
التي أتيت بها إلى هنا، فهذا أمر لا يتعلق بك".

عارضته وهي تقول مستنكرة: "أوه، لا يتعلق بي؟"، ثم أخذت تشم رائحة الهواء، ولعلها
كانت تشم رائحة دمائي. كان عليّ أن أحذر فيفي بشأنها عندما واتتني الفرصة، لكنها على
أية حال جاءت إلى هنا وأنا سعيدة بذلك، ثم واصلت جريما موج كلامها: "أنا عاطلة عن
العمل، ويبدو أن بلاط الملك السامي بحاجة إلى قائد للجيش".

بدا الارتباك لوهلة على وجه مادوك، فهو لم يدرك أنها قد جاءت إلى هنا بصحبة كاردان
نفسه، ثم رأى مادوك فرصة سانحة فقال لها: "إن بناتي لا يحظين بقبول البلاط السامي،
لكن لديّ عمل لك. سوف أغدق عليك المنح، وستساعديني على الفوز بالعرش. فقط أعيدي
إليّ بناتي". قال مادوك الجزء الأخير من كلامه وهو يهدر في غضب ليس في وجهي
فحسب بل في وجوهنا جميعًا، في وجوه بناته الخائئات.

نظرت جريما موج إلى حيث تتجمع جحافل جيش مادوك، وظهر على وجهها شيء من
الأسى، ولعلها كانت تفكر في قوات جيشها.

سألته في حدة وأنا أنظر إليه: "هل أخذت موافقة بلاط الأنياب على تقديم هذا العرض؟".

احتدت تعبيرات وجه جريما موج.

رمقني مادوك بنظرة منزعجة اتضح أنها كانت تحمل قدرًا من الندم، ثم قال لجريما موج: "ربما تفضلين الانتقام أكثر من المكافآت، لكن يمكنني أن أقدم لك الاثنين، فقط ساعديني".

كنت أعلم أنه لا يحب السيدة نور واللورد جاريل.

بينما هزت جريما موج رأسها نفيًا، قالت: "إن بناتك دفعن لي قطعًا ذهبية لكي أحميهن وأحارب بالنيابة عنهن، وهذا ما أنوي فعله بالضبط يا مادوك. دائمًا ما تساءلتُ من منا قد ينتصر على الآخر في المعركة، فهلّا عرفنا الجواب الآن؟".

تردد مادوك وهو ينظر إلى سيف جريما موج، وإلى قوس فيفي الأسود الكبير، وإلى تارين وسيف قاهر الظلام، وأخيرًا نظر إليّ.

قال مادوك: "دعيني أعيذك إلى المعسكر يا جود، إنك تحتضرين".

أومأت برأسي نفيًا، وقلت: "أنا باقية هنا".

قال مادوك: "الوداع إذن يا بنيتي، كان يمكن لك أن تصبحي مقاتلة أكثر كفاءة من جان القبعات الحمراء".

وبعد نطقه هذه الكلمات، انسحب، ولم ينظر خلفه اتجاهنا مجددًا. شاهدته وقد أراحني رحيله حتى إنني لم أعد غاضبة من أنه السبب فيما ألمّ بي من ألم عظيم، إلى جانب شعوري بالإنهاك الشديد الذي لا يتيح لي الشعور بالغضب. بدت الثلوج في كل مكان حولنا ناعمة، كما لو كانت أسرة من أكوام من الريش، فتخيلت استلقائي عليها وإغماض عينيّ.

قالت فيفي لي، وبدا صوتها كأنها تتوسل: "هيا، يجب علينا إعادتك إلى المخيم، إلى حيث بقية الأحصنة، إنه ليس بعيدًا".

كان جانبي يحترق من الألم، بينما تعيّن عليّ أن أتحرك. قلت وأنا أحاول أن أنفض عني همودي: "خيّطي جرحي، خيّطي جرحي هنا".

قالت تارين: "إنها تنزف بغزارة".

كنت واثقة تمام الثقة بأنه إذا لم يتم القيام بشيء حيال جرحي الآن، فلن يمكن القيام بأي شيء لاحقًا. إن مادوك على حق، سأموت هنا وسط هذه الثلوج أمام أختي. سأموت هنا، ولن يعرف أحد أبدًا أنه في يوم من الأيام كانت هناك ملكة فانية لأرض الجان.

قلت: "ضعوا في الجرح تراب وأوراق شجر ثم خيطوه". بدا صوتي كأنه قادم من مكان بعيد، ولست واثقة مما إذا كان لكلامي أي معنى، لكنني تذكرت حديث "القنبلة" عن كيف يرتبط الملك السامي بالأرض، وكيف يتعيّن على كاردان الاستفادة منها لكي يشفي نفسه. وأتذكر أن "القنبلة" جعلته يأكل ملء فمه من الطين.

ربما يمكنني أن أشفي نفسي أيضًا.

قالت تارين: "سوف تصابين بعدوى يا جود...".

قلت لها: "لست واثقة بفاعلية الأمر، فأنا لست ساحرة"، أعلم أنني كنت أغفل عن أشياء، وأعلم أنني لا أفسر الأمر لهم بالصورة السليمة، لكن كل شيء أصبح مشوشًا، ثم قلت: "حتى إذا كنت الملكة الحقيقية فقد لا يكون للأرض أي اتصال بي".

رددت تارين بدهشة: "الملكة الحقيقية؟".

في نبرة إحباط قالت فيفي: "لأنها تزوجت كاردان، هذا ما نتحدث عنه".

قالت تارين باندهاش: "ماذا؟ لا".

قالت جريما موج بصوتها الغليظ والمتحشرج: "هيا افعلي فقد سمعتيها. لا بد أنها أشد الفتيات اللاتي وُلدن حماقة على الإطلاق، وذلك لتوريط نفسها مثل هذه الورطة".

قالت تارين: "أنا لا أفهم".

قالت جريما موج: "لا يجدر بنا أن نسأل، أليس كذلك؟ إذا أعطت الملكة السامية لإلفهام أمراً، فإننا نطيع".

أمسكت بيد تارين.

وقلت لها في تأوه: "إنك تجيدين أعمال الإبرة، هيا خيطي جرحي، أرجوك".

أومأت برأسها بالإيجاب، وبدأت زائعة العينين قليلاً.

لا يمكنني فعل شيء سوى التمسك بالأمل، بينما خلعت جريما موج عباءتها من على كتفها وبسطتها فوق الجليد. رقدت فوقها، وحاولت ألا أتحرك بينما كن يمزقن ردائي لكشف الجرح.

ثم سمعت أحدهم يأخذ نفساً مسموعاً.

نظرت إلى سماء اليوم الجديد، وتساءلت عما إذا كان الشبح قد وصل إلى قصر إلفهايم أم لا. وتذكرت لمسة أصابع كاردان وهي تضغط على فمي بينما يتزايد الألم في جانبي. حبست صرخة في حلقي، ثم حبست صرخة أخرى بينما كانت الإبرة تنغرس في الجرح، وفيما كانت السحب تمر في السماء.

قالت تارين وهي تحاول أن تحبس دموعها: "جود؟ إنك ستكويين على ما يرام. أعتقد أن المحاولة تجدي نفعاً".

لكن إذا كانت تجدي نفعاً، فلماذا هي بأئسة هكذا؟

بالكاد استطعت النطق، وحاولت الابتسام وأنا أقول: "لست... قلقة".

قالت: "يا جود"، وشعرت بيد تتحسس جبهتي، كانت اليد دافئة، ما جعلني أعتقد أنني كنت حتماً أشعر ببرد شديد.

قالت جريما موج بصوت هامس: "طوال حياتي، لم أرَ شيئًا مثل هذا".

قالت فيفي بصوت مرتعش لا يبدو وقعته مثل صوتها: "جود، الجروح أغلقت، كيف حالك الآن؟ هناك بعض الأمور الغريبة تحدث".

شعرت في أنحاء بشرتي كأنني أتعرض للسعات نبات القراص، بينما اختفى الألم وأصبح بإمكانني التحرك. ثم استدرت على جانبي السليم ونهضت على ركبتي، كان الصوف المفروش تحتي مشبعًا بالدماء، وكانت الدماء أكثر كثيرًا مما يمكنني أن أتصور أنها نزلت من جسدي.

حول أطراف العباءة، رأيت أزهارًا بيضاء صغيرة تظهر عبر الثلوج. كان معظمها لا يزال مجرد براعم، ولم يتفتح منها سوى عدد قليل أثناء نظري إليها. وقد حدقت إليها وأنا غير متأكدة مما أراه.

وبعدها فهمت ما يجري، مع أنني لم أستطع استيعابه جيدًا وبصورة كاملة.

لقد دارت بذهني كلمات بافين عن الملك السامي: عندما تنساب دماؤه، تنمو الأشياء.

ثم جثت جريما موج على إحدى ركبتيها وقالت: "أيتها الملكة، فلتأمريني".

لم أستطع أن أصدق أنها تقول هذه الكلمات لي، لم أستطع تصديق أن الأرض اختارتني.

كنت قد أقنعت نفسي إلى حد ما بأنني كنت أنظاها بأنني الملكة السامية، وبالطريقة ذاتها التي تظاهرت بها بأنني وكيلة للملك.

بعد لحظات، عاد كل شيء كأفضل ما يكون. دفعت نفسي لأن أقف، فإذا لم أتحرك الآن، فلن أصل أبدًا في الوقت المناسب، وقلت مخاطبة جريما موج: "ينبغي لي أن أذهب إلى القصر، هل يمكنك الانتباه إلى أختي؟".

رمقتني فيفي بنظرة صارمة، وقالت: "إنك بالكاد تستطيعين الوقوف".

أشرت نحو المهر، وقلت: "سأخذ المهر المسحور من نبات زهرة الشيخ، ثم اتبعوني بالخيول الموجودة في المعسكر".

بدا أن فيفي كانت على وشك الصراخ وهي تسألني: "أين كاردان؟ وماذا حدث لجني الجوبلين الذي سافر معه؟ كان من المفترض أن يهتما بأمرك".

قالت تارين تذكّرها: "كان جني الجوبلين يطلق على نفسه اسم الصرصور".

قلت لها وأنا أخطو خطوات قليلة: "لقد تعرض للتسمم، وتعين على كاردان أن يذهب به سريعًا لكي يحصل على الترياق، لكنه لا يعلم أن مادوك أرسل الشبح لقتله"، كان ردائي مفتوحًا من جانبه وكانت الريح قاسية على بشرتي العارية، فأجبرت نفسي على الوصول إلى المهر، ولمست عرفه المناسب.

رددت تارين: الشبح.

قالت فيفي: "من السخف الطريقة التي يتصرف بها الجميع كما لو أن قتل الملك سيجعل من سيأتي بعده ملكًا أفضل. إن هذا يشبه تخيلنا أنه لا سبيل في العالم الفاني لاجتياز محامٍ اختبار ممارسة المهنة إلا بأن يقتل محامياً آخر".

لم تكن لديّ أية فكرة عما تتحدث عنه أختي، فنظرت إليّ جريماً موج بعطف، ومدت يدها في جيب معطفها وسحبت قارورة مغلقة، ثم قالت لي: "خذي رشفة منها، وستساعدك على المواصلة".

لم أسألها عن ماهية الشراب، فقد كانت حالتي شديدة السوء ولهذا تجرعتة مباشرة. لسعني طعم السائل وصولاً إلى حلقي ما جعلني أسعل، ثم سرت لسعته في معدتي وامتطيت صهوة المهر.

وضعت تارين يدها على ساقي، وقالت: "جود، عليك أن تلتزمي الحذر، حتى لا تنفك خياطة الغرز"، وعندما أومأت برأسي إيجابًا، قامت بحل الغمد المثبت على خصرها، وقدمت لي سيفي وهي تقول: "خذي قاهر الظلام".

شعرت بتحسن فوري مع وجود سلاح في يدي.

ثم قالت فيفي في لهجة تحذيرية: "سنراك هناك قريبًا، انتبهي حتى لا تقع من فوق صهوة المهر".

مددت يدي إليهما؛ فأمسكت فيفي بواحدة وأمسكت تارين بالأخرى وضغطت على يديهما بدوري، وقلت: "شكرًا لكما".

بينما كان المهر يشق طريقه وسط الهواء قارس البرودة، رأيت الجبال من تحتي، ورأيت جيش مادوك وهو يحتشد. نظرت للأسفل إلى أختي وهما تحثان الخطى عبر الثلوج، إنهما أختاي اللتان على الرغم من كل شيء قد حضرتا إلى هنا من أجلي.

الفصل 16

أصبحت السماء أكثر دفئًا أثناء توجهي نحو إلفهايم. كنت متشبثة بعُرف المُهر المسحور، وأعبُّ الهواء المشبع برذاذ البحر المالح عبًّا، وأشاهد الأمواج وهي ترتفع إلى أوجها، ثم تهبط في دوامات من تحتي. ومع أن قوة الأرض حالت دون موتي، فإنني لم أشف تمامًا. فعندما حركت جسدي، شعرت بألم في جانبي، وشعرت كأن الغرز المحيطة هي ما تُبقي جسدي ملتحمًا كأني دميمة بالية يكاد حشوها يخرج منها.

وكلما اقتربت أكثر من القصر، اشتد فزعي.

ألم يكن من الأفضل لو أصيب كاردان بسهم يخترق قلبه داخل قاعة حكمه؟

من عادة الشبح أن يخطط للاغتيال على طريقة العنكبوت، حيث يجد مكانًا مناسبًا لتسديد ضربته، ثم ينتظر وصول الضحية. لقد اصطحبني الشبح سابقًا إلى حيث عوارض السقف الخشبية في قصر إلفهايم من أجل تنفيذي أول عملية اغتيال بنفسي، وأوضح لي كيف أنفذها. وعلى الرغم من نجاح عملية الاغتيال، فإن شيئًا في هيكل الغرف لم يتغير من الداخل - وأعلم هذا لأنه بعد فترة وجيزة من الحادث، أصبحت ذات سلطة في المكان، ولم أُغيّر فيه شيئًا.

كانت فكرتي الأولى أن أعرفهم بنفسي عند البوابات، وأطالبهم باصطحابي إلى حيث الملك السامي. فقد وعد كاردان بإبطال قرار نفيي، وأيًا كان ما ينويه، يمكنني على الأقل تحذيره من الشبح. لكنني خشيت من احتمالية أن يسرع أحد الفرسان شديدي الحماس باتخاذ قراره بحتمية قتلي أولًا، وبعدها يمكنه أن يوصل أية رسالة أحملها، هذا إذا كانت لديّ أية رسائل أصلاً.

أما فكرتي الثانية، فكانت أن أتسلل إلى داخل القصر عبر غرفة والدة كاردان القديمة والممر السري الموصل إلى جناح الملك السامي. لكن إذا لم يكن كاردان هناك، فسوف أغدو حبيسة وغير قادرة على تجاوز الحرس الذين يقفون عند بابه. كما أن تسلي للعودة إلى الخارج ثانية سيضيع عليّ وقتًا كثيرًا، وأنا بالفعل لم أكن أمتلك أي وقت.

وبسبب تعرض مقر مجلس الظلال للتفجير وعدم معرفتي مكان مقرهم الجديد، فلم يكن ممكنًا لي أيضًا الدخول عبر ذلك المسار.

وبهذا يتبقى لي مسار واحد فقط؛ الدخول مباشرة إلى البلاط. وقد يمر أي شخص بشري فإن يرتدي ملابس الخدم دون أن يلفت الأنظار إليه، لكنني معروفة بما لا يتيح لي اللجوء إلى هذه الحيلة إلا إذا تنكرت جيدًا. لكنني لا أستطيع الوصول إلا إلى عدد قليل من الملابس، كما أن جناحي يقع في أعماق القصر، ومن المستحيل أن أصل إليه الآن. كما أن منزل تارين، وهو منزل لوك سابقًا، لم يزل موجودًا فيه خدم لوك، ومن المخاطرة دخوله. بينما منزل مادوك - مهجور، وبه ملابس خاصة بتارين وفيفي لم تزل منسية ومعلقة في خزانتهما...

هذا الحل قد ينجح.

طرت على ارتفاع منخفض وصولًا إلى منطقة الأشجار، وسعدت بوصولي قبل الظهيرة، حيث يكون أغلب معشر الجان نائمين في أسرّتهم. هبط المهر إلى جوار الإسطبلات وترجلت من فوق صهوته، ومن فوره عاد المهر وتحول إلى سيقان نبات زهرة الشيخ، فقد كان السحر الملقى عليها قد بلغ مداه بالفعل ثم انتهى. وبكل ما في من جروح توجهت ببطء نحو المكان، وفي رأسي كانت مخاوفي وآمالي تتصادم في حلقة لا تنتهي:

أرجو أن يكون الصرصور بخير.

أرجو ألا يصاب كاردان بسهم. أرجو أن يخطئ الشبح هدفه.

أرجو أن أدخل المكان بسهولة. أرجو أن أنجح في إيقافه.

لم أتوقف لكي أسأل نفسي عن سبب كل هذا الذعر لإنقاذ شخص أقسمت بأنني قد اقتلعت من قلبي أية مشاعر لديّ تجاهه. لكنني لن أفكر في هذا الآن.

وفي داخل المنزل، كان الكثير من قطع الأثاث التي كانت موجودة قد اختفت، وتم تفريغ ما بقي من الأثاث من حشو التنجيد، كما لو كانت الأشباح أو السناجب تعشش داخله. تردد صدى وقع خطواتي وأنا أصعد الدرج الذي اعتدت الصعود عليه، والذي بات غريبًا بعد الخواء الذي حلّ بالغرف. ولم أنشغل بالذهاب إلى غرفتي القديمة، بل ذهبت بدلًا منها إلى غرفة فيفي، حيث وجدت أن خزانة ملابسها لم تنزل ممتلئة. كنت أظن أنها تركت الكثير جدًا من أغراضها عندما ذهبت لكي تعيش في العالم البشري، وقد صحّ ظني.

وجدت سروالًا ضيقًا مطاطيًا باللون الرمادي الداكن، وسترة ضيقة، هذا يكفيني تمامًا. وبينما كنت أغير ملابسني، اعترتني نوبة من الدوار، فاضطرت إلى التعلق بإطار الباب حتى تمر وأستعيد توازني ثانية. وبعد خلعي قميصي، فعلت ما كنت أتجنب فعله حتى الآن - نظرتُ إلى جرحي. كانت الدماء المتجلطة تلتخ موضع طعنة مادوك، وكانت الخياطة الدقيقة للغرز هي التي تُبقي الجلد ملتحمًا. كان عمل تارين جيدًا ومتأنياً، وشعرت بالامتنان لها. لكن مجرد نظري للجرح أصابني بالرعشة وعدم الاتزان، خاصة عند رؤيتي الأماكن الأكثر احمرارًا، حيث توجد علامات شد الجلد.

تركت ردائي المقطّع والمتشعب بالدماء في إحدى الزوايا، إلى جانب حذائي ذي الرقبة. وبأصابع مرتجفة صفت شعري وجمعته في شكل كعكة محكمة، ثم غطيتها بوشاح أسود لففته حول رأسي مرتين. إذ إنني بمجرد بدئي التسلق، لا أريد أن يجذب أي شيء الانتباه إليّ.

وفي الجزء الرئيسي من المنزل وجدت آلة عود غير مُدوّنة معلقة في غرفة أوريانا، إلى جانب مساحيق التجميل. فقامت بتغميق المنطقة المحيطة بعينيّ ورسمتها على هيئة

جناحين مع رسم حاجبيّ ليتداءما مع هذا الشكل، وبعدها أخذت قناعًا منفردًا ووضعتة على وجهي.

وجدت في مستودع الأسلحة قوسًا صغيرًا يتفكك إلى قطع صغيرة يمكن إخفاؤها. وللأسف اضطررت إلى ترك سيفي، قاهر الظلام، بعد أن حرصت على إخفائه جيدًا بين السيوف الأخرى. ثم أخذت ورقة صغيرة من فوق مكتب مادوك القديم، واستخدمت قلمه الريشة لكتابة الملحوظة التحذيرية التالية:

من المتوقع حدوث محاولة اغتيال، والأرجح أن تتم في القاعة الكبرى، احرصوا على إبقاء الملك السامي بعيدًا عن الخطر.

إذا أعطيت هذا التحذير لشخص حتى يوصله إلى بافين أو أي من حراس كاردان، حينها قد تكون لديّ فرصة أفضل لإيجاد الشبح قبل أن يضرب ضربته.

توجهت إلى القصر سيرًا على الأقدام وببيدي آلة العود، حيث لم يكن المكان بعيدًا. لكن عند وصولي كان العرق البارد بدأ يظهر على جبيني، وكان من الصعب تخيل مدى صعوبة أخذي نفسي. فمن جانب، صحيح أن الأرض داوتني ما جعلني أشعر بأنني مُحصنة بمعنى ما، لكن من جانب آخر كدت أموت وما زلت مصابة - وأيًا كان ما قدمته لي جريما موج لأشربه فقد بدأ تأثيره يزول.

وجدت مجموعة صغيرة من الموسيقيين، وبقيت على مقربة منهم عند بوابات القصر.

وقال لي أحد العازفين: "هذه آلة جميلة"، وكان قائلها فتى صغيرًا ذا شعر أخضر بلون أوراق الشجر حديثة النمو، ثم نظر إليّ بغرابة كما لو كان نعرف أحدنا الآخر.

قلت بسرعة: "سأعطيك إياه، فقط إذا فعلت أمرًا من أجلي".

قَطَب جبينه سألني: "ما هو؟".

أمسكت يده ووضعت بها الرسالة التي كتبتها، وقلت: "هلاً أوصلت هذه الورقة إلى أحد أعضاء المجلس الاستشاري، ويفضل أن توصلها إلى بافين؟ أعدك بأنك لن تقع في أية مشكلة".

بدا مترددًا وغير واثق مما يجب فعله.

وفي تلك اللحظة المؤسفة أوقفني أحد الفرسان، وقال لي: "أنتِ أيتها الفتاة الفانية التي ترتدي قناعًا، إن رائحة الدم تنبعث منك".

استدرت إليه وأنا أشعر بالإحباط واليأس، وتفوهت بأول ما خطر على بالي: "حسنًا، أنا فانية وفتاة، يا سيدي. إننا ننزف في كل شهر تمامًا كما يتضخم القمر في كل شهر".

فأشاح بيده لكي أوصل المسير، وبدا النفور على وجهه.

وكذلك بدا على وجه الموسيقيين الارتياح.

قلت للموسيقي الصغير وأنا أدفع العود بين ذراعيه دون أن أنتظر جوابه: "خذه، ولا تنس الرسالة"، وبعدها توجهت نحو الحضور المجتمعين هناك. ولم ينقض وقت طويل حتى ابتلعتني الزحام وبات من اليسير نزعي للقناع. ثم وصلت إلى زاوية مظلمة وبدأت الصعود إلى عوارض السقف الخشبية.

كان التسلق شاقًا حيث بقيت متوارية وراء الظلال أتحرك ببطء، وأحاول طوال الوقت أن أرى أين يمكن أن يختبئ الشبح، مع خوفاي الدائم من دخول كاردان إلى القاعة، فيصبح هدفًا سهلًا أمامه. اضطررت مرارًا وتكرارًا إلى التوقف لمعرفة مكاني، وانتابني نوبات من الدوار الخفيف، وفي منتصف طريقي نحو الأعلى، شعرت بانفكاك إحدى الغرز في جانبي، فوضعت يدي على جانبي، ووجدت أن يدي قد تلوثت بالدماء. ونظرًا لاختبائي وراء الأجمة الكثيفة تمكنت من فك الوشاح من فوق رأسي وربطته حول خصري بإحكام قدر استطاعتي.

أخيرًا وصلت إلى مكان مرتفع عند منحني السقف تتلاقى عنده الكثير من النباتات، ويمكن الجلوس عليه.

عندما كان يعلمني - كيف أنتظر بصبر، وأن الملل هو أصعب جزء في المهمة، ولا بد أن يبقى المرء يقظًا، وألا يستسلم للملل الذي قد يفقده تركيزه ويوقف انتباهه لأية حركة في الظلال، أو في حالتي أنا: يتوقف انتباهي بسبب الألم.

يجب أن أرى الشبح، وبمجرد رؤيتي له يجب أن أطلق السهم عليه، لا يمكن أن أتردد. وكان الشبح نفسه سيقول لي حينئذ إنني قد أضعت فرصتي لقتله، والأفضل ألا أخفق ثانية.

فكرت في مادوك الذي رباني في بيت اعتاد القتل، مادوك الذي أصبح معتادًا للحروب، حتى إنه قتل زوجته وكان سيقتلني أنا أيضًا.

إذا غمرت سيقًا ساخنًا في الزيت، فسيتحول أي عيب بسيط فيه إلى صدع كبير. لكن غمسكن في الدماء كما حدث معكن، لم يؤدِّ إلى كسر أي منكن، بل ازدادت قوة.

إذا ظللت على ما أنا عليه، فهل سأصبح مثل مادوك؟ أم سأنكسر؟

بالأسفل كان يرقص عدد قليل من أفراد الحاشية في دوائر تلتقي معًا، ثم تتداخل ثم تفترق ثانية. وقد أسرني مشهدهم، مع أن المشهد قد يبدو فوضويًا من الأسفل لكنه من الأعلى يمثل انتصارًا لروعة مبادئ علم الهندسة. نظرت من الأعلى إلى طاولات المآدب التي تتراص عليها أطباق الفاكهة وأنواع الجبن المزخرفة بالزهور، وأواني الشراب. قرقرت معدتي بينما انتقل الوقت من فترة ما قبل الظهر إلى بدايات العصر فتوافد المزيد من معشر الجان إلى البلاط.

وصل العزّاف الملكي بافين وكانت السيدة آشا تتأبط ذراعه، وشاهدتهما وهما يمضيان في طريقهما حول المنصة، في مكان ليس ببعيد عن العرش. وبعد سبع رقصات دائرية أخرى،

دخلت نيكاسيا إلى القاعة ومعها بعض المصاحبين لها من مملكة البحار. وبعدها دخل كاردان والحرس يحيطون به، وكان التاج الدموي يتألق فوق تموجات شعره فاحم السواد.

عندما نظرتُ إليه، شعرت بالحيرة.

لم يكن يبدو أنه شخص حمل منذ وقت قصير عبر الجليد جاسوسًا تعرض للتسمم، ولا أنه شخص اقتحم معسكر الأعداء بشجاعة، ولا أنه شخص دفع إليَّ بعباءته السحرية بين يدي، بل بدا أقرب إلى شخص دفعني لأسقط في المياه، وأخذ يضحك عندما كدت أغرق، وبدا أكثر كشخص خدعني.

إن هذا الفتى هو نقطة ضعفك.

رأيت أفراد البلاط يتبادلون الأنخاب التي لم أستطع سماعها، ورأيت الأطباق الممتلئة بالحمام المشوي على السيخ والحلوى المغلفة بأوراق الشجر والخوخ المحشو، لكنني شعرت بشيء غريب، ثم شعرت بالدوار، وعندما نظرت إلى الجرح، رأيت أن الوشاح الأسود أصبح مشبعًا بالدماء، لهذا قمت بتغيير وضع جسدي لأغير نقطة ارتكازي.

انتظرت وانتظرت، وحاولت ألا تتساقط دمائي على أي شخص. وبينما أصبحت رؤيتي ضبابية، أجبرت نفسي على التركيز.

في الأسفل، رأيت راندالين وبيده شيء، شيء يلوح به لكاردان. إنها الملحوظة التي كتبتها، لا بد أن العازف الصبي قد أوصلها في النهاية. أحكمت قبضتي على قوسي، وأخيرًا سيخرجونه بعيدًا عن هنا، بعيدًا عن مصدر الخطر.

لكن كاردان لم ينظر إلى الورقة، بل أبدى إشارة غير مبالية كما لو أنه قد قرأها بالفعل. لكنه إذا كان قد قرأ رسالتي، فماذا يفعل هنا؟

ما لم يكن - هذا الأحمق - قد قرر أن يجعل من نفسه طعمًا.

وفي تلك اللحظة رأيت حركة بالقرب من بعض النباتات، واعتقدت للحظة أنني قد رأيت مجرد حركة للظلال، لكن بعدها رأيت "القنبلة" في اللحظة ذاتها التي رأيتي فيها، وضافت عينها، ورفعت قوسها وكان سهمها مثلماً ومعداً للانطلاق بالفعل.

وأدرت ما يحدث لكن بعد فوات الأوان.

فقد أنبأت الملاحظة رجال البلاط بمحاولة الاغتيال، فذهبت القنبلة للبحث عن القاتل، ووجدت شخصاً يختبئ في الظلال ومعه سلاح، ولدى هذا الشخص كل الأسباب التي تجعله يُقدم على قتل الملك وهذا الشخص هو: أنا.

ألن يكون من الأفضل لو أصيب بسهم يخترق قلبه داخل قاعة حكمه؟

مادوك نصب لي شركاً. إنه لم يرسل الشبح من الأصل، بل جعلني أعتقد أنه فعل، حتى آتي إلى هنا في إثر الشبح وأصعد على عوارض السقف الخشبية. وبذلك أدين نفسي دون أن يتعين على مادوك أن يسدد لي الضربة القاتلة، بل يتيقن من سيرتي نحو هلاكي.

أطلقت القنبلة السهم لكنني تفاديته، فتجاوزني سهمها بينما تعثرت قدمي بسبب دمائي وانثنت، وبعدها قفزت للخلف من فوق عارضة السقف الخشبية وسقطت في الهواء.

وللحظة بدا كأنني أطيرو.

ثم هبطت فوق مائدة الطعام، وأوقعت ثمار الرمان على الأرض التي تدحرجت في كل اتجاه، فانسكب الشراب وتهشمت قدور الكريستال. لا بد أن الكثير من غرز الخياطة في جانبي قد انفكت، كان كل جسدي يؤلمني، ولم يبدُ أنني قادرة على التنفس.

فتحت عيني لأرى أشخاصاً محتشدين حولي من المستشارين والحرس، بينما لا أذكر أنني أغمضت عيني، ولا أعلم مقدار الفترة التي غبت فيها عن الوعي.

قال أحدهم: "جود دوارتي، لقد خالفت الحكم بنفيها لكي تغتال الملك السامي".

قال راندالين: "يا جلالة الملك، في انتظار أوامرك".

قطع كاردان المسافة سائرًا نحوي، وبدا وسيماً على نحو قاهر. تفرَّق الحرس ليفسحوا له مجالاً للاقتراب، ولو أنني تحركت حركة واحدة، فلا شك أن الحرس كانوا سيطعنوني من فورهم.

صحت أقول له: "لقد فقدتُ عباءتك"، وخرجت صيحتي في صورة لهاث.

حدق إلى وجهي قائلاً والغضب يشتعل في عينيه: "إنك كاذبة، فانية قدرة وكاذبة".

أغمضت عينيَّ عند سماعي كلماته القاسية، لكن لم يكن لديه سبب يدعو لاعتقاد أنني لم آتِ إلى هنا لكي أقتله.

إذا زجَّ بي في برج النسيان، فهل يا ترى سيأتي لزيارتي.

قال راندالين: "قيدوا يديها بالسلاسل".

لم أتمنَّ في حياتي كلها من قبل أن أجد سبيلاً يؤكد قولي الحقيقة مثلما أتمناه الآن. لكن لا يوجد سبيل، ومهما أقسمت فلن يكون لقسمي أي وزن لديهم.

شعرت بيد الحارس تطبق على ذراعي، وبعدها قال كاردان أمراً: "لا تلمسها".

وأعقب قوله هذا صمت رهيب، وانتظرت أن يصدر حكمه عليّ. سيجري تنفيذ أي ما يأمر به، فقد كان سلطانه مطلقاً، كما أنني لا أملك أية سلطة لكي أواجهه.

قال راندالين: "ماذا تعني؟! إنها...!".

قال كاردان بصوت أسمع الحشود الواقفة: "إنها زوجتي، والملكة السامية الشرعية لإلفهايم، وهي بكل تأكيد غير محكوم عليها بالنفي".

سمعت ضجيج الحشد المندهب من حولي، لكن لم يكن اندهاب أي منهم أكثر من
اندهاشي، حاولت أن أفتح عيني، ثم حاولت الجلوس، بينما عجزت عن رؤية ما هو أمامي
تماماً، ثم سحبني الظلمة إلى أعماقها.

الكتاب الثاني

ضد جان النار قادت حربًا شعواء ومعها أرواح المد والجزر،

وشهد الهواء والأرض والمحيط احتدام المعركة واستعارها.

لقد صالت وجالت بسيفها المعقوف اللامع، الذي كان يطاوعها كيفما شاءت.

سيف صنعه حبيبها القزم، صنعه قويًا لامعًا كالألماس، فحاربت إلى
جوار الملك إيلي،

وهناك ذبحت سيد أرض النار،

واقتلعت جذور كل ساكنيها،

وتوّجها الجيش المنتصر ملكة،

فأسرعت بالعودة إلى أرض الجان،

وعاد موكبها مزهواً إلى الديار.

- فيليب جيمس بايلي،

"A Fairy Tale"

الفصل 17

كنت مستلقية في فراش الملك السامي الضخم، وأنزف على الأغطية المخصصة لجلالته. كان الوجع يسري في جسدي، وأشعر بألم حارق في معدتي، وصداع في رأسي.

وقف كاردان إلى جواربي، وكانت سترته المخملية ملقاة على مقعد مجاور مبلةً بمادة داكنة. لقد شمر كمي قميصه الأبيض، وأخذ يغسل يديّ بقماشة مبلة ليزيل عنهما الدماء.

حاولت أن أتحدث، لكنني شعرتُ كأن فمي ملتصق، فلذت ثانية بالنوم والغياب.



لا أعلم كم طالت فترة نومي، كل ما أعلمه أنه كان وقتًا طويلًا. وعندما استيقظت، كنت شديدة العطش، وتعثرت وأنا أنهض مشوشة من الفراش. كان هناك عدد من الشموع تضيء أنحاء الغرفة، وإلى جوار ضوئها استطعت تمييز أنني ما زلت في غرفة كاردان وفي فراشه الملكي وأني بمفردي.

وجدت إبريق مياه بقربي فقربته من شفتي دون أن أعبأ بالبحث عن كوب، وعببت الماء عبًا حتى شعرت أخيرًا بالارتواء. ثم أرخيت ظهري مستلقية على الفراش، وحاولت أن أفكر فيما حدث، وبدا لي ما حدث كأنه حلم محموم.

لم أستطع البقاء في الفراش أكثر من ذلك، فتجاهلت أوجاع جسدي، وتوجهت إلى غرفة الاستحمام، كان المغطس ممتلئًا بالمياه، وعندما لمستها ظهر وميض من أثر أصابعي على صفحتها. وكان هناك مرحاض خاص لكي أستخدمه، وهو شيء شعرت بامتنان هائل لوجوده.

نزعت ملابسني بحذر شديد، ودخلت المغطس، وحككت جلدي بأظفري حتى تغسل المياه الأوساخ والدماء التي كست جلدي في الأيام العديدة الماضية. ثم حككت وجهي ونظفت شعري، وعندما خرجت من المغطس شعرت بأنني أفضل كثيرًا.

وفي غرفة النوم ذهبت إلى حيث خزانة الملابس، ونظرت عبر أرفف ثياب كاردان المبهرجة، ورأيت أنه حتى إذا ناسبت ثيابه مقاسي، فلا يليق أن أرتدي أيًا منها. ثم ارتديت قميصًا واسعًا منتفخ الأكمام وأخذت أقل العباءات سخفًا في مظهرها - كانت من الصوف الأسود المزخرف بجلد الغزال، ومطرزة عند الحواف بأوراق الشجر - والتحفت بها، وبعدها شققت طريقي عبر الممرات وصولًا إلى جناحي القديم.

لاحظ الفرسان الواقفون عند الباب قدمي الحافيتين، وكاحلي العاريين، والطريقة التي أحكم بها إمساك العباءة. لا أعلم ما كانوا يفترضونه، لكنني كنت أرفض أن أشعر بالحر، واستعنت بمكانتي الجديدة في القصر التي عُرفت حاليًا كملكة إلفهايم، فرمقتهم بنظرة هازئة، فأداروا وجوههم بعيدًا.

عندما دخلت جناحي القديم، فوجئت تاترفيل التي كانت جالسة على الأريكة وتلعب بالورق مع أوك.

فوجئت بدوري وأنا أصبح مندهشة: "أوه".

فقال أوك وهو غير متيقن مما يجب عليه قوله: "مرحبًا".

سألته: "ماذا تفعل هنا؟"، أجفل عند سماعه كلماتي، فيما شعرت أنا بالندم لقسوتها، فاعتذرت: "أنا آسفة"، سرت حول الأريكة، ثم انحنيت وجذبتة لكي أحتضنه، وقلت له: "أنا سعيدة لأنك هنا، أنا فقط فوجئت بوجودك". ولم أقل له إنني قلقة مع أنني كنت كذلك. إن قصر إلفهايم مكان تحفه المخاطر بالنسبة لأي شخص، وبالنسبة إلى أوك بصفة خاصة.

ومع ذلك، ملت برأسي على رقبتة، وتشبعت برائحته التي تشبه الأرض الخصبة وأوراق شجر الصنوبر، إنه أخي الصغير الذي يعتصرني في حضنه لدرجة مؤلمة، وكاد أحد قرنيه يصطدم بفكي.

ثم قال وهو يبتعد قليلاً: "إن فيفي هنا أيضاً وتارين وهيذر".

تشاركنا معاً نظرة ذات معنى، وأنا أقول باندهاش: "حقاً؟"، كنت آمل فعلاً أن تعود صداقة هيذر وفيفي، لكنني كنت متفاجئة من قيامها برحلة أخرى إلى إلفهايم. وقد ظننت أنها ستستغرق وقتاً طويلاً قبل أن تتقبل أي قدر، ولو ضئيلاً، يتعلق بالجان وعالمهم، ثم سألتها: "أين هن؟".

أجابت تاترفيل: "على مائدة العشاء مع الملك السامي بينما لم يرد صغيرنا هذا الذهاب، لذا أحضرنا إليه صينية طعام في مكانه هنا"، انطوت كلماتها على رفض مألوف لتصرفه، لا بد أنها كانت تعتقد أن رفضه لشرف صحبة الملك يمثل دلالة على تدليل أوك الزائد على الحد. لكنها كانت في الواقع دلالة على انتباهه.

على أية حال انشغلت أكثر بصينية العشاء الموجودة أمامي، وعليها أصناف من الأطعمة الشهية الموضوعة فوق الأطباق الفضية التي أكل أوك نصفها، قرقرت معدتي من الجوع، ولم أكن أعلم كم مضى منذ تناولت آخر وجبة طعام حقيقية. بدأت أنظر وشرعتُ دون أن أطلب الإذن في التهام شرائح البط الباردة وقطع الجبن والتين. وكان هناك شاي يتسم بتأثيره القوي موضوع في إبريقه، تناولته أيضاً من الإبريق مباشرة.

كان جوعي هائلاً لدرجة جعلتني أتشكك، وأسأل: "لكم من الوقت ظللت نائمة؟".

هز أوك كتفيه وأجاب: "حسناً، لقد خدروك. وكنت قد استيقظت من قبل لكن ليس لوقت طويل، ليس كما أنت الآن".

هذا غريب، لأنني من ناحية لا أذكر ذلك، ومن ناحية أخرى لأنني كنت أحتل فراش كاردان طوال هذا الوقت، لكنني لم أهتم بالتفكير في هذا الأمر، مثلما لم أهتم بالتفكير في خروجي من جناح الملك السامي دون أن يغطي جسدي سوى قميص فضفاض وعباءة. وبدلاً من ذلك أخذت رداء من أرديتي القديمة الخاصة بمنصب وكيلة الملك - وهو رداء طويل غير منفوش تتلونّ ياقته وطرفا كميته باللونين الأسود والفضي. ربما لا تتناسب بساطة لونه مع مظهر للملكة، لكن أزياء كاردان كانت مبهرجة بما يكفي لكلينا معاً!

عندما انتهيت من ارتداء ملابسي، عدت إلى غرفة المعيشة.

سألتُ تاترفيل: "ألن تصفني شعري؟".

فوقفت على قدميها باستياء وهي تقول: "بالتأكيد، فلا يكاد يمكنك التحرك في الأتحاء بالصورة التي أتيت بها". عدت بعدها إلى غرفة النوم، حيث أجلسني إلى طاولة التزين، وقامت بجدل شعري البني في شكل هالة تحيط بوجهي، وبعدها وضعت مساحيق التجميل لتلونّ بها شفتيّ وجفنيّ بلون وردي خفيف.

قالت: "إنني أريد أن يوحى شعرك بأنه تاج فوق رأسك، لكنني أظن أنك ستحظين بحفل تتويج قريباً".

أدارت الفكرة رأسي، وتسلل إليّ إحساس بغرابة وعدم واقعية ما حدث، أنا لا أفهم لعبة كاردان، وهذا ما يقلقني.

فكرت لحظتها كيف كانت تاترفيل تحثني فيما سبق على الزواج. إن هذه الذكرى، وكذلك يقيني عدم إمكانية فعلي ذلك، جعلها وجودها في جناحي وتصفيها شعري كما فعلت أشد غرابة. قلت لها: "لقد صفت شعري على نحو يجعلني أبدو كشخصية ملكية"، والتقت عيناها بعينيها السوداوين عبر المرآة وابتسمت لي.

ثم سمعت صوت تارين الناعم وهي تقول: "جود؟".

جاءت تارين من الغرفة الأخرى، مرتدية ثوبًا من الذهب المغزول، وبدت رائعة الجمال - بالورد على وجنتيها والبريق في عينيها.

قلت لها: "مرحبًا".

قالت وهي تندفع إلى داخل الغرفة: "لقد استيقظتِ! إنها مستيقظة يا فيفي".

وجاءت فيفي، مرتدية بدلة من القطيفة باللون الأخضر الداكن. وقالت: "أتعلمين أنكِ كدتِ تموتين؟ كدتِ تموتين مرة ثانية".

ثم جاءت هيذر وراءهما برداء أزرق فاتح بأطراف من اللون الوردي تتماثل تمامًا مع ألوان خصلات شعرها المجددة. وقد ابتسمت لي ابتسامة حانية شعرت بالامتنان لها، فمن الجيد أن أرى شخصًا واحدًا لا يعرفني بالدرجة الكافية التي تجعله غاضبًا مني.

أجبتها: "نعم، أعلم".

قالت فيفي بلهجة تقريرية: "إنك تستمرين دائمًا في الاندفاع نحو الأخطار، وعليك أن تتوقفي عن التصرف كما لو كانت إدارة سياسات البلاط الملكي والحكم نوعًا من الرياضات الخطيرة، وعليك أن تتعدي عن هذه المخاطر".

فاستدركت أقول: "لم يكن بيدي حيلة في خطف مادوك لي".

واصلت فيفي كلامها وقد تجاهلت ما قلتها: "نعم، وبعدها جاء الملك السامي إلى عتبة باب شقتنا وهو مستعد لهدم المجمع السكني بالكامل لكي يحدكِ. وعندما تلقينا أخيرًا أنباء عنكِ من خلال أوريانا، لم يكن بوسعنا الوثوق بأي شخص بسهولة. ولهذا تعين علينا الاستعانة بجنية القبعات الحمراء المتوحشة، جريما موج، كي تأتي معنا تحسبًا لما قد يحدث. ومن الجيد أننا فعلنا ذلك...".

قاطعتها تارين لتقول: "عند رؤيتك ممددة فوق الجليد - كان وجهك شاحبًا جدًا يا جود. وعندما بدأت الأزهار تتبرعم وتتفتح من حولك لم أدري بما أفكر، فقد خرجت الأزهار والنباتات المعترشة عبر الجليد، وبعدها عاد لون بشرتك إلى طبيعته ونهضت، ولم أكد أصدق ما كنت أرى".

قلت بخفوت: "نعم، أنا أيضًا تفاجأت".

سألت هيدر: "هل هذا يعني أنك تمتلكين قدرة سحرية؟"، كان سؤالها منطقيًا، لكن من غير المفترض أن تكون للبشر الفانين قدرات سحرية.

أجبتها: "لا أعرف".

وقالت تارين: "ما زلت لا أصدق أنك تزوجتِ كاردان".

شعرت بحاجة مبهمة للتبرير، وأردت أن أنكر أنني رغبت في ذلك، وأردت أن أدعي أنني كنت أتصرف وفق دوافع عملية محضة عندما وافقت. فمن التي لن تُرد أن تصبح ملكة الجان؟ ومن تستطيع أن ترفض الصفقة التي عقدتها؟

قالت تارين: "المسألة فقط - أنك كنتِ تكرهينه، لأكتشف بعدها أنه كان واقفًا تحت سيطرتك طوال الوقت. ولهذا ظننت أنك ربما ما زلتِ تكرهينه. إن ما أعنيه - أنه من الممكن أنك لا تزالين تكرهينه الآن وربما هو يكرهك أيضًا، لكن الأمر برمته محير".

قاطعتها صوت طرق على الباب، فانطلق أوك لكي يفتح الباب. وكان الملك السامي قد أتى على ذكرنا له، فقد كان واقفًا بالباب ومحاطًا بحراسه.

الفصل 18

كان كاردان يرتدي ياقة مزدانة بحجر الكهرمان النفيس فوق سترة رسمية سوداء، ويضع فوق طرفي أذنيه المدببتين غطاءين ذهبيين أشبه بسكينين تتلاءمان مع المسحوق الذهبي المنثور على عظمتي وجنتيه. وكان وجهه لا يحمل أية تعبيرات.

ثم سألني بطريقة تتيح لي الرفض إذا شئت: "تعالى للسير معي؟".

أجبتة: "بالطبع"، تسارعت دقات قلبي على الرغم مني، فقد كرهت رؤيته لي عندما كنت في أضعف حالاتي، وكرهت نزيفي على ملاءاته الحريرية المصنوعة من خيوط العنكبوت.

أمسكت فيفي بيدي وهي تقول: "إن حالتك ليست جيدة بما يكفي".

فرفع كاردان حاجبيه الأسودين، وقال: "إن مجلس المستشارين متحمس للتحدث معها".

قلت له: "بالتأكيد"، ثم نظرت إلى أختي، وإلى هيذر وأوك من خلفهما، وقلت: "ويجب أن تسعد فيفي بهذا؛ لأن الخطر الوحيد الذي قد يقع لأي شخص أثناء انعقاد مجلس المستشارين هو الموت مللاً".

تركت يد أختي فاصطف الحرس خلفنا، ومد كاردان ذراعه لكي أتأبطها ما جعلني أسير إلى جواره بدلاً من أن أسير خلفه كما كنت أفعل بصفتي وكيلة الملك. وسرنا عبر القاعات، وعندما مررنا بأفراد حاشية البلاط انحنوا لنا، وكان هذا أمراً موتراً للأعصاب.

سألته بصوت منخفض حتى لا يسمعنا أحد: "هل الصرصور بخير؟".

أجاب كاردان: "لم تكتشف القنبلة بعد كيف توقظه من سباته، لكن هناك أملاً بأنها ستوقظه".

قلت لنفسي على الأقل هو لم يمّت، لكنه إذا نام لمائة عام فسأسكن قبري قبل أن يفتح عينيه ثانية.

قال كاردان وهو ينظر إليّ بطرف عينه: "أرسل والدك رسالة. إنها رسالة غير ودية على الإطلاق، يبدو أنه يلومني فيها على موت ابنته".
قلت: "حسناً".

وواصل كاردان دون أن يبدو على وجهه أي شيء: "ولقد أرسل جنودًا إلى حكام الممالك الأدنى مع وعود بقدوم عهد جديد. وحثهم على عدم التردد، بل المجيء إلى إلفهايم وحضور تحديه للملك بشأن التاج. ينتظر مجلس المستشارين لسماع كل ما تعرفينه عن السيف الذي صنعه جريمسين والخرائط، فقد وجدوا أن وصفي لمعسكر مادوك لم يكن كافيًا للأسف".

قلت وأنا أجبر نفسي على نطق الكلمات: "يمكنهم الانتظار لفترة أطول، فأنا أحتاج إلى التحدث معك".

بدا مندهشًا، وبدرجة ما غير متيقن مما يجب عليه عمله.

فاستدركت: "لن أستغرق وقتًا طويلًا". إن آخر شيء أريده هو إجراء هذه المحادثة، لكن كلما طال تأجيلي لها، تزايد انشغالي بها، لقد أبطل كاردان الحكم بنفسي - في حين أنني حصلت منه على وعد بذلك، فإنه لم يكن لديه سبب يدفعه للإفصاح بأنني ملكة، وقلت له: "أيًا ما كان مخططك، وأيًا ما كنت تخطط لكي تدينني به، يمكنك أن تخبرني الآن وقبل أن نقف أمام المجلس بأكمله، هيا ألقِ تهديداتك، وافعل أسوأ ما لديك".

قال وهو يستدير للسير في رواق من أروقة القصر يفضي إلى خارجه: "إننا بالفعل نحتاج إلى أن نتحدث".

ولم يمر وقت طويل حتى انتهينا إلى حديقة الزهور الملكية، توقف الحرس عند البوابة لكي نواصل السير بمفردنا. كنا نشق طريقنا وصولاً إلى ممر من درج الكوارتز اللامع، وكان كل شيء ساكناً تماماً. وكانت الريح تحمل لنا عطر الورد الفواح بروعة لا توجد إلا في أرض الجان، ما ذكّرني فجأة بالمنزل، وفي ذات الوقت بالشعور بالخطر.

قال كاردان: "أظن أنك لم تكوني تحاولين قتلي، نظراً لأن الرسالة كانت بخط يدك".

قلت: "مادوك أرسل الشبح"، ثم توقفتُ، واستدركت أقول: "لقد اعتقدتُ أنه سيجري محاولة لاغتيالك".

حدق كاردان إلى أحد أغصان الورد الممتلئة ببتلات لامعة وحالكة السواد حتى بدت كجلد لَمَاع: "لقد شعرت بالرعب. إن رؤيتك وأنت تسقطين... أقصد أن أفعالك بوجه عام مروعة، لكنني لم أكن معتاداً الشعور بالخوف عليك. ثم استشطتُ غضباً، ولا أظن أنني شعرت بكل هذا الغضب من قبل".

قلت له: "إن الفانين ضعفاء".

قال بطريقة بدت أشبه بالأسف على شيء معين: "ليس أنتِ، إنكِ لا تنكسرين أبداً".

كان هذا يدعو للسخرية نظراً لكل ما بي من جروح، بل إنني كنت أشعر كما لو أن جسدي لم يعد به جزء سليم، وأصبح ما يدعم بقاءه فقط هو الغرز والعناد فقط. ومع ذلك فقد أحببت ما أسمع، وأحببت كل أمر طيب يقوله.

إن هذا الفتى هو نقطة ضعفك.

قلت له: "عندما أتيتُ إلى هنا وأنا أتظاهر بأنني تارين قلت إنك أرسلت لي رسائل، وبدوت متفاجئاً من عدم تلقيها، ماذا كان مكتوباً فيها؟".

استدار كاردان تجاهي ويدها متشابكتان خلف ظهره، ثم قال وهو يبتسم الابتسامة الهازئة التي قال إنه يبتسمها عند شعوره بالتوتر: "أغلبها مناشدات وتوسلات لكي تعودني، والكثير من الوعود الهوجاء".

أغمضت عيني من جراء ما شعرت به من إحباط حتى كدت أصرخ وأنا أقول: "توقف عن ممارسة تلك الألعاب معي، لقد حكمت علي بالنفي".

قال: "آه.. نعم، إنني لم أستطع التوقف عن التفكير فيما قلته لي قبل أن يأخذك مادوك، عن أن كل هذا الأمر كان حيلة. هل قصدت بالحيلة زواجي منك وتنصيبك ملكة وإرسالك إلى العالم الفاني، كل هذه الأمور، أليس كذلك؟".

عقدت ذراعي أمامي وقلت: "بالطبع كانت حيلة، ألم يكن هذا ما كررته على مسامعي كرد علي؟".

أجاب كاردان: "لكن هذا ما تفعلي به بالفعل، إنك تحتالين على الأشخاص: نيكاسيا ومادوك وبالكين وأورلاج وأنا. ظننت أن إعجابك بي سيزداد بسبب أنني أستطعت الاحتيال عليك أنت. بالطبع اعتقدت أنك ستغضبين، لكن ليس إلى هذه الدرجة".

حدقت إليه بذهول وفمي مفتوح، وقلت: "ماذا؟".

قال: "دعيني أذكرك بأنني لم أكن أعلم أنك قتلت أخي، سفير مملكة البحار، حتى صباح ذلك اليوم. لقد وضعتُ خططي بشكل متعجل، وربما كنت منزعجًا بعض الشيء، واعتقدت أن هذا من شأنه أن يهدئ الملكة أورلاج، على الأقل حتى يتم إنهاء كل بنود المعاهدة. وبحلول الوقت الذي تمكنت فيه من استنباط الجواب، كانت المفاوضات قد انتهت. فكّرت في الأمر: أحكم على جود دوارتي بالنفي إلى العالم الفاني، إلى أن يعفو التاج عنها". ثم توقف قليلاً وقال: "يعفو التاج عنها. بمعنى يعفو عنها ملك الجان أو ملكته، كان بإمكانك أن تعودني في أي وقت تشائين".

أوه!

أوه!

لم يكن اختياره للكلمات محض مصادفة أو اختيارًا غير موفق، بل كان اختيارًا متعمدًا لأحجية صنعها لي بشكل خاص.

ربما كان يجب عليّ لحظتها أن أشعر بمدى حماقتي، لكنني بدلًا من ذلك شعرت بغضب شديد، فاستدرت وسرت بخطى سريعة بعيدًا عنه عبر الحديقة وبلا أي اتجاه محدد. فركض كاردان ورائي وأمسك بذراعي.

استدرت وشفعتة، صفة قوية لطخت على أثرها المسحوق الذهبي على عظمتي وجنته، واحمرّ على أثرها وجهه. حدقنا إلى أحدهما الآخر لوهلة ونحن نلهث. ثم لمعت عيناه بتعبير مغاير تمامًا للغضب.

وأحسست بأني في موقف عسير.

أمسك كاردان بيدي، ربما لكي يمنعني من صفعه ثانية، فقيّد أصابعي بإحكام في قبضته، وقال: "أنا لم أقصد أن أؤذيك، لا.. لم يكن هذا قصدي، ليس بالضبط. لم أفكر أن باستطاعتي إيذاءك، ولم أفكر قط في أنك قد تشعرين بالخوف مني".

سألته: "وهل أعجبك الأمر؟".

أشاح بوجهه بعيدًا، وعندها عرفت الجواب. ربما لا يريد الاعتراف بهذا، لكنه فعل.

قلت: "حسنًا، لقد تأذيتُ، ونعم، إنك أخفتني". حتى وقت نطقي بهذه الكلمات كنت أود لو كان بإمكانني إرجاعها ثانية، ربما كان سبب نطقي لها هو شعوري بالإجهاد أو اقترابي أكثر من مرة من حافة الموت، لكنني كنت أقول الحقيقة على الرغم من صعوبتها، وواصلتُ: "إنك دائمًا ما تخيفني، وتجعلني بشتى الطرق أخشى تقلبك وقسوتك، لقد كنت أخاف منك

حتى عندما كنت مقيدًا في الكرسي في مقر مجلس الظلال، وكنت أخاف منك حتى عندما كانت سكينتي موضوعة على رقبتك، وأنا الآن خائفة منك".

بدأت الدهشة على وجه كاردان أكبر مما كانت عندما صفعته.

لقد كان دائمًا رمزًا لكل ما لم أستطع الحصول عليه في إلفهايم، لكل شخص وشيء لم يردني مطلقًا. وإن إخباره بهذه المشاعر يشبه قليلاً إلقائي بحمل ثقيل عن كاهلي، باستثناء أن هذا الثقل من المفترض أن يكون درعًا لحمايتي، ومن دونه أخشى أن أغدو بلا حماية. لكنني تابعتُ الكلام على أية حال، كأني لا أملك السيطرة على لساني، فقلت: "لقد احتقرتني. وعندما قلت إنك تريدني، شعرتُ كأن العالم قد انقلب رأسًا على عقب".

بدأ مندهشًا، فحدقت إليه بدوري، وواصلت كلامي بنبرة مستنكرة: "لكن نفيك لي، كان منطقيًا على الرغم من كل شيء! كانت تلك لعبة من ألعابك، وكرهت نفسي لعدم معرفتي بما سيحدث مسبقًا، وكرهت نفسي لعدم معرفتي ما ستفعله بي لاحقًا".

أغمض كاردان عينيه، وعندما فتحهما ترك يدي، واستدار حتى لا أرى وجهه، وقال: "يمكنني فهم لماذا اعتقدتِ وفعلتِ ما فعلته، أظن أنني شخص لا يسهل الوثوق به، وربما يجب على الآخرين عدم الوثوق بي، لكن دعيني أقل لك التالي: أنا أثق بك".

وأخذ نفسًا عميقًا ثم واصل: "لعلك تذكرين أنني لم أرد أن أصبح الملك السامي، وإنك لم تستشيريني قبل وضع هذا التاج فوق رأسي، ولعلك تذكرين أيضًا أن بالكين لم يردني أن أحتفظ باللقب الملكي، وأن مجلس المستشارين لم يكن سعيدًا بي".

فعمقت: "أظن ذلك"، لم يبدُ أي من هذا الكلام مستغربًا؛ فقد أراد بالكين التاج لنفسه، وأراد مجلس المستشارين من كاردان مجرد الحضور إلى الاجتماعات، التي نادرًا ما كان يحضرها.

أكمل كاردان يقول: "كانت هناك نبوءة قديمة تخصني منذ ولادتي. وعلى الرغم من غموض بافين المعتاد، لكن في حالتي أنا قال بوضوح إنه في حال تولي شؤون الحكم، سأكون حاكمًا سيئًا جدًّا"، توقف قليلاً ثم واصل يقول: "وسيحدث دمار للتاج، وخراب للعرش - والكثير من الكلمات المروعة".

أذكر أن أوريانا قالت شيئًا فيما سبق عن قدر كاردان المشئوم وكذلك فعل مادوك، لكن هذا أكبر من مجرد كلام عن الحظ العاثر. بل جعلني هذا أفكر في المعركة المقبلة، ودفعني إلى التفكير في حلمي بخارطة النجوم والمحبرة الممتلئة بالدماء.

استدار كاردان نحوي، وحدثني إليّ كما كان يفعل في أحلامي، وقال: "عندما دفعيني لكي أعمل لصالح مجلس الظلال، لم أفكر قط في ما يمكنني فعله - ترهيب الأشخاص، واستمالتهم - باعتبارها مواهب أمتلكها، ولها أهميتها. لكنك أنتِ فكرتِ في هذا، وأوضحتِ لي كيفية استغلالها بما يفيدني. لم أمانع قط في لعب دور الشخصية الفاسدة في صغري، لكن لعلي كبرت لأصبح شخصية أخرى، كملك سامٍ وحشي مثل داين. وإذا حدث هذا - إذا حققت تلك النبوءة - يجب إيقافني، وأعتقد أن بإمكانك إيقافني".

قلت مرددة كلمته: "إيقافك؟ بالطبع، إذا تحوّلت إلى وغد كبير، وأصبحت تشكّل تهديدًا على إلفهايم، فسوف أقتلع رأسك".

قال بلهجة لا تخلو من الأسى: "جيد. هذا أحد أسباب رفضي تصديق أنك تحالفت مع مادوك، والسبب الآخر أنني أردتُك أن تبقي هنا إلى جوارى باعتبارك ملكتي".

كان أسلوبه في الحديث غريبًا، ولم يخلُ من قدر من المحبة، لكنه لم يبدُ كخدعة. وإن كان مؤلمًا بعض الشيء أنه معجب بي بالأساس بسبب قسوتي، لكنني أظن أن إعجابه بي يحمل لي بعض العزاء. إنه يريدني معه، وربما يريدني بصور أخرى أيضًا. وإن رغبتني في الحصول منه على ما هو أكثر من هذا لن تعد إلا مجرد طمع.

ابتسم لي ابتسامة واهنة وقال: "لكن الآن وبعد عودتكِ كملكة سامية ومسيطرة على زمام الأمور، لن أفعل شيئًا تنتج عنه آثار كارثية. وإذا تسببتُ في دمار التاج وخراب المملكة، فسيكون ذلك نتيجة إهمالكِ".

ضحكت في اندهاش، وقلت: "إذن، هل هذا هو عذرك كي لا تقم بأي من أعمالك؟ يجب أن تبقى في حالة من العريضة طوال الوقت لأنك إذا لم تظل مشغولاً، فقد تتحقق نبوءتك التي لم تكتمل بعد؟".

لمس ذراعي وتلاشت ابتسامته وقال بحسم: "بالضبط، هل تريدين أن أخبر المجلس بحضورك أمامهم في وقت آخر؟ سيكون أمراً جديداً أن أقدم الأعذار بالنيابة عنك".

أجبتة: "لا، أنا جاهزة". سرح ذهني في كل ما تحدثنا بشأنه، كانت يداي ملطختين بالمسحوق الذهبي، وعندما نظرت إليه رأيت بقايا المسحوق تلتخ وجنته من أثر لطمة يدي. لا يسعني التوقف عن التحديق إلى وجنته، ولا يسعني التوقف عن التفكير في الطريقة التي نظر بها إليّ عندما أمسك بأصابعي، هذا هو عذري الوحيد لعدم ملاحظة أنه قد قادني عائداً إلى جناحه، الذي أعتقد أنه من المفترض أن يكون جناحي أنا أيضاً، نظراً لأننا متزوجان.

قلت: "إنهم هنا؟".

قال يبنئي وهو يلوي فمه: "أعتقد أن هذا كان من المفترض أن يكون فخاً، فكما تعلمين إنهم شديدي الفضول ويكرهون فكرة إقصائهم عن أي أمر مهم بما في ذلك متابعة مراحل نقاهة الملكة".

إن ما أتخيله الآن هو مدى ما قد ينتابني من فزع إذا استيقظت لأجد أمامي مجلس المستشارين بأكمله بينما ما زلت أبدو مشعثة وغير نظيفة وعارية. واستمدت من هذا الغضب مظهري المتفطرس على أمل أن يجدي نفعاً أمامهم.

وفي الداخل كان فالاً، الذي يشغل منصب كبير المهرجين غافياً على الأرض إلى جوار النار، بينما يجلس باقي أفراد المجلس - راندالين بقرنيه الشبيهين بقرني الكبش، وبافين الذي كان يداعب لحيته الزرقاء، وميكيل الخبيث من بلاط جان الإنسيلي، وأخيراً نيهوار التي هي - بعكس ميكيل - من بلاط جان السيلي وتشبه هيئتها هيئة الحشرات. كانوا جميعاً في القاعة، ولا شك أنهم كانوا منزعجين بسبب طول الانتظار.

نهض فالاً سريعاً ليقف على قدميه، وانحنى انحناءً كبيرة، وقال على نحو هزلي: "تحياتي للملكة ووكيلة الملك".

بينما نظر راندالين بوجه مقطب الجبين، وبدأ الآخرون في النهوض، لكنني شعرت بإحراج هائل.

فقلت لهم: "لا، أرجوكم، ابقوا كما كنتم".

إن علاقتي مع أعضاء المجلس كانت على الدوام محوراً للصراع؛ فباعتراري وكيلة الملك كاردان سابقاً، كثيراً ما كنت أنكر وجود الملك السامي، وأعتقد أنهم كانوا يظنون أن مؤهلاتي الأساسية لشغل مثل هذا المنصب هي قدرتي على الكذب من أجله.

ولا أظن أنهم كانوا يعتقدون أن لديّ أية مؤهلات تتناسب مع منصبتي الجديد.

لكن قبل أن يتمكنوا من قول أي شيء، شرعت في وصف معسكر مادوك، ولم يمض وقت طويل حتى أعدت رسم الخرائط البحرية التي رأيتها، وأعدت القوائم عن كل فصيل يحارب إلى جانبه، وشرحت ما رأيت في ورشة جريمسين للحدادة، وأضاف كاردان بعض ما تذكره من أمور.

كانت أعداد القوات في صالح إلفهايم، وسواء أكننا نستطيع الاعتماد على قوة الأرض أم لا، كنت أعلم أن كاردان يستطيع ذلك. لكن بالطبع لم تزل هناك مشكلة السيف الذي صنعه جريمسين لمادوك.

قال ميكيل: "مبارزة؟ لعله أخطأ فاختلط عليه الأمر بين الملك السامي وشخص آخر متعطش للدماء، لعل هذا الشخص هو أنتِ؟".

كان صدور هذا الكلام من شخص مثله، لا يعني إهانة على وجه التحديد.

كما أن راندالين لم يكن يحبني على الإطلاق، ولا أظن أن الأحداث الأخيرة أدت إلى تحسين مشاعره نحوي، قال راندالين: "حسنًا، لقد أقدمت جود في وقت سابق على نزال جريماً موج؛ لذا يمكننا ترك المبارزة لك لكي تكرري ما فعلته في منفاك".

سألتنني نيهوار، وكان واضحاً أنها لم تعد قادرة على كبح فضولها أكثر من ذلك: "إنن، هل قتلت بالكين حقاً؟".

أجبتها: "نعم، بعد أن سمَّ الملك السامي".

رددت باندهاش، وهي تنظر إلى كاردان: "سممه؟".

هز كتفيه وهو يسترخي على أحد الكراسي، بينما بدا عليه الملل الشديد وهو يقول: "لا يمكنك أن تتوقعي أن أقول كل دقائق الأمور".

ابتلع راندالين الطعم، وبدا الانزعاج الشديد عليه، وقال: "يا جلالة الملك، لقد دفعتنا إلى اعتقاد أن الحكم بنفيها كان له ما يبرره. أما فيما يتعلق بالزواج، فإذا كنت قد أردت الزواج، كان ينبغي أن تستشيرنا...".

ثم تولى بافين النقاش ليقول: "ربما كان يمكن لأحدكما على الأقل أن يخبرنا...".

أظن أن هذا ما كانوا يريدون حقاً مناقشته؛ مناقشة ما إذا كان هناك أي سبيل لإيقاف ما قد حدث بالفعل، وإبطال وصولي إلى منصب الملكة السامية.

رفع كاردان يده وقال: "لا، لا، هذا يكفي. إن شرح وتبرير مثل هذه الأمور مضجر جدًا، إنني أعلن انتهاء هذا الاجتماع"، وأشار بأصابعه نحو الباب، وقال: "هيا اتركونا، لقد أنهكتهموني".

لم يزل أمامي وقت طويل قبل أن أعتاد هذه الدرجة من العجرفة الوقحة لدى كاردان.

لكنها أجدت نفعًا. فقد غمغم أعضاء المجلس في تدمر، لكنهم نهضوا وخرجوا. وبعث فالو المهرج لي بقبلة في الهواء أثناء مغادرته.

وبقينا بمفردنا للحظات قليلة.

ثم علا طرق حاد على الباب السري لغرفة الملك السامي. وقبل أن يتمكن أي منا من النهوض، كانت القنبلة قد اندفعت عبره، وخطت إلى داخل الغرفة بخطوات واسعة، هي تحمل صينية موضوعة عليها حاجيات الشاي. كان شعرها الأبيض مرفوعًا لأعلى في شكل كعكة، ولو أنها كانت متعبة أو حزينة، فلم يكن ليبدو على وجهها شيء.

ثم غمزت بعينها، وقالت بمرح وهي تضع الصينية على الطاولة مع قرقرة الأواني وصحون الفناجين وغيرها من الأشياء: "تحيا جلالة الملكة جود، لا داعي للشكر".

ابتسمت لها وقلت: "من الجيد أنك رامية سيئة".

أمسكت عبوة من الأعشاب، وقالت: "هذه لكي تزيل الحمى من دمائك، وتساعد المريضة على سرعة الشفاء، لكنها للأسف لن تزيل حدة لسانك الطويل"، ثم أخرجت بعض الضمادات من معطفها، واستدارت إلى كاردان، وقالت له: "عليك أن تنصرف الآن".

فقال وقد شعر بإهانة: "هذا جناحي، وإنها زوجتي".

قالت القنبلة: "هذا ما تستمر في إخبار الجميع به طوال الوقت. حسنًا، لكنني سأنزع الغرز، ولا أعتقد أنك تريد أن ترى هذا".

قلت: "لا أعرف، ربما يود أن يسمع صراخي!".

قال كاردان وهو يقف: "أود هذا بالفعل، وربما سأفعل ذلك لكن في يوم آخر"، وفي طريقه نحو الخارج لمس بيده شعري بلمسة خفيفة، ومضى سريعاً إلى الخارج.

الفصل 19

إن إزالة الغرز عملية بطيئة ومؤلمة. لقد قامت أختي تارين بحياكة رائعة، لكن يبدو أنها خاطت بطني وجانبي بدقة أكثر مما ينبغي، فتركث للقنبلة عملاً لا نهاية له كي تفك تلك الغرز الضئيلة التي يجب قص كل واحدة منها على حدة. كانت الخيوط تخرج بصعوبة من جلدي، لتضع "القنبلة" بعدها المرهم.

قلت لما يبدو إنها المرة المليون: "آه! هل يجب حقاً نزع هذه الخيوط؟".

أطلقت "القنبلة" تنهيدة معاناة طويلة، وقالت: "بل كان يجب نزعها منذ أيام".

عضضت على لساني لكي أكنم صراخي، وعندما تمكنت ثانية من التحدث حاولت إلهاء نفسي عبر سؤال القنبلة: "قال كاردان إنك متفائلة بخصوص حالة الصرصور".

انحنت فوقي، وكانت تنبعث منها رائحة مادة متفجرة، وكذلك رائحة أعشاب مرة، ثم قالت وقد علا وجهها تعبير ساخر: "أنا دائماً متفائلة فيما يتعلق به".

صدر صوت طرق خفيف على الباب، فنظرت القنبلة إليّ بترقب.

خفضت ردائي لكي يغطي المنظر المربع لبطني وأجبت: "تفضل؟".

جاءت إحدى المبعوثات، وكان جناحها صغيرين كجناحي الفراشة، وبدا الاضطراب على وجهها وهي تدلف إلى داخل الغرفة. لقد منحني وجودها راحة مؤقتة من الوخز، ثم انحنت وبدا كما لو كانت سيغمى عليها، ربما بسبب الكومة الصغيرة من الخيوط الدامية التي لمحتها.

فكرت في أن أوضح لها، لكن من المفترض أن هذا لا يليق بملكة، كما أنه لن يؤدي إلا إلى إخراجنا معًا. وبدلاً من ذلك رسمت على وجهي ابتسامة مشجعة، وقلت لها: "نعم؟".

قالت: "يا سمو الملكة، تريد السيدة آشا رؤيتك. لقد أرسلتني لكي أحضرك مباشرة إلى جناحها حيث تسترخي".

علقت القبلة بنبرة مستنكرة: "تسترخي!".

قلت بصوت يحمل أقصى فخامة ممكنة: "يمكنك أن تخبريها بأنني سأراها بمجرد أن أتمكن من فعل ذلك".

بالطبع لم يكن ذلك الجواب الذي أرادت سيدتها أن تتلقاه، ولم يكن بوسع هذه المبعوثة فعل أي شيء حياله، فترددت لوهلة، وبعدها بدا أنها أدركت الأمر من تلقاء نفسها، ثم انحنت في حرج وانصرفت.

قالت القبلة وقد علا وجهها تعبير جاد: "إنك الملكة السامية لإلفهايم، تصرفي وفقاً لمكانتك. لا تسمح لي لأي شخص بأمرك، ولا أنا أيضاً".

قلت لها في احتجاج: "لقد قلت لها لا!".

وبدأت القبلة في انتزاع غرزة أخرى بطريقة مؤلمة، وقالت: "ينبغي ألا يُسمح للسيدة آشا بأن تضع نفسها كأولوية على جدول أعمالك بمجرد طلبها، ولا أن تطلب مجيء الملكة إليها، خاصة وأنت مصابة. إنها راقدة في فراشها تتعافى من صدمة رؤيتك أثناء سقوطك من على السقف".

قلت: "آآه"، ولم أكن متأكدة مما إذا كان تأوهي هذا رد فعل لشدها جلدي أم لتقريعها المبرر تمامًا لي؛ أم لتقييمها اللانع للسيدة آشا.



بمجرد انتهاء القنبلة من عملها، تجاهلت استشارتها المنطقية، وتوجهت من فوري إلى جناح السيدة آشا. ولم يكن هذا بسبب اختلافي مع أي مما نصحتني به، لكنني أردت أن أقول شيئًا لوالدة كاردان، وكان هذا هو الوقت الأمثل لفعل ذلك.

بينما كنت متوجهة عبر القاعة، استوقفني فال مورين، الذي وضع عكاز سيره في طريقي، وكانت عينا وكيل الملك السابق تفيض حقدًا.

سألني: "ما شعورك لارتقائك إلى هذه المكانة المذهلة؟ هل تخشين من السقوط مرة أخرى؟".

عبست في وجهه، وقلت: "بالتأكيد تود أن تجرب هذا الشعور".

قال بصوت خفيض: "هذا رد غير ودود أيتها الملكة، ألا يجب أن تتلطفي مع أقل رعاياك شأنًا؟".

لقد اعتدت الشعور بالخوف منه، ومن تحذيراته المفزعة، ومن عينيه الوحشيتين، لكنني لم أعد أخافه: "هل تريد لطفًا ورفقًا؟ طوال تلك السنين كان بإمكانك أن تساعدني أنا وأختي، كان بإمكانك أن تعلمنا كيف نعيش هنا كمخلوقات فانية، لكنك تركتنا لكي نفهم ذلك بمفردنا على الرغم من أنك بشري مثلنا".

ضيَّقَ عينيه، وحدَّقَ إلى وجهي يستفهم: "مثلكما؟ هل تعتقدين أن البذرة المزروعة في تربة الجان تنمو لتصير النبات نفسه كما لو كانت تنمو في العالم الفاني؟ كلا أيتها البذرة الصغيرة، أنا لا أعلم ماذا تكونين، لكننا غير متماثلين، لقد أتيت إلى هنا وأنا ناضج تمامًا".

قال هذا وسار بعيدًا وتركني متجهمًا.

وجدتُ السيدة آشا في فراشها ذي العمدان الأربعة المزدانة بالستائر، ورأسها كان مسترخياً على الوسادات، ولا يبدو أن قرنيها كانا يسهلان عليها النوم في وضعية مريحة، لكنني أعتقد أن المرء قد يعتاد هذا.

كان هناك اثنان من أفراد الحاشية، يرتدي أحدهما رداءً طويلاً والآخر سروالاً ومعطفاً به فتحتان لإخراج جناحيه من الخلف. كانا جالسين على كرسيين إلى جوارها، بينما يقرأ أحدهما من مجموعة سونتيات، وكانت الخادمة التي أوصلت لي رسالة السيدة آشا تضيء الشموع، وتنبعث في المكان روائح المرمرية والقرنفل والخزامى.

عندما دخلت ظل عضوا الحاشية جالسين في مكانيهما لفترة أطول مما يجب، وعندما نهضاً لكي ينحنيا أمامي انحنيا بفتور، بينما ظلت السيدة آشا في الفراش تحمق إلى وجهي بابتسامة خفيفة، كما لو كانت كل منا تعرف سراً مقيتاً مشتركاً.

فكرت في أمي، ولم أكن قد فكرت بها منذ فترة طويلة؛ حيث تذكرت طريقة إرجاعها لرأسها عندما تضحك، وكيف كانت تسمح لنا بالسهر في شهور الصيف، ومطاردة بعضنا بعضاً عبر الفناء الخلفي في ضوء القمر، واتساخ يديّ من أثر زوبان الحلوى المثلجة، والرائحة الكريهة التي كانت تملأ المكان نتيجة عمل والدي في ورشة الحدادة. كما تذكرت استيقاظي في فترة ما بعد الظهر، ومشاهدة أفلام الرسوم المتحركة في غرفة المعيشة، وتورم بشرتي إثر لدغات البعوض. واستحضرت كذلك الطريقة التي كانت تحملني بها إلى خارج السيارة عندما أغفو بعد تجولنا بالسيارة لمسافة طويلة، وتذكرت مدى شعوري بالنعاس حينها وارتياحي لحملها لي.

من كنتُ لأصبح دون أي من ذلك؟

أخبرت السيدة آشا: "لا تشغلي بالك بالنهوض"، بدا عليها الاندهاش ثم الاستياء لتلميحي بأنها مدينة لي بإظهار الاحترام إزاء مكاني الجديدة. وظهرت لمعة في عيني عضو

الحاشية المرتدي للعباءة جعلتني أعتقد أنه سيذهب ويخبر الكل بلا استثناء بما قد شهده من فوري، وأشك كثيرًا أن روايته لما حدث ستكون في صالحه.

قالت السيدة آشا لمرافقيها بنبرة باردة: "سنتحدث لاحقًا"، وبانحناءة أخرى - أدياها بعناية لي وللسيدة آشا معًا - بادرا بإسراع الخطى إلى خارج الغرفة، وأظن أنهما كانا لا يطيقان صبرًا على انغلاق الباب خلفهما كي يتهامسا أحدهما مع الآخر بشأن ما حدث.

قالت والدة كاردان: "إن زيارتك لي نابعة من لطفك، في ظل عودتك إلينا واعتلائك العرش مؤخرًا".

أجبرت نفسي على عدم الابتسام، إن عدم قدرتها على الكذب تجعل عباراتها مثيرة للاهتمام.

قالت: "تعال، اجلسي معي قليلًا".

أعلم أن القنبلة كانت لتقول إن هذا مثالًا لسماحي لها بإملاء أوامرها عليّ، لكن قد يبدو من قبيل التكلف الاعتراض على مثل هذا الأمر البسيط.

قلت لها - في حالة كانت تحتاج إلى تذكير بلماذا يتعين عليها القلق بشأن إغضابي: "عندما أحضرتك من برج النسيان، ووضعتك بين زمرة جواسيسي، قلت لي إنك تريد الابتعاد عن ابنك، الملك السامي. لكن يبدو أنكما تصالحتما، ولا بد أنك سعيدة جدًا".

قالت في اشمزاز: "لم يكن كاردان طفلًا يسهل حبه، ولم يزدده التقدم في العمر سوى صعوبة أكبر في التعامل معه. كان يصرخ إذا أمسكته، وبمجرد حمله يبدأ العض والركل لكي يفلت من بين يديّ، كان يجد لعبة وينشغل جدًا بها حتى ينتهي منها، ثم يحرق كل أجزائها. وبمجرد انتهاء اهتمامه بك، سوف يكرهك".

حدقت إلى وجهها وسألتها هازئة: "وأنت تحذرينني من منطلق رقة قلبك؟".

ابتسمت وقالت: "أنا أحذرك لأن التحذير لن يشكل فارقًا. لقد قُضي الأمر يا ملكة إلهاهيم، أنتِ بالفعل تحبينه، وكنت تحبينه بالفعل عندما سألتني عنه بدلًا من أن تسأليني عن أمك، وستظلين تحبينه أيتها الفتاة الفانية حتى بعد وقت طويل من تبخر مشاعره تجاهك كندى الصباح".

لم يسعني حينها سوى التفكير في صمت كاردان عندما سألته عما إذا كان قد أحب خوفي منه، إن هناك جزءًا فيه يبتهج دائمًا بالقسوة، حتى إذا كان طبعه قد تغير، فقد يتغير ثانية على نحو غير متوقع.

أكره أن أكون حمقاء، وأكره فكرة سيطرة انفعالاتي عليّ وإضعافها لي. لكن خوفي من أن أكون حمقاء يجعلني حمقاء بالفعل. كان يتعين عليّ حل أحجية شخصية كاردان منذ وقت طويل، حتى لو لم أرها كأحجية، فقد كانت ثغرة كان يمكنني استغلالها. لكن شعوري بالخزي كان شديدًا لانخداعي بحيلته، فلم أبحث عن مخرج، وحتى بعدما اكتشفت المخرج لم أضع أية خطة لاستخدامه.

ربما لا تكون الرغبة في تلقي الحب هي أسوأ شيء، حتى إذا لم يجده المرء، وحتى إذا كان ذلك مؤلمًا. وربما لا تمثل بشريتي نقطة ضعف دائمًا.

ربما كان شعوري بالخزي هو المشكلة.

لكن ليس الأمر كما لو كانت مخاوفي هي السبب الوحيد لنفسي فترة طويلة جدًا، فسألتها: "هل لهذا السبب اعترضت سبيل الرسائل التي أرسلها لي؟ لكي تحميني؟ أم لأنك خشيتي ألا يمل مني؟ لأنني سأبقى أيتها السيدة موضع اهتمامه وتحديه دائمًا".

أعترف بأن تخميني بشأنها وبشأن الخطابات كان تخمينًا محضًا، لكن لا يملك الكثيرون الوسيلة والقدرة على إيقاف رسالة من الملك السامي. فلن يستطيع فعل ذلك سفير من

مملكة أجنبية، وربما لن يستطيع ذلك عضو من أعضاء المجلس الاستشاري، كما أنني لا أظن أن السيدة آشا تحبني.

نظرت إليّ برقة وقالت: "الكثير من الأشياء تضيع أو تُدمَّر".

ونظرًا لأنها لا تستطيع الكذب فقد كان هذا يمثل اعترافًا منها.

قلت وأنا أقف: "فهمت. في هذه الحالة، سأخذ نصيحتك بالروح نفسها التي قدمتها بها لي"، وعندما وصلتُ إلى باب الجناح نظرتُ إليها ثانية وقلْتُ ما ظننت أنها ستبغض سماعه: "وفي المرة المقبلة، أتوقع منك أن تمنحيني التحية اللائقة بي".

الفصل 20

كنت في منتصف طريقي عبر إحدى القاعات عندما اندفعت نحوى فارسة من الجنيات. كانت درعها مصقولة ولامعة بدرجة تعكس بشرتها الزرقاء التي بلون السماء، وقالت وهي تضع يدها على قلبها: "يا جلالة الملكة، تعالي بسرعة".

صحت بدهشة: "فاند؟"، عندما كنا نتلقى الدروس في حديقة القصر الملكي فيما مضى كنا نحلم معًا بالفروسية، ويبدو أن إحدانا قد حققت حلمها.

نظرت إليّ كما لو كانت مندهشة لتذكري إياها، على الرغم من أنه لم يمض وقت طويل للغاية على وجودنا معًا كزملاء دراسة، وأظن أنها تؤمن - هي الأخرى - بأنني قد ارتقيت لمكانة عالية أفقدتني ذاكرتي.

ثم صحت ندائي لها، وقلت: "سير فاند" فابتسمت فاند، وابتسمت بدوري لها، ومع أننا لم نكن صديقتين مقربتين، لكننا كنا نتعامل بود - وبالنسبة لي، كان هذا نادرًا في البلاط السامي، ثم سألتها: "لماذا يتعين عليّ الذهاب سريعًا؟".

ظهرت سمات الجدية ثانية على وجهها وهي تقول: "هناك وحدة عسكرية جاءت من مملكة البحار موجودة في قاعة العرش".

قلت: "آه"، ثم تركتها ترافقني عبر القاعات، بينما كان بعض الأفراد من الجان ينحنون لي أثناء مروري، فيما امتنع آخرون عن فعل ذلك، ولم أكن أدري كيف يجب عليّ أن أتصرف مع أي منهم فتجاهلتهم جميعًا.

قالت سير فاند وهي تسير خلفي وتُبقي على مسافة بيني وبينها: "يجب أن يكون معك حرس خاص بك".

أظن أن الجميع كانوا مغرمين بإخباري بكيفية التصرف كملكة، لكن على الأقل في هذه الحالة، بدا أن صمتي رد كافٍ دفعها إلى الصمت.

عندما وصلنا إلى القاعة وجدناها شبه خاوية. كان راندالين يعتصر يديه الذابلتين كما لو كان يدرس طبيعة جنود مملكة البحار - من جان السيلكي والأفراد شاحبي البشرة، ما جعلني أتذكر مظهر الأشخاص الغرقى. كانت نيكاسيا تقف أمامهم بدرعها المصنوعة من الحراشف اللامعة، وشعرها المزين بأسنان سمك القرش، وهي تمسك بيد كاردان بين يديها. كانت أطراف عينيها حمراء ومتورمة كما لو كانت تبكي، وكان رأسه الداكن مائلًا باتجاه رأسها، وتذكرت أنهما كانا متحابين ذات يوم.

ثم استدارت فجأة عندما رأته، وصاحت في غضب: "هذا من فعل أبيك!".

خطوت خطوة إلى الوراء في اندهاش، وقلت: "ماذا؟".

قال كاردان بهدوء مبالغ فيه قليلاً: "الملكة أورلاج، يبدو أنها أصيبت بشيء يشبه الرمح، وقد انغرس فيها، لكنه توقف قبل بلوغه القلب بقليل. وقد جرت محاولات لإخراجه لكنه يقاوم طرق استخراجة السحرية وغير السحرية، ويتحرك كما لو كان كائنًا حيًا، ربما يوجد حديد في تكوينه".

توقفت وفكرت في الشبح. لقد أرسله مادوك إلى هناك، إلى البحر. ليس من أجل قتل الملكة، ما قد يثير غضب معشر جان البحار، ويؤدي إلى اصطفاقهم إلى جانب كاردان، بل لكي يجرحها بصورة تجعل حياتها رهناً له. كيف يمكن لقومها حينئذ المخاطرة بمحاربة مادوك؟

اندفعت أقول: "أنا آسفة". إنه قول بشري تمامًا وبلا أية فائدة، لكنني تفوهت به على أية حال.

لوت نيكاسيا شفيتها ازدراءً وقالت: "يجب أن تكوني آسفة بالفعل"، وبعد وهلة، تركت يد كاردان، وقد بدا عليها الندم بوضوح. لقد كادت تتزوجه في السابق، ولا أظن أن مظهري الآسف قد جعلها تتخلى عن تلك الفكرة، ثم قالت: "يجب أن أذهب لكي أبقى إلى جوار أمي، إن بلاط مملكة البحار في حالة من الفوضى".

سبق أن احتجزتني نيكاسيا ووالدتها كسجينتين لديهما، وحبستاني في قفص، وحاولتا سلبني إرادتي. في بعض الأيام أحلم بأنني ما زلت هناك أطفو فوق المياه في العتمة والبرد.

قال كاردان يذكرها: "نحن حلفاؤك يا نيكاسيا، تذكري هذا إذا احتجتِ إلينا".

قالت: "على أقل تقدير، أنا أعتمد عليك للانتقام لأمي". وبعد أن نظرت باتجاهي نظرة عدائية أخرى استدارت، وغادرت القاعة، وتبعها جنود مملكة البحار.

لم أنزعج منها، لكنني صُدمت من نجاح مناورة مادوك - ومدى طموحه. إن التخطيط لوفاة أورلاج ليس أمرًا هيئًا، فهي واحدة من أصحاب القوى القديمة والراسخة في أرض الجان، وهي أكبر عمرًا من إلدريد، وجرحها بهذه الطريقة يبدو أكثر صعوبة من قتلها.

قال راندالين ببعض الأسف كما لو كان تشكيكه في قدرات نيكاسيا يتناسب مع المُنتظر منها: "الآن وبعد إضعاف أورلاج، أصبح من الممكن ظهور منافسين للسيطرة على عرشها، إن مملكة البحار عالم وحشي".

سألت: "هل أمسكوا بالقاتل؟".

عبس راندالين في وجهي، كما يفعل عادة عند طرحي أي سؤال لا يعرف إجابته، لكنه لا يريد الإقرار بذلك، أجاب: "لا أعتقد هذا، فلو كانوا أمسكوا به لأخبرونا".

ما يعني أن الشبح قد يأتي إلى هنا بعد كل هذا، وما يعني أيضًا أن حياة كاردان لم تنزل في خطر، كما أن حلفاءنا قد أصبحوا أقل كثيرًا مما سبق. تلك هي مشكلة القيام بدور الدفاع

وليس الهجوم - لا يسعك أبداً معرفة أين ستتوجه ضربة عدوك التالية، وبهذا تستهلك الكثير من الموارد في محاولة تغطية الاحتمالات.

قال راندالين وهو يوجّه نظرة جادة تجاه كاردان: "سيرغب قادة الجيش في تعديل خططهم، ربما يتعين عليك استدعاؤهم".

قال كاردان: "نعم، نعم، أظن أن علينا ذلك".

توجهنا إلى قاعة العمليات الإستراتيجية فرحبوا بنا بتقديم عشاء بارد من بيض البط وخبز الزبيب وشرائح رقيقة جداً من اللحم المشوي. وكانت السيدة العنكبوتية كبيرة الخدم في انتظارنا إلى جانب القادة، وسرعان ما تحوّل الحديث إلى نقاشات احتفالية دار نصفها حول الترحيب بقيادة الجيش والسيدات القادمات من ممالك البلاط الأدنى، والنصف الآخر دار حول التخطيط للحرب.

اتضح أن قائد الجيش الجديد هو غول يدعى يورن، وقد تم تعيينه أثناء نفيي. لا أعرف شيئاً ينتقص من قدره، لكن مظهر وسلوكه كانا عصبيين. لقد جاء ومعه ثلاثة قادة آخرين، وطرح الكثير من الأسئلة عن الخرائط والمواد التي عرفها مجلس المستشارين مني، وبدأ مبدئياً إعادة تصور إستراتيجيتنا القتالية البحرية.

حاولت مرة أخرى أن أخمن خطوة مادوك التالية، وشعرت بأنني مع معرفتي الكثير من أجزاء الأحجية، لكنني أخفق في رؤية كيفية سيرها. لكن ما أعلمه يقيناً، أنه يقطع علينا سبل الخروج، ويقلص من عوامل التغيير، ويحد من قدرتنا على مفاجأته بحيث تزداد احتمالية نجاح خطته.

لا يسعني إلا أن أرجو امتلاكنا القدرة على مفاجأته بدورنا.

قال يورن: "علينا فقط أن نهاجم سفنه لحظة ظهورها في الأفق، وألا نترك له فرصة للتفاوض. سيكون الوضع أصعب دون مساعدة أهل مملكة البحار، لكنه ليس مستحيلاً، فلم

نزل نمتلك القوة الأكبر".

بسبب عادات معشر الجان في الضيافة، إذا طلب مادوك التفاوض يمكن أن يتم الترحيب بقدم مجموعة صغيرة من معسكره إلى إلفهايم بهدف مناقشة بدائل الحرب. وما دام لا يرفع سلاحًا، يمكنه أن يأكل ويشرب ويتحدث معنا كما يشاء، وعندما يستعد للمغادرة ستبدأ المواجهة من حيث توقفت.

قال بافين: "قبل ذلك سوف يرسل رسالة باستخدام طائر؛ لكن سفنه ستكون متوارية في الضباب أو الظلال، ولا نعلم ما نوعية السحر المتاح له".

قلت: "إنه يريد إجراء مبارزة، وبمجرد أن يستل سيفه سينتهي حقه في التفاوض، ولن يسمح له بإدخال قوة كبيرة إلى اليابسة بهدف مناقشة الحل السلمي".

غير يورن الإستراتيجية ثانية فوق خريطة جميلة موضوعة فوق الطاولة لجزر إنسويل وإنسماير وإنسمور وإنسير، وقال: "سيكون من الأفضل لو أننا طوّقنا الجزر بالسفن. يمكننا منع جنود مادوك من الهبوط إلى اليابسة، وقتل أي طائر يأتي باتجاهنا. إن لدينا حلفاء من ممالك البلاط الأدنى سيزيدون من قواتنا".

سألت: "ماذا لو تلقى مادوك مساعدة من مملكة أعماق البحار؟"، فنظر الآخرون إليّ باندهاش.

قال راندالين: "لكن بيننا معاهدة، ويحتمل أنك لم تسمعي بهذا النبأ لأنك...".

قاطعته حتى لا يذكرني ثانية بمنفائي: "صحيح، بيننا الآن معاهدة. لكن أورلاج يمكنها أن تتنازل لنيكاسيا عن التاج، وإذا فعلت ذلك، فستكون الملكة نيكاسيا حرة في أن تعقد أي تحالف جديد مع مادوك. مثلما حدث ذات مرة عندما أجرى بلاط الأنياب تغييرًا في هوية من يجلس على العرش، فصاروا أحرارًا في التحرك ضد إلفهايم. وقد تتحالف نيكاسيا مع مادوك إذا كان سيشفى والدتها".

سأل يورن متجهماً: "هل تعتقدين أن هذا أمر محتمل؟".

بينما أشار الملك السامي في لا مبالة قائلاً: "إن جود تحب افتراض أسوأ الفروض من جانب أعدائها وحلفائها على السواء، والأمر الجيد أنها في بعض الأحيان تكون مخطئة فيما يتعلق بنا".

قلت بصوت خفيض: "يصعب عليّ أن أتذكر مناسبة كنت فيها مخطئة".

رفع كاردان أحد حاجبيه في استنكار.

دلفت فاند إلى القاعة في تلك اللحظة، وظهر باديًا عليها شعورها بعدم ملاءمة وجودها في هذا المكان، فقالت باضطراب وتلعثم: "بعد إذن سموك، لكنني أحمل - أحمل رسالة للملكة، من أختها".

شرع راندالين يقول: "كما ترين، إن الملكة...".

بينما سألتها وأنا أسير نحوها: "أية أخت؟".

أجابت وقد بدت أكثر هدوءًا الآن بعد توجيه حديثها لي فقط: "تارين"، ثم انخفض صوتها وهي تقول: "طلبت أن تقابلها في المقر القديم للملك السامي".

سألتها وقد تضاغت ضربات قلبي: "متى؟"، إن تارين شخص حريص يراعى أصول اللياقة، وليست مغرمة بالرسائل المشفرة، ولا باللقاء في أماكن مثيرة للريبة. إذا كانت تريدني أن أذهب إلى القصر الأجوف، فلا بد أن هناك مشكلة خطيرة.

قالت فاند: "بمجرد أن تستطيعي الخروج من الاجتماع".

قلت لها: "سأذهب الآن"، ثم وجهت حديثي للمستشارين وقادة الجيش والملك السامي، وقلت: "هناك مشكلة عائلية، اسمحوا لي بالانصراف".

نهض كاردان وقال: "سأصحبك"، فتحت فمي لكي أوضح له كل الأسباب التي تمنع مجيئه معي، لكن المشكلة أنني لم أستطع التفكير في سبب واحد فقط قد يوقفه، بينما كنت أرفع بصري نحوه وأرى عينيه السوداوين بطرفيهما الذهبيين وهو ينظر إليّ، ويفتح عينيه ويغمضهما في سخرية بريئة.

ثم قال وهو يتحرك سريعًا: "جيد، لقد قررنا".

بدا شيء من الارتياح على وجه يورن لرحيلنا، وبدا الانزعاج على وجه راندالين كما هو متوقع، فيما انشغل بافين بتناول بيض البط، وانخرط العديد من القادة في نقاش عميق عن عدد ممالك البلاط الأدنى التي يمكنها جلب سفنها، وأثر ذلك على خطط الحرب.

في القاعة الخارجية، وجدت نفسي مجبرة على السير الحثيث لكي ألحق بكاردان، وأنا أقول: "إنك حتى لا تعرف إلى أين سنذهب".

أرجع كاردان بعض خصل شعره الأسود بعيدًا عن وجهه، وسأل: "يا فاند، إلى أين سنذهب؟".

بدا البؤس على وجه الفارسة، لكنها أجابت: "إلى القصر الأجوف".

قال: "آه، إذن فوجودي له فائدة بالفعل، ستحتاجين إليّ لكي أقنع باب القصر لينفتح".

تعود ملكية القصر الأجوف إلى بالكين، أكبر إخوة كاردان، وهو الأعلى نفوذًا في دائرة السواديات - وهو فصيل في البلاط السامي يهتم بإقامة الولائم والنهم إلى الملذات والمبالغة في فعل كل شيء - وقد اشتهر بالإسراف في العربة. كان بالكين يخدع البشر الفانين لكي يخدموه، ويؤثر فيهم بالسحر بحيث يتذكرون فقط ما يريدونهم أن يتذكروه. كان شخصًا مريعًا، كان هذا قبل أن يقوم بانقلاب عسكري دموي على بقية أفراد عائلته لكي يستولي على العرش.

كما أنه الشخص الذي قام بتربية كاردان.

بينما كنت أفكر في كل هذا، أرسل كاردان فاند لإحضار العربة الملكية. أردت أن أحتج بالقول إن باستطاعتي امتطاء الخيل، لكنني لم أكن قد شفيت تمامًا لأزعم هذا. وبعد دقائق قليلة، جاءت عربة ملكية جميلة مجهزة بمقاعد مطرزة بأشكال من النباتات المعترشة والخنافس. جلس كاردان في مواجهتي، وهو يسند رأسه على إطار الشباك، بينما بدأت الخيول في الركض.

أثناء مغادرتنا القصر، أدركت أن الوقت أصبح متأخرًا أكثر مما كنت أظن، فقد أوشك الفجر على البزوغ في الأفق كأنه نذير تهديد لنا. لقد تسببت طول فترات نومي في تشوش إدراكي للوقت.

تساءلت عن رسالة تارين. ما عساه يكون السبب الذي دعاها لاستدعائي إلى قصر بالكين؟ هل يتعلق السبب بموت لوك؟

هل يمكن أن تكون هذه خيانة أخرى؟

أخيرًا، توقفت الخيول. نزلت من العربة في الوقت الذي قفز فيه أحد الحرس من الأمام لكي يمسك بيدي وينزلني، وقد بدا عليه الارتباك عندما وجدني أقف بالفعل بجانب الخيول. إنني لم أفكر في الانتظار ولم أعتد على التقاليد الخاصة بمنصبي الملكي، وأخشى ألا أعتادها.

خرج كاردان ولم يوجّه بصره إليّ أو إلى الحارس، بل إلى القصر الأجوف نفسه. وقد طوّح بذيله خلفه ما أظهر كل الانفعالات التي لم يكن وجهه يظهرها.

ظهر القصر مغطى بغطاء كثيف من نبات اللبلاب، وبه برج مائل، وتتدلى النباتات من الشرفات شاحبة ومتشعبة في كل مكان، كان هذا القصر في السابق هو بيته. وقد سبق لي

أن رأيت كاردان وهو يُضرب بالسوط على يد خادم وفقاً لأوامر بالكين. وأنا متأكدة أن أموراً أسوأ كثيراً قد وقعت هنا، مع أنه لم يتحدث عنها قط.

فركت إبهامي فوق طرف إصبعي المقطوع، الذي قضمه أحد حرس مادوك ذات يوم، وأدركت فجأة أنني إذا أخبرت كاردان بهذا الأمر فقد يتفهمه. بل ربما سيتفهمه أفضل من أي شخص آخر، سيتفهم المزيج الغريب الذي شعرت به من الخوف والخزي حينذاك - بل الآن أيضاً - عندما أفكر في ذلك الأمر. ففي كل خلافاتنا، كانت هناك لحظات كان أحدنا يفهم فيها الآخر على نحو رائع.

سألني: "لماذا نحن هنا؟".

أجبت: "هذا هو المكان الذي تريد تارين أن نلتقي فيه، لا أعتقد حتى أنها تعرف هذا المكان".

عقب كاردان بنبرة تأكيد: "إنها لا تعرفه".

لا يزال الباب الخشبي المصقول يعلوه وجه ضخم منذر بالشؤم، ولم يزل مزداناً على جانبيه بالمصاييح، لكن لم تعد الأطياف تهيم حوله في دوائر يائسة، بل انبعث بدلاً من هذا ضوء سحري رقيق.

قال الباب بمحبة وعيناه تنفتحان: "مَلِكِي العزيز".

ابتسم كاردان وقال بتوتر بسيط في صوته: "بابي العزيز"، قالها كأن كل شيء يبدو غريباً بخصوص عودته إلى هنا.

قال الباب: "أهلاً ومرحباً"، ثم انفتح على مصراعيه.

سأله كاردان وهو يشير إليّ: "هل يوجد بالداخل فتاة تشبه هذه؟".

أجاب الباب: "نعم، توجد فتاة تشبهها جدًا في الأسفل ومعها شخص آخر".

أثناء سيرنا تجاه قاعة الأصدقاء سألته: "في الأسفل؟".

قال كاردان: "نعم هناك زنانات، يعتقد معظم الجان أنها مجرد ديكور لكنها للأسف لم تكن كذلك".

سألته: "لماذا قد توجد تارين بالأسفل؟"، لكنه لم يكن يملك جوابًا، نزلنا والحرس الملكي يسبقنا. كانت رائحة القبو نفاذة، وكانت الغرفة التي دخلناها لا تحوي سوى عدد قليل من قطع الأثاث التي تبدو غير مناسبة للجلوس عليها وبعض السلاسل. كانت نيران المشاعل الكبيرة متقدة، حتى إنها جعلت وحتني تتوهجان.

كانت تارين تجلس إلى جانب إحدى الزنانات، لكنها كانت ترتدي ملابس بسيطة، وتضع عباءة فوق فستانها، وبدت أصغر عمرًا وهي لا ترتدي ملابسها الفخمة، أو تزين شعرها. وراعني التفكير في أن شكلي يبدو بهذا الصغر أيضًا.

عندما رأث كاردان دفعت نفسها للوقوف على قدميها، وتحركت إحدى يديها تجاه بطنها بحركة دفاعية غريزية، ثم انحنت في احترام.

ثم قال في ترقب: "تارين؟".

فوجهت حديثها إليّ: "لقد جاء لكي يبحث عنك، وعندما رأني في جناحك قال إنه يتعيّن عليّ تقييده لأن مادوك أمره بالمزيد من الأوامر. ثم أخبرني بأمر الزنانات، وأحضرتة إلى هنا. يبدو أنه مكان لن يبحث فيه أحد عنه".

سرت نحو الحفرة، ونظرت إليها، كان الشبح يجلس أسفلنا بمسافة تبلغ ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريبًا، وقد أسند ظهره إلى تقوس في الجدار. كان معصماه وكاحلاه مقيدين بالأغلال، بدا شاحبًا ومريضًا، وكان ينظر إلينا بعينيه المرهقتين.

أردت أن أسأله إذا كان بخير، لكن من الواضح أنه لم يكن كذلك.

نظر كاردان إلى أختي كما لو كان يحاول أن يفهم لغزًا، وسألها: "أنتِ تعرفينه، أليس كذلك؟".

أومأت برأسها بالإيجاب، وعقدت ذراعها أمام صدرها، وقالت: "كان يأتي لزيارة لوك في بعض الأحيان، لكن ليست له أية علاقة بموت لوك إذا كان هذا ما تفكر به".

قال كاردان: "لم أكن أفكر في ذلك، على الإطلاق".

لا، لم تكن له أية علاقة، فقد كان حبيسًا بالفعل في ذلك الوقت لدى مادوك، لكنني لم أحب الطريقة التي كانت تسير بها هذه المحادثة، ولست متأكدة بعد مما قد يفعله كاردان إذا علم الحقيقة بشأن مقتل لوك.

وفي محاولة مني لإعادة دفة الحديث إلى الأمر الأكثر أهمية، سألت الشبح: "هل يمكنك أن تحدثنا عن الملكة أورلاج؟ ماذا فعلت؟".

أجاب: "أعطاني مادوك سهمًا صغيرًا شعرت بثقله الشديد على يدي، وكان يتلوى كما لو كان كائنًا حيًا، ثم ألقى اللورد جارييل عليّ تعويذة تمكيني من التنفس تحت الماء، لكنها جعلت جلدي يحرقني رغم أنني كنت مغطى بالثلوج طوال الوقت. أمرني مادوك بإصابة أورلاج في أي مكان سوى قلبها أو رأسها، وأخبرني بأن السهم الصغير سيتولى بقية العمل".

سألته: "كيف هربت منهم".

أجابني: "قتلت سمكة قرش كانت تلاحقني، واختبأت داخل جثتها حتى زال الخطر، ثم سبحت إلى الشاطئ".

سأل كاردان وهو مقطب الجبين: "هل أمرك مادوك بأي شيء آخر؟".

علا وجه الشبح تعبير غريب ثم أجاب: "نعم"، وكان هذا التحذير الوحيد الذي وصلنا قبل أن يتسلق وصولاً إلى منتصف الحفرة، وأدركت أنه قد تخلص من أية سلاسل كانت تارين قد قيدته بها، ولعل هذا قد حدث قبل حضورنا بفترة طويلة. سرى الذعر في جسدي فشلاً حركتي مؤقتاً، وأعاقني عن التصدي له، لكنني أمسكت بغطاء ثقيل للفتحة، وبدأت أسحبه فوق الحفرة على أمل أن أحتجزه داخلها قبل أن يصل إلى الأعلى. نادى كاردان على الحرس، ثم سحب سكيناً ذات مظهر مخيف من سترته، ما فاجأني، لكنني أظن أن ذلك حتماً من تأثير الصرصور عليه.

ثم تنحنحت أختي.

وقالت: "يا لاركين جورم جاريت، انس كل الأوامر التي تلقيتها بخلاف أوامري".

شهقتُ في اندهاش، فأنا لم أر قط من قبل أحداً يُنادى باسمه الحقيقي، حيث تؤدي معرفة الاسم الحقيقي في أرض الجان إلى وضع صاحبه تحت رحمة من يناديه به بشكل مطلق. وقد سمعت عن بعض الجان ممن قطعوا آذانهم لكي يتجنبوا تلقي مثل هذه الأوامر - وعمن قطعوا أسننة غيرهم لكي يمنعوهم من ذكر أسمائهم الحقيقية.

وقد بدت تارين نفسها مصدومة قليلاً.

هبط الشبح ثانية إلى قاع الحفرة. لقد ارتخت عضلاته في ارتياح على الرغم من سيطرة تارين عليه، وأظن أن تلقيه أوامر أختي كان أهون عليه كثيراً من تلقيها من والدي.

سأل كاردان تارين وهو يطوي سكينه ويضعها داخل معطفه: "كيف وصلتِ لمثل هذه المعلومة المدهشة؟".

أخبرته تارين بنبذة مستخفة: "كان لوك مهملاً فيما يتعلق بالكثير من الأمور التي يقولها أمامي".

شعرت - على مضض - بالانبهار بما فعلته تارين.

وشعرت أيضًا بالراحة، فقد كان بإمكانها استخدام اسم الشبح الحقيقي لصالحها، وكان بإمكانها إخفاؤه. ربما لن نواصل أنا وهي الكذب على الأخرى بعد الآن.

ثم قلت للشبح: "تسلق بقية المسافة".

فتسلق بالفعل لكن بانتباه وببطء هذه المرة، وبعد دقائق قليلة وصل إلينا، ورفض الإمساك بيد كاردان التي مدها إليه ليساعده على النهوض، ونهض بنفسه، ولم يسعني سوى أن ألاحظ مدى ضعف حالته الجسدية.

ثم نظر إليّ كما لو كان يلاحظ الشيء نفسه عليّ.

سألته: "هل تحتاج إلى أن نأمرك بشيء آخر؟ أم يمكنك أن تعدي بأنا لن تهاجم أي شخص من الموجودين في هذه الغرفة؟".

جفل قليلاً لكنه قال: "أعدك". أنا واثقة بأنه ليس سعيدياً الآن لمعرفتي اسمه الحقيقي، فلو كنت مكانه ما أردت ذلك.

هذا ناهيك عن معرفة كاردان اسمه!

قال الملك السامي: "لماذا لا ننتقل إلى جزء آخر أكثر راحة في القصر الأجوف لكي نواصل النقاش بعد انتهاء هذه اللحظات العصبية".

ترنح الشبح في مشيته، فأسرع كاردان يمسك بذراعه ويسنده حتى أعلى الدرج. وفي قاعة الاستقبال، جلب أحد الحرس بعض البطاطين، وبدأت أنا في إشعال النار، فنظرت تارين إليّ كأنها تريد أن تخبرني بالتوقف عما أفعله، لكنها لم تجرؤ على إخباري بذلك.

كان كاردان يتحرك جيئةً وذهابًا عندما سأل: "إذن، أظن أنك قد تلقيت أمرًا لكي...؟ تقتلني إذا سنحت لك الفرصة؟".

أومأ الشبح برأسه بالإيجاب وهو يجذب البطاطين حوله أكثر، وكانت عيناه العسليتان خاويتين من أي تعبير، وشعره الأشقر الداكن مربوط في جدائل مشعثة، ثم قال: "كنت آمل ألا ألقاك مصادفة، وكنت مرتاعًا مما قد يحدث إن لقيتك".

قال كاردان: "حسنًا إذن، أفترض أن كلينا محظوظ لاستراق تارين السمع بينما كانت في منزل زوجها".

عقبت تارين: "ولن أعود إلى منزل زوجي الراحل حتى أتأكد من عدم تعرض جود لأي خطر".

قال كاردان باهتمام: "كان بيني وبين جود سوء تفاهم، لكننا لسنا أعداء. ولست عدوك أنت أيضًا يا تارين".

قالت: "إنك تعتقد أن كل شيء مجرد لعبة، وكثيرًا ما نظرت أنت ولوك إلى الأمور على هذا النحو".

فعلق قائلاً: "بخلاف لوك، أنا لم أعتقد قط أن الحب لعبة. يمكنك إتهامي بالعديد من الأمور، لكن هذا ليس من بينها".

قلت في نفاذ صبر لأنني لم أكن واثقة بأنني أريد سماع المزيد عن هذا الأمر: "جارية، هل هناك أي شيء يمكنك إخبارنا به؟ أيًا ما كان يخطط له مادوك، فنحن بحاجة إلى معرفته".

هز رأسه بالنفي، وقال: "إن آخر مرة رأيته فيها كان شديد الغضب منك ومن نفسه ومني. وبمجرد معرفته باكتشافك وجودي هناك في معسكره، أصدر إليّ مجموعة من الأوامر، وأخرجني من الكهف، ولم أكن أعتقد أنه كان ينوي أن يخرجني مبكرًا هكذا".

أومأت برأسي وقلت: "نعم، لقد تحتم عليه الإسراع بتنفيذ خطته"، عندما غادرت لم تكن عملية تصنيع سيفه الجديد قد شارفت بأية حال من الأحوال على الانتهاء، ولا بد أنه كان محببًا بسبب اضطراره إلى التعجيل بالتحرك قبل أن يصبح مستعدًا تمام الاستعداد.

لا أعتقد أن مادوك يعلم أنني الملكة، ولا أعتقد أنه يعلم أنني على قيد الحياة، ولا بد أن هذا أمر مفيد بشكل ما.

ثم قال كاردان بقرار مفاجئ: "إذا علم المجلس أن بحوزتنا الشخص الذي هاجم الملكة أورلاج، فلن تسير الأمور على ما يرام، وسوف يحثونني على تسليمه إلى مملكة أعماق البحار لتسدي صنيعة من أجل إلفهايم. وستصبح المسألة مجرد مسألة وقت قبل أن تعلم نيكاسيا أنك بين أيدينا؛ لذا دعنا نرجع بك إلى القصر ونضعك في عهدة القبلة، ويمكنها أن تقرر ماذا تفعل معك".

قال الشبح بمزيج جمع بين الاستسلام والراحة: "حسن جدًا".

استدعى كاردان عربته الملكية ثانية، وتشاءبت تارين وهي تصعد إلى داخلها، وجلست بجوار الشبح.

أسندت رأسي إلى النافذة، وأنا أستمع بنصف انتباه، وقد تمكن كاردان من إقناع أختي بأن تخبره قليلًا عن العالم الفاني، وبدا مبتهجًا من وصفها لماكينات العصير المثلج بألوانها الزاهية، وطعمه السكري الغريب. وكانت في منتصف توضيحها لماهية الحلوى الجيلاتينية التي على شكل الديدان عندما وصلنا إلى القصر، وبدأنا النزول من العربة.

قال لي كاردان: "سأرافق الشبح إلى المكان الذي سيقوم فيه، وعليك أن تستريح يا جود".

بدا مستحيلاً عليّ تصديق أنني استيقظت من تأثير المخدر، ثم قامت القبلة بفك الغرز، كل هذا في اليوم نفسه.

قالت تارين بنبرة متأمرة وهي تقودني في اتجاه الغرف الملكية: "سأصطحبك إلى جناحك".

سرت معها مرورًا بقاعة العرش، وقد تبعنا اثنان من الحرس على مسافة محددة.

ثم همست تسألني عندما لم يعد كاردان يستطيع سماعنا: "هل تثقين به؟".

أجبتها مقرة بهذا: "أحيانًا".

رمقتني بنظرة متعاطفة، وقالت: "كان لطيفًا في العربة، لم أكن أعلم أنه يعلم كيف يكون لطيفًا".

جعلني كلامها أضحك، وعند الباب المفضي إلى جناحي وضعت يدها على ذراعي، وقالت: "أتدريين أنه كان يحاول أن يترك أثرًا طيبًا لديك بحديثه معي".

قطبتُ جبيني، وقلت: "أظن أنه أراد فقط أن يسمع عن أنواع الحلوى الغريبة".

هزت رأسها بالنفي، وقالت: "لقد أراد استمالتك، لكن رغبته في ذلك فقط لا تعني أنه يتعين عليك أن تميلي إليه". ثم تركتني لكي تذهب بمفردها إلى داخل إحدى الغرف الملكية العديدة.

خلعت فستاني وعلقته على حاجز، واستعرت قميصًا آخر من قمصان كاردان المبهرجة وارتيته، ثم ذهبت إلى الفراش الكبير. وكان قلبي ينبض بشدة بين ضلوعي وأنا أسحب الغطاء المزخرف بأشكال الظباء.

يمثل زواجنا تحالفًا وصفقة، وكنت أقول لنفسي إنه يجب ألا يصبح أكثر من ذلك، وحاولت أن أقول لنفسي كذلك إن رغبة كاردان فيّ كانت دائمًا ممزوجة بقدر من الاشمئزاز، وأنني سأكون أفضل حالًا دون التورط في مثل هذا الخلط.

غلبني النعاس وأنا أنتظر صوت فتح الباب ووقع خطواته على الأرضية الخشبية.

لكني عندما استيقظت كنت لا أزال بمفردي، حيث لم تضأ أية مصابيح، أو يتغير مكان الوسائد، بل لم يتغير أي شيء، فجلست منتصبة في الفراش.

ربما كان كاردان يقضي بقية الصباح وفترة الظهيرة في مقر مجلس الضلال، حيث يلعب لعبة السهام مع الشبح ويتفقد حالة الصرصور، لكن يمكنني بسهولة أكبر أن أتخيله جالسًا في قاعة العرش الكبرى، حيث يسرف في تعاطي الشراب، وكل هذا لكي يتفادى الاستلقاء بجانبه في الفراش.

الفصل 21

دفعني صوت قرع الباب إلى أن أرتدي أحد أردية كاردان بسرعة فوق القميص الذي كنت أرتديه.

وقبل أن أصل إلى الباب، كان قد انفتح ودخل منه راندالين وهو يقول في نبرة جافة واثامية: "مولاتي، لدينا الكثير لنناقشه معاً".

جذبت الرداء بإحكام أكثر حولي، لا بد أن عضو المجلس كان يعلم أن كاردان لن يكون موجوداً ما جعله يقتحم الغرفة على هذا النحو، لكنني لن أمنحه إحساساً بالرضا بالتساؤل عن مكان كاردان.

ثم وجدت كلمات القبلة تتردد في رأسي: إنك الملكة السامية لإلفهايم، تصرفي وفقاً لمكانتك.

بينما كان من الصعب عليّ ألا أشعر بالخزي لكوني نصف عارية بشعر مشعث ورائحة فم كريهة. كان من الصعب أيضاً أن أستعرض أمارات زهوي وتكبري في تلك اللحظة، وبصوت جعلته صارماً قدر الإمكان قلت: "ماذا يمكن أن نتحدث عنه الآن؟".

ربما كانت القبلة لتقول في مثل هذا الموقف إن عليّ أن ألقني به خارجاً.

مدّ العفريت قامته قدر الإمكان، وبدا منتفخاً باعتداده بذاته، ثم حدق إليّ بعينيه الشبيهتين بعيني الماعز من خلف زجاج نظارته ذات الإطار المعدني، وكان قرناه مصقولين ويلمعان بشدة، وبتؤدة ذهب نحو أريكة منخفضة وجلس عليها.

عندئذ توجهت نحو الباب، وفتحته، فوجدت حارسين لا أعرفهما، ولم أجد أحداً من حرس كاردان فكلهم بالطبع لأنهم سيكونون معه، لكنني لا أريد هذين الحارسين الواقفين عند

الباب، والمرجح أنهما الأقل كفاءة في حراستهما والأقل عتادًا ما جعلهما غير مؤهلين حتى لإيقاف عضو ممتعض من مجلس المستشارين. ثم رأيت فاند عبر الردهة، وعندما رأيتني سارت نحوي في حالة تأهب.

سألته: "هل لديك رسالة أخرى لي؟".

هزت فاند رأسها بالنفي.

استدرت إلى الحارسين الملكيين، وسألتهما: "من سمح لعضو المجلس بالدخول دون إذني؟"، بدا الانتباه في أعينهما، وبدأ أحدهما يتلعثم وهو يحاول أن يجيب.

لكن فاند قاطعته لتقول: "قلت لهما ألا يسمحا بذلك، إنك بحاجة إلى شخص كفء لكي يحرس شخصك المرموق - ويقف ببابك. اسمحي لي بأن أكون فارسك، أنت تعرفيني، وتعرفين أنني قادرة على ذلك، لقد كنت أنتظر هنا على أمل...".

عندها تذكرت أنني كنت آمل فيما مضى أن أجد لي مكانًا في القصر الملكي، وأن يتم اختياري كجزء من الحرس الشخصي لإحدى الأميرات. كما تفهمت لماذا لم يكن من المرجح اختيارها من قبل واحدة من الحرس الملكي، فهي صغيرة وكذلك - كما توحى كل الأدلة - صريحة.

أجبتها: "حسنًا، اعتبري نفسك يا فاند الفارسة الأولى في حرسي"، لم يحدث أن كان لي حرس خاص من قبل، ووجدت نفسي حائرة قليلًا فيما يجب أن أفعله معها الآن.

قالت فاند بسرعة: "بحق البلوط والرماد والشوك وثمار الروان الحامية من السحر، أقسم بأنني سوف أخدمك بإخلاص حتى موتي. والآن هل تودين أن أصطحب عضو المجلس إلى خارج جناحك؟".

هززت رأسي بالنفي، مع أن تخيلي لهذا المشهد كان كفيلاً بإرضائي تمامًا، وأظن أنني لم أستطع إزالة الابتسامة كلية من فوق شفتي عندما خطرت ببالي هذه الفكرة. قلت لها: "لن يكون هذا ضروريًا، أرجو أن تبعثي برسالة إلى جناحي القديم لمعرفة ما إذا كان باستطاعة تاترفيل أن تجلب بعض أغراضي. وفي هذه الأثناء سأحدث مع راندالين".

رمقت فاند عضو المجلس بنظرة عابسة، وقالت وهي تضع قبضتها على قلبها وتقول: "سمعاً وطاعة، يا جلالة الملكة".

عدت إلى الداخل، وقد أراحتني إمكانية حصولي بعد قليل على بعض من ملابسني. ثم جلست على ذراع أريكة مقابلة لعضو المجلس، وأخذت أتطلع في وجهه بتأمل، لقد نصب لي فخًا هنا لكي يطيح بي بشكل ما، ثم قلت له وأنا أضع هذا في اعتباري: "حسنًا، تحدث".

بدت المرارة في صوته وهو يقول: "لقد بدأ حكام ممالك البلاط الأدنى في التوافد، ويزعمون أنهم جاءوا لكي يشهدوا التحدي الذي أعلنه والدك ولكي يقدموا الدعم للملك السامي، لكن وجودهم هنا لا يرجع إلى ما سبق فقط، بل إنهم جاءوا لكي يشموا رائحة الضعف".

قطبت جبيني في اندهاش، وقلت: "لكنهم أدوا قسم الولاء للتاج، ويرتبط هذا الولاء بكاردان سواء شاءوا أم أبوا".

استطرد يوضح: "ومع ذلك في ظل عدم تمكن مملكة البحار من إرسال قواتها، سنغدو معتمدين عليهم أكثر من أي وقت مضى، ونحن لا نرغب في أن يمنحنا حكام البلاط الأدنى ولاءهم على مضض، وعندما يصل مادوك - في غضون أيام قليلة - سيسعى لاستغلال أية شكوك تحيط بالتاج، وقد أوجدت أنت تلك الشكوك".

آه، لقد عرفت الآن مغزى كلامه.

وواصل يقول: "لم يحدث قط أن تولت بشرية فانية منصب ملكة إلفهايم، ويجب ألا تتولاه الآن".

سألته: "هل تتوقع حقًا أن أتخلي عن مثل هذا النفوذ الهائل تأثيرًا بكلامك؟".

فاجأني راندالين وهو يجيب قائلاً: "لقد سبق أن توليت مهام منصب وكيلة الملك بكفاءة، وأنت تهتمين حقًا بأمر إلفهايم، ولهذا السبب أناشدك التخلي عن لقبك".

وفي تلك اللحظة انفتح الباب.

شرع راندالين يقول في حنق: "إننا لم نرسل في طلبك، ولا نريدك هنا". كان من الواضح أنه يرغب في تقريع الخادم الذي دخل فجأة - أو ربما فاند - بالكلمات التي كان يتمنى أن يوجهها لي شخصيًا، ثم شحب لونه ووقف وانحنى من فوره.

كان الملك السامي واقفًا بالباب، وقد ارتفع حاجباه، وارتسمت على ركن فمه ابتسامة ماكرة، وقال: "الكثيرون يفكرون حيالي على هذا النحو، لكن قليلين فقط لديهم الجرأة الكافية لكي يقولوا هذه الكلمات في وجهي".

كانت جريما موج، من جان القبعات الحمراء، تقف وراءه ومعها سلطانية تتصاعد أبخرتها، وتنبعث منها رائحة ذكية وصلت إليّ، ما جعل بطني يقرقر من الجوع.

تلعثم راندالين وهو يقول: "يا جلالة الملك! أشعر بعار كبير، إن تعليقي الغافل لم يُقصد به جلالتك على الإطلاق، لقد ظننت أنك..."، ثم أوقف نفسه عن الكلام، وأعاد كلامه ثانية: "لقد كنت أحمق، إذا كنت تريد أن تعاقبني...".

قاطعته كاردان قائلاً: "لماذا لا تخبرني بما كنتما تناقشانه؟ ليس لدي شك بأنك تفضّل إجابات جود الحصيصة عما أسمع لك من هراء، ومع هذا إن سماعي لشئون الدولة والحكم يسليني".

ألقى راندالين نظرة خاطفة على جريما موج وهي تضع سلطانيتهما فوق الطاولة، ثم عاد ينظر ثانية إلى كاردان، وقال: "لقد كنت فقط أحثها على التفكير في شأن الحرب التي يشنها والدها علينا، وأنه يجب على الجميع أن يضحى".

بدا واضحًا لي أنه يتعين على راندالين الخوف من الطريقة التي كان كاردان ينظر بها إليه.

استدار كاردان نحوي دون أن يتمكن من مداراة شدة الغضب البادية في عينيه، وقال لي: "أتأذنين يا جود بتركنا أنا وعضو المجلس بمفردنا قليلاً؟ فلديّ بعض الأمور التي أود حثه على وضعها في الاعتبار. وقد أحضرتُ جريما موج بعض الحساء لك".

قلت في اعتراض: "أنا لا أحتاج مساعدة أي شخص لإخبار راندالين بأن هذا هو بيتي ومكاني، وأنني لن أذهب إلى أي مكان آخر ولن أتخلى عن أي شيء".

قال كاردان وهو يقبض بيده على قفا عضو المجلس: "ومع ذلك، لم تزل هناك بعض الأمور التي أود قولها له".

ترك راندالين كاردان يدفعه نحو إحدى الغرف، وانخفض صوت كاردان للدرجة التي لم أعد أستطيع معها تبيين كلماته لكن نبرة وعيده المكتومة كانت واضحة تمامًا.

قالت لي جريما موج وهي تصب لي بعض الحساء في الوعاء: "هيا لتأكلي، إنه سيساعدك على التعافي".

كان فطر عيش الغراب يطفو أعلى الحساء، وعندما وضعت الملعقة طفت بعض البصلات على السطح، إلى جانب شيء آخر يبدو كاللحم، سألتها: "ما هذا بالضبط؟".

أجابت جنية القبعات الحمراء: "هل كنت تعلمين أنك تركتِ سكينك في الزقاق المجاور لمنزلي؟ وأخذتُ على عاتقي مهمة إعادتها لك، كبادرة ودية"، ثم ابتسمت في مكر، وواصلت تقول: "لكنك لم تكوني في منزلك، بل كانت هناك أختك التوأم اللطيفة التي

تتمتع بأخلاقيات عالية، فقد دعيتي للدخول وتناول قرح من الشاي والكعك، وأخبرتني بالكثير من الأمور الشائقة. كان عليك أن تخبريني بالمزيد، ربما يمكننا الوصول معًا إلى اتفاق في وقت قريب".

قلت لها: "ربما، لكن الحساء...".

قاطعتني قائلة: "إن حاسة التذوق لديّ ممتازة، لكن ذوقي متنوع جدًا. لا تكوني فضولية وتناوليه، إنك بحاجة إلى استعادة بعض القوة".

أخذت رشفة منه وحاولت ألا أفكر كثيرًا فيما أتناوله، إنه مرق خفيف متبل جيدًا ولا يبدو ضارًا. شربت الوعاء حتى آخره، كان مذاقه جميلًا ودافئًا، وجعلني أشعر بأنني أصبحت أفضل كثيرًا منذ وقت استيقاظي في إلفهايم. ثم أخذت أتفحص القطع الموجودة بقاع وعاء الحساء لكي أكلها، وإذا كان بها ما يروعي، فقد قدّرتُ أن من الأفضل لي ألا أعرف ما هو.

بينما كنت لا أزال أقلب في القطع المتبقية في الوعاء، انفتح الباب ثانية، ودخلت تاترفيل وهي تحمل كومة من الثياب، وتبعتها فاند وفارسان آخران ومعهم المزيد من الثياب، ومن خلفهم ظهرت هيذر وهي ترتدي صندلاً وتحمل مجموعة من المجوهرات.

ومع اقترابها، خفضت هيذر صوتها، وهي تقول: "أخبرتني تارين بأنني إذا جئت إلى هنا، يمكنني أن أرى الجناح الملكي. أنا سعيدة لأنك بخير، إن فيفي تريدنا أن نغادر قبل أن يصل والدك إلى هنا، ولهذا سنغادر قريبًا، لكننا ما كنا لنغادر وأنت في حالة إغماء".

عقت أقول: "إن مغادرتكما فكرة جيدة، وأنا متفاجئة من مجيئك".

قالت بشيء من الأسف: "إن أختك عرضت عليّ صفقة وأنا قبلت بها".

وقبل أن تتمكن من إخباري بالمزيد، اندفع راندالين نحو باب الجناح خارجًا، وكاد يصطدم بهيدر وهو مندفع. لقد حدق إليها للحظات في ذهول، وبدا جليًا أنه لم يكن مستعدًا لرؤية مخلوقة فانية أخرى، ثم انصرف وهو يتجنب حتى النظر في اتجاهي.

قالت هيدر وهي تتابعه ببصرها: "هذا الرجل الضئيل، لديه قرنان كبيران".

مال كاردان على إطار الباب، وكان يبدو على وجهه الرضا التام عن نفسه، ثم قال: "هناك حفلة ستقام الليلة للترحيب بالضيوف القادمين من بعض قصور الممالك التابعة لنا، وأرجو يا هيدر أن تحضرها أنتِ وفيفيان، ففي المرة السابقة التي كنتما فيها هنا لم نقم بواجب الضيافة تجاهكما كما ينبغي، لكنكما ستجدان الكثير من المسرات التي ستبهجكما".

قالت جريما موج: "بما في ذلك الحرب، ما الذي يمكن أن يكون مبهجًا أكثر منها؟".



بعدما غادرت هيدر وجريما موج، بقيت تاترفيل لكي تُعدني لحفل الليلة، فقامت بلف شعري وطلاء وجنتيِّ بمساحيق التجميل. ارتديت ثوبًا ذهبيًا من الطراز غير المنفوش، وعليه طبقة من القماش الفاخر تشبه السلاسل المذهبة، وعلى كتفيه قطعتان من الجلد تكسوهما مادة لامعة، تلتقيان عند منطقة الصدر وتبرزانه بدرجة أكبر مما اعتدتها.

استوى كاردان على مقعد مبطن مصنوع من الجذور ثم مدد ساقيه، وكان يرتدي رداء من اللون الأزرق الداكن مع تطريز معدني عليه جواهر تزخرف منطقة الكتفين. وفوق رأسه تاج إلفهايم الذهبي، ومن فوقه أوراق البلوط الذهبية اللامعة. أمال كاردان رأسه إلى الجنب، ورمقني بنظرة تقييمية.

ثم قال لي: "الليلة سيتعين عليكِ التحدث مع كل الحكام".

أجبتة - بينما أنظر إلى تاترفيل وقد بدت عليها السعادة التامة - وهو يعطيني الإرشادات التي لم أطلبها منه: "أعلم ذلك".

استطرد وقد أدهشني كلامه: "لأن أحدنا فقط يمكنه إخبارهم بالأكاذيب، فعليهم أن يؤمنوا بحتمية انتصارنا".

سألته: "أليس الانتصار مؤكدًا؟".

ضحك قائلاً: "أجيبني أنت".

فأجبتة بجدية: "إن مادوك ليست أمامه أية فرصة للانتصار".

تذكرتُ نهابي إلى معسكرات ممالك البلاط الأدنى بعد الانقلاب الذي قام به بالكين ومادوك، ومحاولتي إقناع قادة جيوش أرض الجان والمستشارين بالتحالف معي. وكان كاردان قد أخبرني بمن منهم يمكنني محاولة استمالاته، وأمدني بالمعلومات الكافية عن كل واحد منهم للوصول إلى أفضل طريقة لإقناعه، وإذا كان هناك أي شخص يمكنه مساعدتي على اجتياز هذه الليلة، فإنه كاردان بالتحديد.

إنه يجيد جمعهم حوله بمنتهى السهولة، حتى إن كانوا يعلمون حتمية ابتعادهم عنه.

وللأسف إن ما أجيدته أنا هو استفزاز الآخرين، لكنني أيضاً ماهرة في الكذب.

سألته وأنا أشعر بالقلق من اضطراري لمقابلة اللورد رويبين: "هل وصل حاكم بلاط النمل الأبيض؟".

أجاب كاردان: "للأسف نعم"، ثم وقف ومد ذراعه كي أتأبطه، وقال: "هيا دعينا نسحر ألباب رعايانا".

ضبطت تاترفيل بعض الشعيرات البارزة في شعري لتضمها إلى جديلتني، ثم تراجعت إلى الوراء وتركتني أنهض.

سندهب معاً إلى القاعة الكبرى، بينما تحيط بنا فاند وبقية الحرس الملكي في موكب مهيب.

بينما كنا نسير وبعد الإعلان عن دخولنا، ساد البلاط صمت رهيب، ثم سمعت همهمات كما لو كانت تصل من مسافة بعيدة: "الملك السامي والملكة السامية لإلفهايم".

نظر جان الجوبلين والجريج والعفراريت والأرواح الطائرة والعمالقة والمشعوذات جميعاً في اتجاهنا، سواء المخلوقات الجميلة منهم أو بشعة الهيئة من معشر جان إلفهايم. كانت أعينهم السوداء جميعاً تلمع في ترقب، كما كانت أجنتهم وذيولهم وشواربهم تهتز. وبدت صدمتهم مما يرونه - بشرية فانية مرتبطة بملكهم السامي، بشرية فانية أصبحت حاكمتهم - إنها صدمة قاسية.

وبعدها اندفعوا إلى الأمام لتحيتنا.

قبلوا يدي، وأثنوا عليّ بعبارات مسرفة في مدحها وجوفاء في الوقت نفسه، حاولت أن أتذكر كل اللوردات والنبيلات والمستشارين، وحاولت أن أطمئنهم بأن هزيمة مادوك مؤكدة، وأنا سعيداء باستضافتهم، ومسرورون بإرسالهم لنا بعض المدد من أفراد ممالكهم المستعدين لخوض المعركة. وأخبرتهم بأنني أعتقد أن القتال لن يستمر طويلاً، ولم أتطرق إلى ذكر خسارة حلفائنا في مملكة أعماق البحار، أو حقيقة أن أسلحة جيش مادوك ستكون من صنع جريمسين، ولم أذكر السيف الضخم الذي يخطط مادوك لمبارزة كاردان به.

لقد كذبت وكذبت وكذبت.

ثم قال اللورد رويبين من بلاط النمل الأبيض: "يبدو أن والدك عدو مراغ جداً لأصول اللياقة، إذ إنه جمعنا هنا معاً بهذا الشكل. إن أصدقائي المقربين أنفسهم لا يرتقون في

مراعاتهم إلى الدرجة التي تجعلهم يجمعون كل حلفائي هكذا قبل بدء المعركة"، بدت عيناه كرقاقتين من الثلج، وكنت قد قتلتُ بالكين لتسديد دين له، لكن هذا لا يعني أنه سعيد بي، ولا أنه يصدق ما أتفوه به من كلمات جوفاء.

عَقَّبْتُ أقول: "إن هذا استعراض للقوة بالتأكيد، فهو يسعى لإزعاجنا".

قال رويبين مصححًا: "إنه يسعى لتدميرك".

وضعت الجنية كاي المرافقة له يدها في حجرها، ومدت رقبتها لكي ترى الحضور بشكل أفضل، وسألت: "هل نيكاسيا هنا؟".

كنت واثقة بأن حديثهما معًا لن يجلب سوى المتاعب، فقد كانت مملكة البحار هي المسئولة عن الهجوم الذي تعرض له بلاط النمل الأبيض وأدى إلى إصابة كاي بإصابات بالغة، أجبته: "لا للأسف، فقد عادت إلى قصرها".

قالت كاي وهي تكوّر قبضتها: "يا للخسارة، فقد كان لديّ شيء من أجلها".

وعبر القاعة رأيت هيدر وفيفي قادمتين، وكانت هيدر ترتدي رداء لونه عاجي يُبرز جمال بشرتها السمراء، وشعرها ملفوف ومشدود إلى الخلف، وإلى جوارها فيفي في رداء قرمزي يشبه كثيرًا لون الدماء الجافة، وكان مادوك مغرمًا بارتداء ثياب بهذا اللون ذاته.

جاءني أحد جان الجريج وقَدَّم لنا ثمار جوز ضئيلة ممتلئة بلبن مخمّر، وبالفعل أخذت كاي واحدة وتجرعتها سريعًا، ثم جفلت من تأثيرها، لكنني لم أخذها.

قلت وأنا أنحي البعض جانبًا لكي أصل إلى أختي: "معذرة". ومررت بالملكة آنيث ملكة بلاط العث، وألدركينج ورفيقه، والعشرات غيرهم.

سألني فالأ، الذي يشغل منصب كبير المهرجين، وهو يعترض طريقي: "أليس من المبهج أن نرقص؟ دعينا نرقص على رماد التقاليد".

وكالعادة لم أجد ما أقوله له، ولست متأكدة مما إذا كان ينتقدي أم يتحدث بصدق تام، لكنني سرت بعيداً عنه.

هزت هيذر رأسها عندما اقتربت منهما، وهي تصيح: "رائع! هذا هو الرداء الذي يليق بك ارتداؤه".

قالت فيفي: "جيد، أريد إحضار بعض المشروبات الآمنة، هل يمكنك البقاء معها يا جود حتى أعود، أم ستعودين إلى مهامك الدبلوماسية؟".

قلت لها وأنا سعيدة بفرصة التحدث مع هيذر بمفردنا: "يمكنني الانتظار". وفي اللحظة التي سارت فيها أختي مبتعدة، استدرت إلى هيذر وسألتها: "على ماذا وافقت تحديداً؟".

سألني هيذر: "لماذا تسألين؟ إنك لا تعتقدين أن أختك قد تخدعني، أليس كذلك؟".

أجبتها إجابة مراوغة: "ليس عن عمد". إن صفقات الجان تشتهر بسمعتها السيئة، فنادراً ما تُصاغ بشكل صريح، صحيح أنها قد تبدو جيدة مثل وعدك بعيشة هائلة حتى بقية حياتك، لكنك قد تحظين بعدها بليلة واحدة رائعة، ثم تموتين في الصباح. أو يتم وعدك بإنقاص وزنك، ليأتي بعدها أحدهم ويقطع رجلك، ولا يعني هذا أنني أعتقد أن فيفي قد تفعل هذا بهيذر، لكن لأن محنة نفيي لا تزال عالقة بذهني، فأعتقد أنني أود معرفة التفاصيل بشأن ما وعدت به هيذر.

أجابت هيذر: "لقد أخبرتني بأن أوك بحاجة إلى شخص لكي يبقى معه في إلفهايم، بينما تتولى هي رعايتك، وقدمت لي العرض التالي: عندما نكون في عالم الجان يمكننا البقاء معاً، وعندما نعود إلى العالم الفاني ستجعلني أنسى أرض الجان وأنساها هي أيضاً".

شهقتُ، وتساءلت هل هذا حقاً ما تريده هيذر؟ أم هل قدمت فيفي عرضها ووافقت عليه هيذر؛ لأنه بدا أفضل لها من الاستمرار على ما كانت عليه الأمور من قبل؟ ثم سألتها: "إنن، عندما تعودين إلى منزلك...".

بدا اليأس على ملامحها وهي تقول: "يكون الأمر قد انتهى، هناك أمور يجب ألا يعتادها المرء، وأظن أن السحر أحدها".

قلت لها: "إنك لست مضطرة يا هيدر إلى أن...".

لكنها قاطعتني وهي تقول: "فيفي صديقتي المقربة والمفضلة، لكنني أعتقد أنني ارتكبت خطأ. ففي المرة الأخيرة التي كنت فيها هنا، بدا هذا المكان كأنه فيلم رعب تم تصويره بشكل رائع الجمال، وأنا أريد إخراج كل هذا من رأسي، لكنني في الوقت نفسه لا أريد أن أنساها".

سألته وأنا أنظر عبر القاعة باتجاه أختي، وهي قادمة في طريقها إلينا: "ألا يمكنك إخبارها بذلك؟ وإلغاء تلك الاتفاقية".

هزت هيدر رأسها بالنفي، وقالت: "لقد سألتها عما إذا كانت ستحاول إقناعي لاحقًا بتغيير رأيي. أظن أن سؤالي هذا كان بسبب تشككي في قدرتي على المضي قدمًا في الجزء المتعلق بإنهاء صداقتنا. وأظن أنني كنت آمل أن تطمئني بأنها كانت تريد مني أن أغير رأيي، لكن فيفي تحدثت بجدية تامة، وقالت إن هذا جزء من الاتفاق، وأنه بغض النظر عما أقوله فيما بعد، فهي ستمضي في تنفيذه".

غمغمت أقول: "إنها حمقاء".

قالت هيدر: "بل أنا الحمقاء، لو لم أشعر بالخوف إلى الحد الذي..."، ثم قطعت كلامها لوصول فيفي وفي يدها ثلاثة كئوس تحملها بشكل متوازن.

ناولتني أختي الشراب وهي تسأل: "ماذا يجري؟ كلتاكما تبدو بحال غريبة".

لم تجب أي منا.

أصرت فيفي على سؤالها، وقالت: "ماذا؟".

أدهشتني هيدر تمامًا وهي تقول: "طلبت جود منا أن نبقي بضعة أيام أخرى، فإنها بحاجة إلى مساعدتنا".

نظرت فيفي إليّ نظرة اتهام.

فتحت فمي لكي أعترض، لكن لم يسعني إنكار أي من هذا دون فضح كذبة هيدر. عندما استعانت فيفي بالسحر لكي تنسيها ما جرى في حفل زفاف تارين، استشطت غضبًا منها، ولم يسعني سوى إدراك كيف أن فيفي في النهاية واحدة من معشر الجان، وأنني لست منهم، أما الآن فلا يسعني سوى إدراك كيف أن هيدر - بشتى الطرق وفي نهاية المطاف - مخلوقة بشرية.

وهكذا وافقت على كلامها وأنا متيقنة بأنني أتصرف كأخت سيئة النية، لكن في الوقت نفسه ربما أكون أختًا حسنة النية أيضًا، وقلت: "فقط بضعة أيام أخرى".

عبر القاعة رفع كاردان كأسه، وقال: "مرحبًا بكم في جزيرة إنسمابر، يا أهل بلاط إنسيلي ويا أهل بلاط سيللي، ويا معشر الجان الوحشي، ويا معشر الجان الأليف. أنا سعيد باصطفافكم تحت رايتي، وسعيد بإخلاصكم ومُمتن لشرفكم الرفيع". ثم انتقل بصره إليّ ثم قال: "ولكم أقدم مشروب العسل المسكر، وضيافة مآدبتي، بينما أقدم للخونة والحائنين بالعهد ما تجود به ملكتي من ضيافة، وضيافتها تقوم على الطعن بالسيوف والسكاكين".

ضج المكان بالمرح وأصوات الهتاف المتعالية، واتجهت الكثير من الأعين نحوي، ورأيت السيدة آشا وهي تنظر إليّ بتجاهم.

يعلم كل الجان أنني أنا التي قتلت بالكين، ويعلمون كذلك أنني قضيت وقتًا في المنفى بسبب ذلك، ويعلمون أنني ربيبة مادوك التي اتخذها ابنة له، ومع هذا فإنهم لم يتشككوا في صحة كلمات كاردان.

من الواضح أنه جعلهم يرونني أكثر من مجرد ملكة فانية، وصاروا يرونني الآن ملكة قاتلة.
لست واثقة بشعوري حيال ذلك، لكن رؤيتي مدى شدة الاهتمام البادي في نظراتهم الآن،
جعلتني لا أنكر مدى قوة تأثير وفاعلية كلماته.

رفعت كأسِي عاليًا، وشربت.

ومع اقتراب انتهاء الحفل، كان كل أفراد الحاشية الملكيين ينحنون لي عند مروري إلى
جوارهم، حتى آخر فرد منهم.



كنت أشعر بالإرهاق أثناء مغادرتنا القاعة، لكنني أبقيت رأسي مرتفعًا وكتفيّ مستقيمتين،
إذ كنت عازمة على ألا يعلم أي شخص مدى إنهاكي.

لكنني عندما عدت إلى الجناح الملكي تركت جسدي يسترخي قليلًا، واستندت إلى إطار
الباب في الغرفة الداخلية.

قال كاردان وهو يخطو نحوي: "لقد كنتِ مهيبة الليلة يا ملكتي".

وعلى الرغم من إرهاقي، انتبهت تمامًا لحضوره، ولدفاء بشرته، ولابتسامته الهادئة
التأميرية التي تجعل معدتي تتوتر من اشتياقي الأحمق إليه، قلت له: "بعد الكلمات التي
قلتها في الحفل، لم يعد الأمر صعبًا".

قال كاردان: "ما كنت لأقول شيئًا سوى الحقيقة، وإلا ما استطعت النطق بها".

ووجدت نظرتي تنتقل إلى شفتيه الناعمتين وعينييه السوداوين وعظمتي وجنتيه.

وهمست أقول له: "أنت لم تأتِ إلى الفراش لتنام أمس".

وانتبهت فجأة إلى أنه في الوقت الذي كنت فيه فاقدة للوعي، كان يمكنه أن يقضي لياليه في مكان آخر. وربما لم يكن يقضيها بمفرده، فقد مر وقت طويل منذ أن كنت هنا في البلاط، وليست لديّ أية فكرة عن من محبوباته الأخريات.

لكن حتى إذا كانت هناك محبوبة أخرى بالفعل، فقد بدت أفكاره شاردة عنها. وقال كاردان: "أنا هنا الآن"، قالها كما لو كان يُبدي لي أنه يمكن ألا يفهم ما أقصده على النحو المرغوب.

قلت لِنفسي أذْكرها: لا بأس إذا أردت شيئًا سيؤذيني في نهاية المطاف، ثم تحركت تجاهه حتى اقترب أحدنا من الآخر بالدرجة الكافية لكي نتلامس.

ثم أخذ يدي وشبَّكها بين أصابع يده وانحنى نحوي.

كان أمامي متسع من الوقت لكي أبتعد عنه، لكنني لم أفعل، فقد أردت منه أن يقترب مني.

ثم قال لي بنعومة: "لقد بدوت اليوم كفارسة في إحدى الحكايات، وبالأحرى فارسة في حكاية مثيرة".

شعرت بالاضطراب وقلت له: "فقط أمهلني قليلًا، وسأعود سريعًا"، وحاولت أن أخفي عنه انفعالاتي. كانت عيناه شديدي السواد وحدقتاه كانتا متسعيتين. كان شديد الوسامة، إنه وسيم بدرجة مثالية ومريعة وغير بشرية، حتى إنني بالكاد كنت أستطيع التنفس بقربه.

أسرعت بالذهاب تجاه خزانة ملابسني تهربًا منه، وكنت لا أزال أشعر بقوة دقات قلبي في أنحاء جسدي بالكامل.

عندما كنت طفلة صغيرة كان الحب والزواج بمثابة لغز محير لي، بمثابة أمر غريب يقوم به الناس لإنجاب الأطفال. وكانت تصوراتي عن هذا الأمر حالمة وساذجة إلى حد كبير.

بالطبع، تغيّر كل هذا عند قدومي إلى أرض الجان ورؤية ما يحدث هنا، فقد كانوا يأتون إلى الحفلات شبه عراة لكي يحتفلوا، وقد يتسلون بالانخراط في علاقات عاطفية بلا

مشاعر حقيقية، خاصة مع امتداد ساعات الليل. ومع أنني أفهم الآن ما تعنيه علاقة الحب والارتباط بشخص معين ومدى تعقيدها، لكنني لم أتوقع كيف يكون الشعور عندما يفقد المرء إحساسه بنفسه في حضرة شخص آخر. عندما كانت يدا كاردان تلمساني انتابني شعور غريب، وكان هو قادرًا على تبين ذلك. إنه متمرس في فنون الهوى، ويمكنه أن يستثير لديّ أي رد فعل يشاء. أنا أكره هذا، ومع ذلك وفي الوقت نفسه أريده.

لكنني عدت وفكرت في أنني لا يتعين عليّ أن أتأثر وحدي بهذه المشاعر دون كاردان، وأن هناك العديد من الأخطار التي تحيط بنا، وتتطلب منا التعامل مع عواطفنا المتقدمة - وإن كانت صادقة - بأقصى قدر من الحيطة والحذر.

الفصل 22

قضينا أغلب اليومين التاليين في قاعة التخطيط للعمليات الحربية، حيث طلبتُ من جريما موج أن تنضم إلى كبار قادة جيش كاردان وكبار قادة ممالك البلاط الأدنى لوضع خطط المعركة. وحضرت القنبلة أيضًا، وقد غطت وجهها بلثام شبكي أسود، وجسدها برداء أسود داكن ذي قلنسوة. تحدث أعضاء المجلس الاستشاري عن قلقهم، وانكفأت أنا وكاردان على طاولة الخطط، بينما تناوب الحضور من الجان رسم الخرائط المحتملة لخطط الهجوم والدفاع. قمنا بتغيير أماكن بعض التجهيزات الحربية، وأرسلنا ثلاث رسائل إلى نيكاسيا، لكننا لم نتسلم ردًا من مملكة البحار.

قالت جريما موج: "إن مادوك يريد من لوردات وسيدات وحكام البلاط الأدنى أن يشاهدوا عرضًا مثيرًا. دعوني أبارزه، وسوف يشرفني أن أصبح بطلتكم".

قال فالو: "فلتتحده في لعبة الأقراص والكأس، وسأصبح بطلتكم".

هز كاردان رأسه وقال: "لا، دعوا مادوك يأتي ليطالب بالتفاوض ويدعو إلى التحدي. سيقف فرساننا في أماكنهم، وفي داخل البلاط سيقف الرماة في أماكنهم. سنسمع كل ما لديه وسنجيبه، لكننا لن نفسح المجال لأي تلاعب أو خداع. وإذا رغب مادوك في التحرك ضد إلفهايم، فعليه أن يفعل ذلك، وعلينا أن نرد بكل ما نمتلكه من قوة"، ثم نظر إلى الأرض، وبعدها رفع عينيه ونظر إليّ.

قلت له: "إذا كان يعتقد أن باستطاعته دفعك لمبارزته، فسوف يجعل من الصعب عليك جدًّا أن ترفض عرضه".

قالت القنبلة: "اطلب منه أن يسلم كل أسلحته عند بوابة القصر، وعندما لا يفعل ذلك سوف أصيبه وأنا في منطقة متوارية خلف الظلال".

قال كاردان: "وسيبدو حينها أنني جبان، وذلك بعدم قبولي سماعه كذلك".

ومع قوله تلك الكلمات، خفق قلبي بشدة، لأن كبرياءه هي بالضبط ما يأمل مادوك في استغلالها.

قالت القنبلة: "لكنك ستكون حيًا بينما يرقد عدوك ميتًا، ويجب علينا الرد على الخسة بالخسة"، كان من المستحيل عليّ رؤية تعابير وجهها وهو مغطى.

قال راندالين: "آمل ألا تفكر في الموافقة على المباراة، إن والدك ما كان ليقبل التفكير ولو للحظة في مثل تلك الفكرة الرعناء".

علق كاردان: "بالطبع ما كان ليقبل. صحيح أنني لست مبارزًا، لكن الأهم أنني لا أحب أن أعطي أعدائي ما يريدونه، لقد جاء مادوك للمبارزة، وإذا لم يكن هناك سبب آخر، فيجب ألا نمنحه ما يريد".

أعاد يورن النظر إلى خرائطه، وقال: "بمجرد انتهاء التفاوض سنلتقي في ساحة المعركة، وسنريه جزاء خيانتته لإلفهايم، إن أمامنا طريقًا معبدة للانتصار".

طريق معبدة! ومع ذلك لديّ هاجس كبير ينذر بالسوء. جذب نظري فالاً وهو يرتب القطع فوق الطاولة - الفارس، والسيف، والتاج.

ثم اندفع رسول مجنح إلى الغرفة، وقال: "لقد رأيناهم، إن سفن مادوك قادمة".

وبعد لحظات جاءنا طائر بحري آخر وفي قدمه رسالة بطلب التفاوض.

تحرك قائد الجيش الجديد نحو الباب ليستدعي قواته، وقال: "سأضع قواتي في مواقعها، لدينا ثلاث ساعات تقريبًا".

قالت القنبلة وهي تستدير نحو كاردان ونحوي: "وسأجمع بدوري قواتي، وعند الإشارة سيقوم الرماة بإطلاق سهامهم".

شبَّك كاردان أصابعي بأصابعه، وقال: "من الصعب عليّ أن أعمل ضد شخص تحببته"، وتساءلت عما إذا كان قد فكر في بالكين في تلك اللحظة.

على الرغم من معرفتي أن مادوك هو عدوي، لكن جزءًا مني كان منجذبًا لتخيل إمكانية إقناعي له بالعدول عن القتال. إن فيفي هنا وكذلك تارين، بل أوك أيضًا، ولا بد أن أوريانا تأمل في إحلال السلام، وستؤيده إذا وجدت فرصة. ربما يمكننا إقناعه بإنهاء الحرب قبل بدئها، وربما يمكننا الوصول إلى اتفاقية ما، فإنني الملكة السامية على أية حال، فهل يمكنني أن أعطيه أرضًا ليحكمها؟

لكنني كنت أعلم أن تنفيذ هذا مستحيل، لأنني إذا منحته هبة لخيانته، أكون بذلك كمن يشجع على اقتراف المزيد من أفعال الخيانة. وبصرف النظر عني، فإن مادوك لم يكن يرضى بذلك، فهو سليل عائلة من المحاربين، بل إن أمه ولدته في ساحة المعركة، وهو ينوي أن يموت بينما يحمل سيفه بيده.

لكنني لا أعتقد أنه يخطط للموت بهذه الطريقة.

بل أعتقد أنه يخطط للفوز.



كادت الشمس توشك على المغيب عندما أصبحت مستعدة لاعتلاء المنصة الملكية، كنت أرتدي ثوبًا باللونين الأخضر والذهبي، وأضع فوق جبيني تاجًا من الأغصان المذهبة اللامعة. وكان شعري مجدولًا بشكل يشبه قرني الحمل، أما شفّتي فملونتان بلون التوت

في الشتاء، وكان الشيء الوحيد الذي يبدو طبيعيًا في هيئتي هو سيفي قاهر الظلام في غمده الجديد والبهي.

كان كاردان إلى جوارى يراجع الخطط النهائية للمعركة مع القبلة، وكان يرتدي رداء أخضر داكنًا بشدة حتى إنه بدا بدرجة سواد خصلات شعره.

استدرت إلى أوك، الذي كان واقفًا مع تارين وفيفي وهيدر، حيث كانوا يشاهدون ما يحدث على الرغم من تواريهم في المكان نفسه الذي اعتدت أنا وتارين التواري فيه لمراقبة الحفلات دون أن يرانا أحد.

قلت لأوك: "لا يتعين عليك البقاء هنا".

لكنه أجاب بصوت حازم: "أريد أن أرى أمي، وأرى ما يحدث".

إذا كان مقدرًا له أن يصبح الملك السامي في يوم من الأيام فليده الحق في أن يعرف، لكنني كنت أود لو أنه اختار طريقة مغايرة ليعرف بها. أيًا كان ما سيحدث الليلة، فأشك أن هناك سبيلًا لتجنب رؤية أوك لويلات الحرب.

ثم بحث في جيبه وأخرج الخاتم ووضعه في راحتي، وقال: "ها هو خاتمك، لقد حافظت عليه كما طلبت".

وضعته في إصبعي وقلت له برقة: "أنا ممتنة لك"، كان الخاتم المعدني دافئًا لوجوده ملاصقًا لجسده.

قالت تارين وهي تعذني: "سنغادر قبل أن تسوء الأمور". لكنها لم تكن هنا أثناء حفل تتويج الأمير داين، ولا تفهم مدى السرعة التي قد تتحول بها مجريات الأمور كلها.

نظرت فيفي إلى هيدر، وقالت: "وبعدها نعود إلى العالم الفاني، فما كان يجب علينا البقاء كل هذا الوقت". رأيت أمارات الحنين مرتسمة على وجهها هي الأخرى، فلم يحدث أن

رغبت فيفي مطلقًا في أن تبقى في أرض الجان، لكن كان من السهل إقناعها بالبقاء لفترة أطول.

تجنبت هيدر النظر إلى كل منا، فقلت ليفي: "أعلم ذلك".

وعندما انصرفوا، جاءتني القبلة وأخذت يدي بين يديها، وقالت لي: "مهما حدث، تذكرني أنني سأحميك من موقعي بين الظلال".

فكرت في الصرصور الذي لم يزل فاقداً لوعيه بسبب والدي، وفي الشبح الذي كان سجيناً لديه، وفي نفسي عندما كدت أنزف حتى الموت فوق الجليد، إن كل هذا يجعل لدي الكثير مما يجب عليّ أن أثار له. أحببتها بدوري: "لن أنسى أبدًا".

ثم انصرفت هي الأخرى، وبقيت أنا وكاردان بمفردنا بعض الوقت.

قلت: "مادوك يقول إنك ستبارزه من أجل الحب".

قطب جبينه وسأل: "حب من؟".

لا توجد وليمة أكبر من شهية رجل يتضور جوعًا.

هززت رأسي دلالة على عدم معرفتي.

قال: "إنك أنت من أحبها. لقد قضيت معظم حياتي وقلبي مغلق، ولقد حرصت على إغلاقه جيدًا، حتى إنني كنت أتصرف كما لو أنني ليس لدي قلب على الإطلاق. حتى الآن، صحيح أنه صار قلبًا مهترئًا ومتكبرًا ونهبًا للأحقاد، لكنه ملك لك على أية حال". وبعدها سار نحو باب الجناح الملكي كما لو كان ينهي المحادثة، ثم قال: "لعلك خمنت هذا أيضًا، لكنني قلته لك في حال لم تكوني قد فعلت".

فتح الباب لكي يمنعني من الرد، حيث لم نعد بمفردنا إذ كانت فاند وبقية حراسنا واقفين مستعدين في الخارج، ويقف إلى جوارهم أعضاء المجلس الاستشاري في نفاذ صبر. لا أصدق أنه قال هذه الكلمات، ثم سار مبتعدًا في بساطة، وتركني أتخبط في أفكاري، سوف أخنقه بيدي بسبب أسلوبه هذا.

قال راندالين: "لقد دخل الخائن وشركاؤه إلى البلاط، في انتظار جلالتك".

سأل كاردان: "كم عددهم؟".

قال: "اثنا عشر فردًا؛ مادوك وأوريانا وجريمسين وبعض أفراد حاشية بلاط الأنياب، وعدد من كبار قادة جيش مادوك".

عدد قليل وخليط من المحاربين وأفراد الحاشية الملكية، لم أتمكن من فهم سبب ذلك سوى ترجيح السبب البديهي وهو أنه ينوي اللجوء إلى المسارين الدبلوماسي والحربي في التفاوض.

بينما كنا نسير عبر القاعات، ألقى نظرة على كاردان، فابتسم لي على الرغم من انشغاله الواضح بمادوك وبالمبارزة المرتقبة.

قلت بيني وبين نفسي: أنت أيضًا تحبينه، لقد أحببته قبل أن تُسجني في منطقة أعماق البحار، أحببته عندما وافقت على الزواج به.

بمجرد انتهاء ما يجري، سأجد الشجاعة لكي أخبره بذلك صراحة.

وحينها تم الإعلان عن قدومنا إلى المنصة الملكية، مثلما يحدث مع العازفين عند اعتلائهم خشبة المسرح قبل بدء العرض.

استعرضت بنظرة واحدة حكام بلاط سيلى وبلاط إنسيلى، وكذلك معشر الجان الوحشي الذين أقسموا لنا بالولاء، وأفراد الحاشية والعازفون والخدم. ثم لمحت أوك وهو متوارٍ فوق أحد التكوينات الصخرية، وابتسمت لي أختي التوأم لتطمئنني. بينما وقف اللورد رويبين المتميز بتصرفاته البغيضة في أحد جوانب القاعة. أما في الجانب القصي من القاعة فرأيت جموعاً بدأت تتفرق لكي يسمحوا لمادوك ومرافقيه بالدخول.

ثم قمت بثني أصابعي - التي كانت باردة - في حركة متوترة.

بينما كان والدي يسير عبر قاعة العرش بدت درعه المصقولة حديثًا شديدة البريق، لكن بخلاف ذلك لم يكن هناك شيء لافت للنظر - كانت درعه درع شخص يهتم بالأمر الجادة وليست درع شخص يهتم بالمظهر الجديد وإثارة الإعجاب. وكانت العباءة على كتفيه من الصوف وتحمل ختم القمر الخاص به باللون الفضي ومبطنه باللون الأحمر، ومن حول العباءة سيف ضخم متدلّ حتى يتسنى له أن يستله بحركة واحدة هينة، وفوق رأسه قبعة مألوفة متيبسة بما فيها من دماء متجلطة جافة.

بالنظر إلى وجود هذه القبعة، علمت أنه لم يأتِ إلى هنا لكي يتحدث فقط.

ومن خلفه رأيت السيدة نور واللورد جاريل من بلاط الأنياب، وإلى جوارهما سورين ابنتهما الصغيرة المُقيّدة. وكبار القادة الذين يثق بهم مادوك تمام الثقة - كاليدور وبريمستون وفافيندرا. وعلى كلا جانبيه كان جريمسين وأوريانا، وقد أمعن جريمسين في تأنقه بارتدائه معطفًا به قطع متدلّية من الذهب، فيما بدت أوريانا شاحبة أكثر من أي وقت مضى، وكانت ترتدي رداء باللون الأزرق الداكن بأطراف من الفراء الأبيض، وكانت الزينة الوحيدة التي تضعها هي حلية فضية فوق رأسها تلمع في شعرها كقطعة ثلج.

قال كاردان: "اللورد مادوك، خائن العرش، وقاتل أخي. ما الذي أحضرك إلى هنا؟ هل أتيت لكي تضع نفسك تحت رحمة التاج؟ وربما تأمل في أن تُظهر ملكة إلفهايم لك بعض الرفق والرحمة".

أطلق مادوك ضحكة عالية، ثم انتقل ببصره نحو، وقال: "يا ابنتي، في كل مرة أظن فيها أنك لن ترتقي إلى أعلى مما وصلت إليه تثبتين خطأ اعتقادي، وكنت أحقق لتساؤلي عما إذا كنتِ على قيد الحياة أم لا؟".

أجبتة: "أنا على قيد الحياة، وإن لم يرجع الفضل في هذا إليك".

شعرتُ ببعض الرضا لرؤية الحيرة التامة على وجه أوريانا، ثم بالصدمة التي حلت محل الحيرة، وهي تقترب وترى أن وجودي إلى جوار الملك السامي ليس مزحة، فأنا في نظرها الآن متزوجة بطريقة ما من كاردان.

ثم قلت له: "تلك هي فرصتك الأخيرة للاستسلام، امثل للملك وانحنِ له يا أبي".

ضحك ثانية وهز رأسه وقال: "أنا لم أستسلم قط في حياتي كلها. في كل السنوات التي حاربت فيها، لم أستسلم قط لأحد، ولن أستسلم لك".

قلت له: "إذن سيتذكرك القوم كشخص خائن، وعندما ينشدون الأغاني عنك ستُغفل تلك الأغاني ذكر كل أمجادك الباسلة وستذكر هذه الفعلة الواحدة البغيضة".

قال: "يا جود، هل تعتقدين حقًا أنني أهتم بالأغاني وما يقال فيها؟".

قال كاردان: "لقد أتيت لكي تتفاوض، وإنك لن تستسلم. إذن تكلم، لا أصدق أنك أحضرت كل هذه القوات من أجل اللا شيء".

رفع مادوك يده إلى مقبض سيفه، وقال: "لقد جئتُ لكي أتحداك في مبارزة على التاج".

ضحك كاردان وقال: "هذا هو التاج الدموي الذي صنع من أجل الملكة ماب الأولى في نسل جرينبريال، ولا يمكنك أخذه".

قال مادوك: "لقد قام جريمسين بصنعه وهو يقف هنا إلى جوارى، وسيجد لي وسيلة لكي يصبح ملكي بمجرد فوزي عليك، إذن هل ستبني عرضي بالتحدي؟".

أردت أن أقول له: لا، توقف عن الكلام، لكن هذا هو الهدف من التفاوض، ولا يسعني إيقاف الحديث دون وجود سبب.

قال كاردان: "لقد قطعت أنت كل هذه المسافة، واستدعيث أنا هذا العدد من الجان لكي يشهدوا، فكيف لي أن أقول لا؟".

سحب مادوك السيف من خلفه فانعكس ضوء الشموع على نصله، وقال: "عندما ماتت الملكة ماب تم بناء القصر على رمادها، ومع أن رمادها قد اندثر، فإن قوتها لم تنزل تحيا في صخور وتراب هذه الأرض، لقد تم تبريد حديد هذا السيف في هذه الأرض، وتم تشكيل مقبضه بأحجارها، ويقول الحداد جريمسين إنه يستطيع أن يزلزل سماء هذه الجزر".

نظر كاردان باتجاه الظلال، حيث يتخذ الرماة مواقعهم، ثم قال: "لقد كنت ضيفي إلى أن استللت سيفك الفاخر من غمده، ضعه أرضًا وعد ثانية لتكون ضيفي".

قال مادوك: "أضعه أرضًا؟ حسن جدًا". ثم ألقى بالسيف على أرض قاعة العرش، فدوى صوت هائل زلزل جنبات القصر، وحدث هزة بدت أنها تصل إلى الأرض من تحتنا، فصرخ الجان الحاضرون، وضحك جريمسين في فخر واضح بعمله.

تشكل صدع كبير في الأرضية، بداية من الشق الذي أحدثه طرف النصل على الأرض وازداد الشق اتساعًا وهو يسرع نحو المنصة الملكية. وقبل لحظات من وصوله إلى العرش، أدركت ما سيحدث وغطيت فمي في فزع، وبعدها تصدع عرش إلفهايم القديم وتداعى من منتصفه، وتحولت أغصانه المزدهرة إلى شظايا وانهار مقعده، ثم خرجت عصارة من مواضع الكسور كما تخرج الدماء من الجرح.

قال مادوك بصوت يعلو على أصوات الصراخ: "لقد جئت إلى هنا لكي أعطيك هذا السيف".

نظر كاردان في رعب إلى الدمار الذي لحق بالعرش وسأله:
"لماذا؟".

وقال مادوك: "إذا خسرت في المباراة التي أقترحها عليك، فسيصبح السيف ملكك لكي تستخدمه ضدي على أي نحو تشاء، لكنني لن أستسلم لك. سنخوض مباراة جادة، لكن سيفك سيكون أفضل من سيفي كثيرًا. وإذا فزت أنت، فسيصبح ملكك عن جدارة وعلى الفور بالإضافة إلى استسلامي لك.

بدا الافتتان تلقائيًا على وجه كاردان، وتقلصت أحشائي خوفًا.

قال مادوك: "كاردان؛ أيها الملك السامي يا ابن إلدريد وحفيد الملكة ماب، يا من ولدت تحت نجم مشنوم وتركتك والدتك لكي تقتات على فتات الموائد الملكية كما لو كنت أحد كلاب الصيد لديها، يا من أوتيت الرغد واليسر، ويا من أبغضه والده وأبقته زوجته تحت سيطرتها - هل يمكنك استشعار الولاء الحقيقي لك من أفراد شعبك أيًا كانوا؟".

هممت بأن أقول محذرة: "كاردان... لكنني أوقفت نفسي، فقد حاصرني مادوك بكلامه؛ فإذا تحدثت واستمع إليّ كاردان ونفذ نصيحتي فسيبدو هذا كإثبات لصحة كلام والدي.

قال كاردان: "أنا لست تحت سيطرة أحد، وقد بدأت خيانتك منذ تخطيطك لموت والدي، ولهذا لا يمكن أن تكون مهتمًا بحسن رأيه بي. عد ثانية إلى الجبال المقفرة التي أتيت منها، إن معشر الجان هنا هم رعاياي المُقسِمون على طاعتي، وإهاناتك لا معنى لها".

ابتسم مادوك وسأله: "حسنًا، لكن هل تقسم على حب رعاياك -المُقسِمين على طاعتك- لك؟ إن جيشي مخلص لي أيها الملك السامي، لأنني قد استحققتُ إخلاصهم. فهل استحققتَ ولو أمرًا واحدًا فقط مما لديك؟ لقد حاربتُ إلى جوار من يتبعونني الآن، ونزفت معهم. لقد وهبت حياتي لخدمة إلفهايم. ولو كنت أنا الملك السامي، لمنحت أتباعي الحق في السيطرة على العالم، ولو كنت أضع التاج الدموي فوق رأسي بدلًا من هذه القبعة، لحققت انتصارات

لم يحلم بها أحد. دعهم يختاروا بيننا، وأياً كان من يختارونه، دعه يتولّى حكم إلفهايم ويحصل على التاج. وإذا كان شعب إلفهايم يحبونك فسأنصاع لرأيهم، لكن كيف يمكن لأيّ منهم أن يختار أن يكون أحد رعاياك إذا لم تقدم له قط فرصة الاختيار؟ وليكن هذا أسلوب المنافسة بيننا. إذا كان جُبْنُكَ شديداً بما لا يسمح لك بمبارزتي بالسيف، فلتكن قلوب وعقول أفراد البلاط والحاشية هي الحاسمة بيننا.

نظر كاردان إلى العرش، وبدا شيء في تعبيرات وجهه يوحي بالعزم والإصرار، وقال: "إن الملك لا يكون ملكاً بتاجه فحسب"، وبدا صوته خافتاً كما لو كان يحدث نفسه.

تحرك فك مادوك، وظهر التوتر على جسده، وبدا مستعداً للقتال، ثم قال: "هناك أمر آخر، وهو موضوع الملكة أورلاج".

قلتُ: "التي أرسلت قاتلاً أصابها". فسرت همهمات بين الحشد.

قال مادوك الذي لم ينكر كلامي: "إنها حليفتك، وابنتها واحدة من رفاق الملك المفضلين في هذا القصر".

فقطب كاردان جبينه.

استطرد مادوك: "إذا لم تُقدم على المخاطرة بالتاج الدموي، فإن السهم سينفذ إلى قلبها وسوف تموت. وسيكون الأمر كما لو أنك قد ذبحتها أيها الملك السامي لإلفهايم. وكل هذا لأنك صدقت أن شعبك سينكرك".

أردت أن أصرخ قائلة: لا توافق على هذا، لكنني إذا فعلتُ فربما يشعر كاردان بأن عليه الموافقة على المباراة السخيفة فقط لكي يثبت أنني لا أملك سيطرة عليه. شعرت بغضب شديد، لكنني فهمت أخيراً لماذا يعتقد مادوك أن باستطاعته التلاعب بكاردان لقبول المباراة، فهمتُ ولكن بعد فوات الأوان.

سبق أن قالت لي السيدة آشا: لم يكن كاردان طفلاً يسهل حبه، ولم يزدده العمر سوى صعوبة أكبر في التعامل معه. بينما شعر الملك السامي السابق إلدريد بالقلق من النبوءة، ولم يكن يولي كاردان أي اهتمام، ولكونه طفلاً منبوذاً من والده الذي كان يملك كل السلطة، فقد أدى هذا إلى نبذ كل إخوته له.

ولأنه كان مرفوضاً من عائلته، كيف يمكنه أن يصبح ملكاً سامياً دون أن يشعر أخيراً بالانتماء لكيان ما؟ كأنه أصبح أخيراً مُرحباً به ومُحتَضَّناً من قبل الآخرين؟

لا توجد وليمة أكبر من شهية رجل يتضور جوعاً.

وكيف لا يرغب أي شخص في وجود إثبات على صدق مثل هذه المشاعر؟

هل يختار شعب إلفهايم أن يحكمهم كاردان؟ نظرت إلى الحشد، وإلى الملكة أنيت التي قد تحمل تقديراً لوحشية مادوك ولخبراته الحربية، وإلى اللورد روبين الذي يهوى العنف، وإلى ألدركينج الابن؛ سيفرين من منطقة فيرفولد الذي تعرض للنفي على يد إلدريد، ولعله لا يريد البقاء تحت لواء ابن إلدريد.

خلع كاردان التاج من فوق رأسه.

فشهق الحشد.

همست له: "ماذا تفعل؟"، لكنه حتى لم ينظر إليّ، بل نظر إلى الحشد.

وبقى السيف المدمّر ثابتاً في الأرض مخترقاً لها، وساد البلاط هدوء شديد.

قال كاردان: "إن الملك ليس ملكاً بتاجه ولا بعرشه، وإنك محق في أن الإخلاص والحب يجب ألا يتم فرضهما، لكن حكم إلفهايم لن يُكسب أو يُخسر في تحدٍّ كما لو كان سباقاً على الفوز بأجر أسبوع مسبقاً أو مشروب ذي تأثير خاص. أنا الملك السامي ولن أخسر لقبني لتناله أنت، ليس في مقابل سيف أو استعراض لكبريائي، لأن حكم إلفهايم أعظم من ذلك

كثيراً"، ثم نظر إليّ وابتسم، وواصل يقول: "هذا إلى جانب أن هناك حاكمين يقفان أمامكم، وحتى إذا قتلني يا مادوك فستبقى هناك حاكمة أخرى لإلهاهيم".

أرخيت كتفيّ في ارتياح، ونظرتُ إلى مادوك نظرة الانتصار عليه، ورأيت الشك في عينيه لأول مرة والخوف من خطأ حساباته.

لكن كاردان لم ينته من كلامه، فعاد ليقول: "إنك تريد الشيء نفسه الذي تتمرد ضده - التاج الدموي. تريد أن يرتبط رعاياي بك باليقين نفسه الذي يرتبطون به معي الآن، وتريده إلى الدرجة التي جعلتك ترى التاج الدموي كئمن مناسب تضعه مقابل حياة الملكة أورلاج"، ثم ابتسم وتابع: "عندما ولدتُ كانت هناك نبوءة بأنني إذا حكمت، فسأصبح سبباً لدمار التاج، ولتخريب العرش".

تحولت نظرة مادوك من كاردان إليّ، ثم عادت إليه ثانية، كان يفكر في خياراته المتاحة، ولا يبدو أن خياراته كانت جيدة، لكنه لم يزل يمتلك سيفاً ضخماً، وتحسست تلقائياً مقبض سيفي قاهر الظلام.

مد كاردان أصابع يده الطويلة نحو عرش إلهاهيم المتداعي والصدع الكبير الذي يمتد بطول الأرض، وقال: "انظروا، لقد تحققت نصف النبوءة"، وضحك ثم واصل: "لم أفكر قط أن النبوءة ستتحقق حرفياً هكذا، ولم أفكر قط أنني قد أرغب في أن تتحقق".

لم أكن مطمئنة إلى ما يهدف إليه بكلامه.

قال كاردان: "لقد صنعت الملكة ماب هذا التاج لكي تبقى السلطة في يد ذريتها، لكن يجب ألا ترتبط النذور والمواثيق بالتاج، بل بالحاكم. ويجب أن تنبع من إرادة حرة تماماً، أنا ملككم وإلى جوارى تقف ملكتي، لكن الخيار خياركم، سواء أردتم اتباعنا أم لا، وإرادتكم ملك لكم".

وبيديه العاريتين، كسر التاج الدموي إلى نصفين، كسره كأنه لعبة طفل، وكما لو كان لم يُصنع من أي معدن، وكأنه غصن كان من السهل كسره.

أظن أنني شهقت من المفاجأة، لكن من المرجح أنني صرخت، فقد تعالت الكثير من الأصوات في مزيج من الذعر والفرح.

بدا مادوك مفزوعًا، فقد جاء لكي يحصل على هذا التاج، والآن أصبح التاج لا شيء سوى بقايا متكسرة. لكن وجه جريمسين هو ما استرعى انتباهي حقًا، فقد أخذ يهز رأسه بعنف يئمة ويسرة وهو يقول: لا لا لا لا.

صاح كاردان يسأل: "يا شعب إلفهايم، هل تقبلونني ملكًا عليكم؟".

كانت تلك الكلمات التي تقال في حفل التتويج، وأتذكر قول إدريد مثل هذا الكلام في هذه القاعة على وجه التحديد. رأيت أمامنا، أنا وكردان، أفراد معشر الجان المجتمعين في البلاط وهم يحنون رؤوسهم، واحدًا تلو آخر، فيما يشبه حركة موجة تبعث على السعادة.

لقد اختاروه، وتعهدوا له بالولاء، لقد فزنا!

نظرت إلى كاردان ورأيت عينيه وقد تحولتا بالكامل إلى اللون الأسود.

صاح جريمسين يقول: "لا لا لا لا لا! عملي، عملي البديع، كان من المفترض أن يبقى إلى الأبد".

وعلى العرش تحوّل لون الزهور الباقية إلى اللون الأسود الشبيه بالحبر والمماثل للون عيني كاردان، ثم نzf وجهه باللون الأسود، واستدار نحوي وفتح فمه لكن شكل فكه أخذ يتغير، وجسده كله يتغير - يستطيل ويتمدد.

تذكرت فجأة أن جريمسين يلقي تعويذة على كل شيء يقوم بصنعه.

عندما أتت إليّ لصنع التاج الدموي، ائتمنتني على شرف عظيم، وألقيت تعويذة عليه لحماية على مر الزمن.

أريد لعملي أن يبقى، تمامًا كما أرادت الملكة ماب لذريتها أن تبقى.

وبدا أن هذا الشيء البشع يبتلع كاردان، لقد انفتح فمه على آخره، ثم فكه، ثم تحطم وبزغ مكانه نابان طويلان، وغطت الحراشف جلده، وجمدني الذعر في مكاني.

انطلقت الصرخات تملأ المكان، وبدأ بعض أفراد الحاشية في الركض نحو الأبواب، فسحبت بدوري سيفي قاهر الظلام. حذق الحرس بذعر إلى كاردان، وكانت الأسلحة في أيديهم، ورأيت جريما موج وهي تسرع إلينا فوق المنصة.

وفي المكان الذي كان الملك السامي واقفًا فيه، ظهر ثعبان ضخم مغطى بحراشف سوداء، وله نابان معقوفان، وظهرت لمعة ذهبية امتدت عبر أنحاء الجسد الهائل. ونظرت إلى عينيه السوداوين على أمل أن أرى شيئًا منه، لكنهما كانتا باردتين وخاويتين.

صاح جريمسين الحداد: "إنه سيسمم الأرض، ولن توقفه قبلة الحب الحقيقي، ولا توجد أحجية لتعيده إلى حاله الأولى، فقط الموت".

أمسك مادوك بمقبض سيفه الضخم وهو ينوي اقتناص النصر من بين برائن ما كاد يُعتبر هزيمة محققة، وقال: "لم يعد هناك وجود لملك إلفهايم، سوف أقتل الثعبان وأحصل على العرش".

صرخت فيه وقد أسمع صراخي الحشود الموجودة في البلاط: "لقد نسيت نفسك". توقف الجان عن الركض، وحذق أفراد ممالك البلاط الأدنى إليّ، وكذلك أعضاء المجلس الاستشاري. هذا لا يشبه عملي كوكيلة للملك، ولا يشبه قيامي بالحكم إلى جواره، هذا أمر مروع، ولن يستمعوا أبدًا إليّ.

أخرج الشعبان لسانه المشقوق يتلمس به الهواء، شعرت بالذعر لكنني رفضت أن أظهر ما أشعر به من رعب، وقلت: "إلفهايم لها ملكة، وهي واقفة أمامكم. أيها الحرس، اقبضوا على مادوك واقبضوا على كل واحد من صحبته. لقد انتهكوا حق الضيافة في البلاط السامي، أريد وضعهم في السجن، وأريدهم موتى".

ضحك مادوك قائلاً: "حقًا يا جود؟ لقد انتهى التاج. لماذا يتعيّن عليهم طاعتك بينما يمكنهم ببساطة أن يتبعوني؟".

أجبتة: "لأنني ملكة إلفهايم، الملكة الشرعية، وقد اختارني الملك واختارتني الأرض"، وتهدج صوتي في هذا الجزء الأخير، ثم قلت: "وأنت لست سوى شخص خائن".

هل بدا كلامي مقنعًا؟ لا أعلم، ربما لم يبدو مقنعًا.

صعد راندالين إلى جوارى على المنصة وصاح يقول: "لقد سمعتموها، هيا ألقوا القبض عليهم"، وفاجأني كلامه تمامًا.

وبدا أن كلامه - أكثر من أي شيء آخر قد قلته - هو الذي جعل الفرسان يعودون إلى تنفيذ مهامهم. فاستلوا سيوفهم وتحركوا لمحاصرة صحبة مادوك.

ثم تحرك الشعبان بسرعة أكبر مما كنت أتوقع، وهبط من فوق المنصة باتجاه الحشود، وفرّق الجان الذين فروا نعرًا منه، وبدا كأن حجمه قد ازداد، وبرزت اللعة الذهبية على حراشفه أكثر. وأثناء زحفه تشققت الأرض وتفتت، كما لو كان جزء أساسي منها ينسحب إلى خارجها.

تراجع الفرسان، وسحب مادوك سيفه الضخم المغروس في الأرض فزحف الشعبان نحوه.

صرخ أوك: "أمي!"، وهو يركض عبر البلاط نحو أوريانا، بينما حاولت فيفي أن تمسك به، ونادته هيدر. لكن حوافر أوك كانت قد تحركت مسرعة، واستدارت أوريانا في رعب وهو

يندفع نحوها ونحو مسار الثعبان.

توقف أوك قبل أن يصل إليها وقد استوعب لغة جسدها التحذيرية، لكن كل ما فعله هو سحبه لمقبض سيفه الطفولي الموضوع في جانبه، السيف الذي أصررت على أن يتعلم المبارزة به في فترات العصر التي كان يقضيها في خمول في العالم الفاني. لقد أمسك أوك بالسيف عاليًا، وحال بين الثعبان ووالدته.

إن هذا خطئي أنا، كل هذا خطئي.

صرخت وأنا أقفز من فوق المنصة وأسرعت نحو أخي.

ضرب مادوك الثعبان بالسيف أثناء ارتفاع ذيله لكن الحراشف تسببت في انحراف الضربة، فهاجمه الثعبان وأسقطه أرضًا، ثم زحف بسرعة ليطارد فريسته الحقيقية: جريمسين.

التف الثعبان حول جسد الحداد الهارب، وغرس نابيه في ظهره، فصدرت صرخة جريمسين مدوية وحادة لتملأ المكان وهو يسقط جثة ذابلة. وفي لحظات، أصبحت الجثة كالقشرة كأن سم الثعبان قد تغذى على جسده من الداخل.

وتساءلت هل ساوره الخوف على نفسه عندما قام بمثل هذه اللعنة.

عندما نظرت إلى القاعة رأيتها شبه خاوية، فلقد تراجع الفرسان وبات أفراد الرماة لدى القبلة ظاهرين للعيان عاليًا فوق الجدران وأوتار أقواسهم مشدودة، كانت جريما موج قد جاءت لكي تقف إلى جوارتي، وسيفها مرفوع وجاهز للضرب، بينما كان مادوك يترنح لكي يقف على قدميه، وبدا أن القدم التي زحف الثعبان فوقها قد تضررت ولا تستطيع حمله. أمسكتُ بكتفي أوريانا ودفعتها إلى حيث تقف فاند، ثم وقفت بين أوك والثعبان.

صحت في أوك وأنا أشير إلى والدته وأقول: "اذهب معها، وأوصلها إلى مكان آمن".

نظر أوك إليّ واغرورقت عيناه بالدموع، وارتعشت يده الممسكة بالسيف والقابضة عليه بقوة أكثر من اللازم.

قلت له: "لقد كنت شجاعاً جداً، وعليك أن تتحلى بالشجاعة لفترة أطول قليلاً".

أوماً برأسه بالإيجاب وبنظرة معذبة نظر إلى مادوك، ثم أسرع خلف والدته.

استدار الثعبان وأخذ يُخرج لسانه ويُدخله أمامي، الثعبان الذي كان كاردان قبل قليل.

صاح مادوك وهو يعرج: "تريدين أن تصيري ملكة الجان يا جود؟ إذن اقتليه، اقتلي الوحش، دعينا نشهد ما إذا كنتِ تملكين الشجاعة لفعل ما يجب فعله أم لا".

قالت فاند في رجاء وهي تحثني للتحرك نحو أحد المخارج، بينما يتحرك الثعبان باتجاه المنصة: "تعالِي يا مولاتي"، أخرج الثعبان لسانه المشقوق ثانية يتلمس الهواء، وقد تملكني الخوف والذعر سريعاً وخفت من أن يبتلعني.

وعندما لف الثعبان جسده حول بقايا العرش المحطمة تركت فاند تأخذني نحو المخرج، وبمجرد خروج بقية الجان أمرت بإغلاق المكان خلفنا ووضع القضبان عليه من الخارج.

الفصل 23

خارج قاعة العرش، كان الكل يصيحون؛ أعضاء المجلس الاستشاري يصيح بعضهم في بعض، وكبار القادة والفرسان يصيحون في محاولة تأمين أماكن كل فرد، وهناك أشخاص يبكون، بينما يمسك أفراد الحاشية بعضهم بأيدي بعض في محاولة لفهم ما رأوه. وحتى على هذه الأرض المليئة بالأحجيات واللعنات، وحيث يمكن استدعاء جزيرة بأكملها من أعماق البحر، لم يزل من النادر وجود تعويذة بمثل هذه الضخامة التي شهدناها.

خفق قلبي بشدة وسرعة، وغطى شعوري هذا على أي شيء آخر. كان الجان يطرحون عليّ الأسئلة، لكن بدا لي كأنهم بعيدون جدًا عني. كانت أفكارني ممتلئة بصورة عيني كاردان وهي تمتلئ باللون الأسود، ووقع صوته.

لقد قضيت معظم حياتي وقلبي مغلق، ولقد حرصت على إغلاقه جيدًا، حتى إنني كنت أتصرف كما لو أنني ليس لدي قلب على الإطلاق. حتى الآن، صحيح أنه صار قلبًا مهترئًا ومتكبرًا ونهبًا للأحقاد، لكنه ملك لكِ على أية حال.

وضعت جريما موج يدها على ظهري وهي تقول: "مولاتي، مولاتي، تعالي معي".

ومع لمستها، انتبهت إلى تواصل أصوات الصياح التي ظلت تتردد في المكان وكانت كما هي عالية ومروعة، وتفاجأت برؤية جنية القبعات الحمراء الوحشية وهي تقف أمامي في شجاعة، وتمسك بذراعي وتجذبني إلى إحدى الحجرات الخاصة.

ثم دمدت في غضب: "تمالكي نفسك".

تحركت وأنا على وشك السقوط مغشيًا عليّ، وكنت أضغط بإحدى يدي فوق قلبي كما لو كنت أحاول منعه من النفاذ إلى الخارج من بين ضلوعي.

وكان ثوبي ثقيلاً جداً لدرجة لا أكاد أستطيع التنفس معها.

كان هناك من يطرق على الباب. أعلم أن عليّ النهوض، وأحتاج إلى وضع خطة، ويجب أن أجيب عن أسئلتهم، وعليّ أن أصلح ما جرى، لكنني لا أستطيع.

لا أستطيع.

لا أستطيع حتى التفكير.

ربما كانت جريماً موج تشعر على الأرجح بالقلق، فلو كنت مكانها لأدركت حجم المسؤولية الملقاة على عاتقي، لأنني صرت الشخص المسئول ولشعرتُ أيضاً بالقلق، لكنني طمأنتها، وقلت: "سأكون بخير بعد دقيقة".

أجابتنني: "أعلم هذا".

لكن كيف يمكنني ذلك بينما ما زلت أرى الشعبان وهو يتحرك بجسمه الأسود عبر قاعة العرش، ما زلت أرى عينيه الميتين ونابيه المعقوفين؟

وصلت إلى المائدة، واستعنت بها لكي أستقيم في وقفتي، وقلت: "أريد أن أجد العراف الملكي".

قالت جريماً موج: "لا تتصرفي بسخف. إنك الملكة، وإذا كنتِ بحاجة إلى اللورد بافين، يمكن أن يأتي هو إليك، إنك الآن تحولين بين أي فرد من أفراد ممالك البلاط الأدنى ومنصب حاكم إلفهايم. لم يعد مادوك وحده الآن هو الذي يريد السلطة، بل قد يقرر أي فرد منهم أن قتلِك سيمثل وسيلة جيدة لإثبات أحقيته بتولي السلطة، وعليك أن تفرضي هيبتك".

كان رأسي يدور، لكن كان يتعين عليّ أن أتمالك نفسي، فقلت لها: "إنك محقة، أحتاج إلى شخص جديد لشغل منصب قائد الجيوش. هل تقبلين هذا المنصب؟".

بدا اندهاش جريما موج واضحا وهي تقول: "أنا؟ لكن ماذا عن يورن؟".

قلت لها: "إنه لا يملك الخبرة الكافية، كما أنني لا أفضله".

ذكّرتني قائلة: "لقد حاولتُ قتلكِ سابقًا".

أخذت نفسًا واهنًا وأجبتها: "إنك تصفين تقريبا بكلماتك هذه طبيعة كل علاقة مهمة في حياتي، ومن ناحية أخرى فأنا أفضلكِ جدًا".

جعلها كلامي تبتسم ابتسامة واسعة، وقالت: "إنن يتعين عليّ تولي العمل".

قلت لها: "تأكدي من معرفة مكان الثعبان طوال الوقت. أريد شخصًا يراقبه، وأريد أن أعرف على الفور إذا تحرك. ربما يمكننا تركه محاصرًا في قاعة العرش، إن الجدران سميقة والأبواب ثقيلة، وأرضيته هي الأرض، أريدك أن ترسلي في طلب القنبلة وفاند وأختي تارين ورسول يوصل لك الأخبار مباشرة".

اتضح أن فاند كانت تقف أمام الباب مباشرة، فأعطيت لها قائمة قصيرة جدًا بالأشخاص المسموح بدخولهم إليّ.

بمجرد خروج جريما موج أعطيت نفسي دقيقة أخرى آسى فيها على حالي، ثم أجبرت نفسي على التحرك السريع والتفكير فيما ينتظرني. لم يزل جيش مادوك محتشدًا حول الجزر، وعليّ أن أكتشف ما القوات التي غادرت، وما إذا كان هذا كافيًا له كي يخشى القيام بغزو صريح.

إن كردان قد انتهى. توقف عقلي بعدها، وتوجب عليّ أن أجبر نفسي على التفكير ثانية. إنني أرفض أن أقبل ألا يكون لكلمات تعويذة جريمسين حل إلا بعد أن أتحدث مع بافين. لا بد أن هناك ثغرة ما، لا بد من وجود مخرج ما، ولا بد من وجود وسيلة لفك التعويذة - وسيلة للإبقاء على حياة كردان.

ثم هناك معشر الجان الذين يتعين عليهم الاقتناع بأنني الملكة الشرعية لأرضهم.

بحلول الوقت الذي وصلت فيه القبلة إلى الغرفة بلثامها وردائها الأسود ذي القلنسوة، كنت قد أصبحت رابطة الجأش.

ومع ذلك عندما نظرت إحدانا إلى الأخرى، خطت نحوي من فورها واحتضنتني. وفكرت في الصرصور وفي كل اللعنات التي لم تتمكن من كسرهما، وللحظة احتضنتها بشدة.

ثم أفلتتها، وقلت لها: "أريد أن أعرف من لم يزل مخلصًا لي، ومَن مع مادوك، ومَن قرر أن يلعب لصالح نفسه".

أومأت برأسها بالإيجاب، وقالت: "حسنًا، سأعرف".

ثم قلت لها: "وإذا سمع أحد جواسيسك بخطط لاغتيالي، فلا حاجة تدعوهم للانتظار لإخباري بها، ولا أهتم بمدى غموض الخطط أو مدى خيانة أصحابها، بل أريد قتلهم جميعًا". ربما لا يفترض بي معالجة الأمور بهذه الطريقة، لكن كاردان ليس هنا لكي يوقفني، ولا أملك ترف الوقت أو التصرف برحمة.

قالت: "سيتم ذلك، وسأتيك بالأخبار الليلة".

عندما خرجت القبلة، دخلت تارين، ونظرت إليّ كما لو كانت تتوقع بشكل ما وجود الثعبان الضخم هنا أيضًا.

سألتها: "كيف حال أوك؟".

أجابت: "مع أوريانا، وهي لا تعلم ما إذا كانت سجيننة أم لا".

قلت لها: "لقد أظهرت لي حسن ضيافتها في معسكر الشمال، وأنا أنوي أن أurd معروفها".
الآن ومع تراجع إحساسي بالصدمة، وجدت نفسي غاضبة - من مادوك ومن أوريانا ومن

إفهايم ككل، لكن هذا أيضًا يمثل إلهاء لي، لهذا قلت لها: "أحتاج إلى مساعدتك".

سألت تارين باندهاش: "مساعدتي أنا؟".

أجبتها: "لقد كنتِ تختارين ثيابي أثناء شغلي منصب وكيلة الملك لكي تجعليني أبدو جديرة بالمنصب. لقد رأيتُ منزل لوك ومدى ما حل به من تغيير، هل يمكنكِ تصميم قاعة للعرش تناسبني؟ وربما تجدين لي ملابس لائقة لكي أرتديها في الأيام القليلة القادمة. لا يهمني من أين تأتي هذه الملابس، ما دامت تجعلني أبدو بمظهر الملكة الحاكمة لأرض الجان".

أخذت تارين نفسًا عميقًا، وقالت: "حسنًا، أنا قادرة على ذلك، وسأجعلك تبدين في صورة جيدة".

قلت لها: "يجب أن أبدو بصورة جيدة جدًّا".

عندها ابتسمت لي تارين ابتسامة حقيقية، وقالت: "أنا لا أفهم كيف تفعلين هذا، لا أفهم كيف يمكنكِ أن تكوني بهذا الهدوء الشديد".

لم أدر بمَ أجيبها، فأنا لا أشعر بأي هدوء على الإطلاق، بل تعتريني عاصفة من الانفعالات، وكل ما أريد فعله هو أن أصرخ.

ثم ارتفع صوت خبطة أخرى على الباب، وفتحت فاند الباب وهي تقول: "عفوا، لكن اللورد بافين هنا، وقد أمرت برؤيته على الفور".

قالت لي تارين تطمئنني وهي تمضي: "سأجد لكِ مكانًا أنسب لاستقبال زوارك".

ثم قالت فاند: "كما أن عضو المجلس يريد وجود بعض الحضور، ويود هؤلاء أن يدخلوا برفقة اللورد بافين، ويدعون أنه لا يوجد شيء مما يعلمه ينبغي كتمانهم".

قلت: "لا، بل هو فقط".

وبعد لحظات قليلة دخل بافين، وكان يرتدي رداءً طويلًا باللون الأزرق الذي تخف درجته قليلاً عن لون شعره، وعلى رأسه قبعة برونزية. لقد كان العرّاف الملكي واحدًا من الأعضاء القليلين في المجلس ممن أكن لهم الإعجاب، وأظن أنه كان معجبًا بي بدوره، لكنني الآن صرْتُ أنظر إليه بارتياب.

شرع بافين يقول: "في الحقيقة لا يوجد شيء...".

لكنني قاطعته قائلة: "أريد أن أعرف كل شيء عن النبوءة التي قتلها عندما وُلِدَ كاردان، أريدك أن تقولها لي بالتفصيل".

نظر إليّ ببعض الاندهاش؛ فبالنسبة لأعضاء المجلس كنت أتصرف بمراعاة واحترام للقواعد بصفتي وكيلة الملك، أما الآن وبصفتي الملكة السامية، فإن صدمتي شديدة إلى الحد الذي لا يتيح لي استعراض سلطاتي.

تغيرت ملامح اللورد بافين، وقال: "لم يكن من السهل عليّ قط أن أنقل الأنباء التعسة إلى الملك السامي إلدريد، ومع هذا فقد كانت السيدة آشا هي التي أخافتني برد فعلها، فقد نظرت إليّ بكره كدت أشعر بحرقته. أظن أنها اعتقدت أنني كنت أبالغ فيما أقول لكي أنفذ مكيدة خاصة بي".

قلت بنبرة جافة: "يبدو واضحًا الآن أنك لم تفعل، هيا أخبرني".

سعل وقال: "هناك جزآن: سيكون سببًا لدمار التاج وتخريب العرش، و فقط بعد أن تسيل دماؤه، سينهض إلى الناس حاكم عظيم".

إن الجزء الثاني أسوأ من الأول. ولوهلة ترددت الكلمات في أذني.

سألته: "هل قلت هذه النبوءة للأمير كاردان؟ هل يعلمها مادوك؟".

قال اللورد بافين: "ربما سمعها الملك السامي من والدته، حيث افترضت - أو لنقل اعتقدت أن الأمير كاردان لن يصل أبدًا إلى السلطة. ثم عندما وصل إليها، افترضت مجددًا أنه سيصبح ملكًا ساميًا سيئًا وسيتم قتله، وكنت أعتقد أن مصيره محتوم. أما بالنسبة إلى مادوك، فلا أعلم ما إذا كان قد سمع بأي جزء من النبوءة".

سألته بنبرة صوت مضطربة: "هل هناك سبيل لفك التعويذة؟ قبل أن يموت، قال جريمسين: لن توقفه قبله الحب الحقيقي، ولا توجد أحجية تعيده إلى حاله الأولى، فقط الموت. لكن هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا، لقد كنت أعتقد أن نبوءة ميلاده ستقدم الحل، لكن..."، لم أستطع إكمال عبارتي، فقد كان الحل موجودًا بها، لكنه حل لا أريد أن أسمع.

شرع بافين يقول: "إذا كانت هناك وسيلة لعكس هذا... هذا التحول، فأنا لا أعرفها".

ضمت يديّ معًا، وغرست أظفاري في جلدي، وغمرني الشعور بالذعر، ما أصابني بالدوار، ثم قلت: "لا يوجد شيء آخر كشفت عنه النجوم؟ لا توجد تفصيلاً أخرى لم ننتبه إليها؟".

أجاب: "أخشى أنه لا يوجد شيء".

سألته: "هل يمكنك أن تنظر إلى خرائط النجوم ثانية، عد إليها وانظر ما إذا كان هناك شيء قد أغفلته في المرة الأولى، تطلع إلى السماء وانظر إذا كان هناك حل جديد".

أومأ برأسه بالإيجاب، وقال: "حسنًا، إذا كانت تلك رغبتك يا جلالة الملكة"، وأوحت لهجته بأنه قد وافق على مثل هذه الأوامر عديمة الفائدة كثيرًا من قبل، والتي طلبها منه حكام سابقون.

لكنني لا أعبأ بتصرفي بصورة غير منطقية، فقلت: "نعم، قم بهذا".

سألني: "هل ستتحدثين مع مجلس المستشارين أولًا؟".

أدى تلكؤ بافين البسيط هذا في السعي للعثور على الحل إلى إثارة أعصابي، لكنني إذا كنت أريد أن يقبل الجان بي كملكة شرعية، فإنني بحاجة إلى دعم أعضاء المجلس الاستشاري، ولا يمكنني تجنبهم إلى الأبد.

هل هذا هو ما يعنيه الحكم؟ الابتعاد عن الأحداث، والبقاء فوق العرش أو في مجموعة من الغرف المحددة، والاعتماد على المعلومات التي تصلك من الآخرين؟ إن مادوك سوف يكره هذه الحال.

قلت له: "سأفعل".

عند الباب أخبرتني فاند بأن القاعة جاهزة لانتقالي إليها، وتعجبت من مدى سرعة ترتيب تارين للأمر.

سألته: "هل هناك أمر آخر؟".

أجابت: "جاء رسول من جريما موج، إن الملك - أقصد الثعبان - لم يعد في قاعة العرش. يبدو أنه خرج من خلال تصدع في الأرض أحدثه نصل مادوك. ... ولا أدري ما فائدة هذا، لكن الثلج يتساقط داخل قاعة العرش".

دب الفزع في نفسي، وتحسست مقبض سيفي قاهر الظلام. لقد أردت الخروج للبحث عنه وإيجاده، لكنني إذا فعلت - فماذا بعدها؟ كان الجواب أكثر وضوحًا مما أحتمل، فأغمضت عيني، وعندما فتحتهما ثانية شعرت كأنني أدور، ثم طلبت أن يتم نقلي إلى القاعة الجديدة للعرش.

كانت تارين عند المدخل تنتظرني لكي ترافقني إلى الداخل، لقد اختارت قاعة هائلة الحجم، وأزالت ما كان بها من أثاث، وهناك كان كرسي خشبي منحوت كبير يستقر فوق منصة مكسوة بالسجاد في مساحة خاوية، وكانت الشموع تتألق فوق الأرضيات، ورأيت

كيف سيساعدني اهتزاز الظلال على أن أبدو بمظهر مهيب - وربما كذلك يقلل هذا من مظهري البشري الفاني.

وقف اثنان من حرس كاردان القديم على جانبي الكرسي الخشبي، بينما كانت هناك خادمة بجناحي فراشة صغيرين جاثية فوق البساط.

قلت لأختي: "حسنًا فعلت".

ابتسمت تارين ابتسامة واسعة، وقالت: "تعالى هنا، أريد أن أرى الصورة كاملة".

جلستُ فوق الكرسي بظهر مشدود، ونظرت إلى ألسنة اللهب المتراقصة، فمحتني تارين إشارة بشرية تمامًا برفع إبهامها إلى الأعلى دلالة على استحسانها لما ترى.

قلت لها: "حسنًا، أنا مستعدة للاجتماع مع مجلس المستشارين".

أومأت فاند برأسها بالإيجاب، وذهبت لإحضار الأعضاء. وعندما انغلق الباب، رأيتها هي وتارين تتناقشان، لكن حينها كان يتعين عليّ تحويل انتباهي إلى راندالين وبقية الأعضاء الذين بدت وجوههم مكفهرة وهم يدخلون إلى القاعة.

فكرت بيني وبين نفسي في محاولة للإيمان بنفسي: إنكم لم تروا سوى أقل القليل مما يمكنني فعله.

قال راندالين: "يا صاحبة الجلالة"، وبدأت طريقة كلامه كأنه يتساءل ولا يقر بالواقع، لقد دعمني في قاعة العرش قبل قليل في خضم الأحداث المروعة، لكنني لست واثقة إلى متى سيستمر دعمه.

قلت لهم: "لقد عينتُ جريما موج لشغل منصب قائد الجيوش، لكنها لا تستطيع المجيء وتقديم نفسها في هذه اللحظة، لكننا على أية حال سنحصل منها على تقرير قريبًا".

ضغطت نيهوار على شفيتها النحيلتين الخضراوين، وكان جسدها الشبيه بحشرة السرعوف يهتز في قلق واضح، وسألته: "هل أنت واثقة بأن هذا قرار حكيم؟ ربما يجب علينا الانتظار حتى يستعيد الملك السامي هيئته السابقة قبل أن نصدر أية قرارات في مثل تلك الشؤون المهمة".

قال راندالين في حماس: "نعم"، ونظر إليّ كأنه ينتظر جوابًا بشأن كيفية فعلنا ذلك.

قال فالّا، كبير المهرجين، الذي كان يرتدي ثوبًا بدرجة من درجات اللون البنفسجي: "إن الملك الثعبان الأملس يحكم بلاطًا من الفئران اللطيفة".

تذكرت كلمات القنبلة ولم أجفل، ولم أحاول مناقشتهم، بل انتظرت، ودفعهم صمتي إلى السكوت، حتى فلا التزم الصمت.

قلت بقوة: "إن اللورد بافين لا يملك جوابًا بعد عن كيفية إعادة الملك السامي إلى حالته الطبيعية".

فاستدار الأعضاء الآخرون إليه.

فقط بعد أن تسيل دماؤه، سينهض إلى الناس حاكم عظيم.

أومأ بافين برأسه في موافقة، وقال: "أنا لا أعتقد، ولست متأكدًا مما إذا كان هذا ممكنًا".

بدأ نيهوار مندهشة، بل بدا ميكل أيضًا مأخوذًا بهذا النبأ.

حدق راندالين إلى وجهي كأنه يتهمني بشيء ما، كأن كل شيء قد انتهى وخسرنا.

أردت أن أقول بإصرار: هناك سبيل، هناك سبيل، أنا فقط لا أعرفه بعد.

لكن جاء صوت من ناحية الباب يقول: "لقد جئت لكي أقدم تقريري إلى الملكة"، وكان هذا صوت جريما موج.

ثم سارت إلى جوار أعضاء المجلس الاستشاري، وأومات برأسها فتفحصوها بعيونهم في شك.

قلت حسماً لموافقته المتردة: "سنستمع جميعاً إلى ما لديك".

أجابت: "حسن جداً، لقد تلقينا معلومات بأن مادوك ينوي الهجوم بعد يومين في وقت الفجر، وهو يأمل أن يفاجئنا بضربته دون أن نكون مستعدين لها، خاصة مع انضمام المزيد من حكام الممالك تحت رايته. لكن المشكلة الحقيقية تكمن في معرفة أعداد معشر الجان ممن يخططون للانتظار دون المشاركة لرؤية ما ستؤول إليه الأمور".

سأل راندالين في شك: "هل أنت واثقة من دقة هذه المعلومات؟ وكيف حصلت عليها؟".

أومات جريما موج برأسها بالإيجاب نحوي، وقالت: "بمعونة جواسيسها".

ردد بافين: "جواسيسها؟". ورأيت أنه يستوعب كيف كانت تصلني بعض المعلومات فيما سبق، وأنه توصل إلى استنتاجات جديدة عن كيفية حصولي عليها. وشعرت بالرضا لفكرة توقيفي عن التظاهر بعدم امتلاكي أية مصادر.

سألت جريما موج: "هل لديك أعداد كافية في الجيش لصد الهجوم؟".

أجابتنني في دبلوماسية: "لسنا واثقين تماماً من النصر، لكنه لا يستطيع بعد أن يتغلب علينا".

إن هذا وضع مختلف تماماً عما كان أمس، لكنه أفضل من لا شيء.

وأضافت تقول: "هناك اعتقاد ينتشر بسرعة كبيرة - أن الشخص الذي سيحكم إلفهايم هو الذي سيقتل الثعبان، وإن إراقة دماء واحد من سلالة جرينبريال سيكون أمرًا جيدًا بقدر سريان دماء تلك العائلة في عروق قاتل الثعبان.

قال ميكيل: "هذا اعتقاد مماثل جدًا لقناعات بلاط إنسيلي"، فتساءلت عما إذا كان يوافق على هذا الكلام أم لا، وتساءلت عما إذا كان هذا ما ينتظره مني.

قال فالأ كعادته في التساؤل بشكل هزلي وغامض: "إن الملك لديه رأس جميل، لكن هل يمكنه الاستغناء عنه؟".

سألت: "أين هو، أين الملك السامي؟".

أجابت: "لقد شوهده على شواطئ إنسير. وقد حاول أحد فرسان بلاط الإبر تجربة حظه في قتله، لكننا عثرنا على بقايا جسد الفارس منذ ساعة، ثم تتبعنا حركة الثعبان من هناك؛ فحيثما يذهب يترك آثارًا في صورة خطوط سوداء تظهر على الأرض، والمشكلة أن تلك الخطوط تنتشر فتطمس آثاره الفعلية وتخرّب الطرق وتسمم الأرض. وفي النهاية تتبعنا الثعبان وصولاً إلى القصر ثانية، يبدو أنه قد اتخذ قاعة العرش بيتًا له".

قال بافين: "إن الملك مرتبط بالأرض، وإن لعنّ الملك يعني لعن الأرض نفسها، ربما يوجد حل واحد يا جلالة الملكة لمعالجة...".

قلت لبافين ورائدالين وبقية أعضاء المجلس: "كفى" فأجفل الحرس، ثم وقفت، وقلت: "لقد انتهينا من هذه المناقشة".

شرع رائدالين يقول: "لكن علينا..."، ثم بدا أنه رأى في وجهي ما جعله يؤثر الصمت.

قالت نيهوار بصوتها الرقيق: "من المفترض أن نقدّم لك النصح، كما يُعتقد أننا نتسم بالحكمة".

سألتها: "حقًا؟"، خرج صوتي بنبرة خبيثة معسولة كالنبرة نفسها التي كان يستخدمها كاردان، خرج كأنني لا أملك سيطرة على فمي، ثم قلت: "لأن الحكمة يجب أن تحثكم على ألا تزيدوا من استيائي، إذ ربما قد تساعدكم الإقامة في برج النسيان على أن تتذكروا مكانتكم جيدًا".

فأصبحوا جميعًا هادئين جدًا.

كنت أتخيل أنني مختلفة عن مادوك، لكن نظرًا لما حدث، فإنني أتحول فعليًا إلى طاغية؛ حيث أهدد بدلًا من أن أقنع، وأتصرف باضطراب بدلًا من الثبات.

يناسبني أكثر العمل وراء الظلال، ويناسبني القتال بالسكين وإراقة الدم والانقلابات، ونطق الكلمات المسمومة ودس الكئوس المسمومة. لم أتوقع قط أن أرتقي عاليًا، وأصل إلى العرش، وأخشى أنني غير مناسبة على الإطلاق لهذه المهمة.



شعرت بأنه إلزام أكثر مما هو اختيار، وأنا أفتح بأصابعي الأقفال الثقيلة لأبواب قاعة العرش.

وإلى جوارِي كانت فاند تحاول إقناعي - ولم تكن تلك محاولتها الأولى لإقناعي - وتقول: "اسمحي لي على الأقل بأن...".

قاطعتها وأنا أقول: "ابقي هنا، ولا تتبعيني".

لم تقتنع تمامًا بكلامي لكنها رضخت وقالت: "مولاتي".

تسللت إلى القاعة الكبرى، وتركت العباءة تسقط من فوق كتفي.

كان الشعبان هناك ملتفًا حول بقايا العرش المدمر. لقد ازداد حجمه، وبدأ عرض جسده كأنه يستطيع ابتلاع حصان كامل إذا فتح فقط فكيه ذوي النابين. ولم تزل بعض المشاعل مضاءة وسط الطعام المنسكب والموائد المقلوبة التي تُظهر حراشفه السوداء، وهناك شيء قد انطفأ في لمعته الذهبية، ولا يسعني معرفة ما إذا كان هذا مرضًا أم تحولًا آخر. كانت هناك ندوب حديثة تمتد على جانبي جسده، كما لو كانت آثار سيف أو رمح. ومن داخل شقوق أرضية البلاط كان هناك بخار يخرج إلى القاعة وتنبعث منه رائحة حجارة متقدة. قلت بنبرة متسائلة: "كاردان؟"، وتقدمت عدة خطوات نحو المنصة.

تحول رأس الشعبان الضخم نحوي، ثم أرخى لفات جسده حول بقايا العرش في استعداد للافتراس. توقفت، لكنه لم يسع خلفي مع أن رأسه كان يتحرك إلى الأمام والخلف بانتباه لوجود تهديد وفرصة للافتراس في الوقت نفسه.

أجبرت نفسي على مواصلة السير خطوة تلو أخرى، وتبعني عينا الشعبان الذهبيتان باعتبارهما الجزء الوحيد - مع حدة مزاجه - الذي يبدو شبيهًا بكاردان.

لكن لعلي كبرت لأصبح شخصية أخرى، كملك سامٍ وحشي مثل داين. وإذا حدث هذا - إذا حققت تلك النبوءة - يجب إيقافني، وأعتقد أن بإمكانك إيقافني.

فكرت في الغرز في جانبي، وفي الزهور البيضاء التي برزت ذات يوم لي من بين الثلوج، وركزت على تلك الذكرى، وحاولت أن أستمد قوتي من قوة الأرض. إنه من ذرية الملكة ماب وهو الملك الشرعي، وأنا زوجته، وقد داويت نفسي من قبل، وبالتأكيد يمكنني أن أداويه.

ناشدت الأرضية الترايبية لقاعة العرش ومن ثم الأرض نفسها: "أرجوك، سأفعل ما تريدنيه أيًا كان، سأتحلّى عن التاج، سأعقد أية صفقة. فقط أرجوك أعيدني لي كما كان، ساعدني على أن أفك اللعنة وأكسر التعويذة".

رڪزٽ، ورڪزٽ في مناشداتي، لڪن لم يحدت أي شيء.

الفصل 24

وجدتني القنبلة في القاعة، وأنا أخرج من وراء الظلال في حركة رشيقة، ولم تكن ترتدي لثامها.

قالت في دهشة: "جود؟".

فأدركت مدى قربني من الثعبان. جلست على المنصة، ربما على مسافة متر منه، وكان قد اعتاد وجودي، حتى إنه أغلق عينيه الذهبيتين.

وتابعت وهي تقترب مني قدر استطاعتها: "إن أختيك قلقتان"، بينما ارتفع رأس الثعبان وأخرج لسانه المشقوق يتلمس الهواء، فسكنت القنبلة تمامًا.

أجبتها: "أنا بخير، أحتاج فقط للتفكير".

لن توقفه قبلة الحب الحقيقي، ولا توجد أحجية تعيده إلى حالته الأولى، فقط الموت.

رمقت "القنبلة" الثعبان بنظرة من يقيم ردود فعله، وسألتنني: "هل يعرفك؟".

أجبتها: "لا أعرف، لكن يبدو أنه لا يمانع في وجودي هنا. لقد كنت أخبره دائمًا بأنه لا يمكنه أن يلزمني بوعودي".

إن أصعب شيء - الشيء المستحيل - هو تجاوز ذكرى كاردان وهو يخبرني بأنه يحبني. لقد قال لي هذه الكلمات ولم أجه، لقد ظننت أن لدينا وقتًا، وكنت سعيدة - على الرغم من كل شيء - كنت سعيدة، قبل أن يسوء كل شيء. لقد انتصرنا، وكان كل شيء سيسير على ما يرام، والأهم أنه كان يحبني.

قالت القنبلة: "هناك بعض الأمور التي عليك معرفتها، أعتقد أن جريما موج قد قدمت لك تقريرًا عن تحركات مادوك".

أجبتها: "نعم فعلت".

فاستطردت: "لقد ألقينا القبض على عدد قليل من أفراد الحاشية وهم يفكرون في اغتيال الملكة الفانية"، ثم ظهرت ابتسامة على شفيتها وهي تكمل قائلة: "وقد قضينا عليهم مثلما نسفنا خططهم".

لم أعرف ما إذا كان يتعين عليّ الفرح أم لا، لكن هذا النبأ أشعرنى لحظتها بالإنهاك.

قالت: "لقد جمع الشبح معلومات عن إخلاص حكام الممالك لك كل على حدة، ويمكننا فحصها، لكن الأمر المثير للاهتمام هو ورود رسالة من والدك، يطلب فيها ضمانة بإمكانية قدومه هو والسيدة نور واللورد جاريل إلى القصر لعقد معاهدة معك".

هبطت من فوق المنصة، بينما تتبعتنى عينا الثعبان، وسألته: "يريدون القدوم إلى هنا؟ لماذا؟ ألم تكن نتائج تفاوضهم الأخير مرضية لهم؟".

أجابت بصوت جاف ذكرني بمدى كراهيتها حكام بلاط الأنبياب، ومدى استحقاقتهم تلك الكراهية: "لا أعلم، لكن مادوك طلب رؤيتك أنت وأخيك وأختيك، بالإضافة إلى زوجته".

قلت: "حسن جدًا، دعيه يأت بصحبة السيدة نور واللورد جاريل، لكن أخبريه ألا يحضر معه سلاحًا إلى الفهايم. إنه لن يأتي إلى هنا كضيف، ولن أعطيه سوى كلمتي بأنه لن يصيبه مكروه، ولن يتلقى ضيافة في بيتي".

سألت القنبلة في أمل: "وماذا ستكون قيمة كلمتك؟".

أجبتها: "سنعرف عما قريب"، ثم نظرت ثانية إلى الثعبان، وكانت الأرض من تحته قد اسودت بلون مماثل تقريبًا لحراشفه.



بعد تبادل العديد من الرسائل، تحدد أن مادوك ورفاقه سيأتون وقت الغسق، وقد رتبت لاستقبالهم خارج القصر، فلم أكن أنوي السماح لهم بدخوله ثانية. ووضعت جريماً موج فرساً في نصف دائرة حولنا لحمايتنا، مع وجود الرماة فوق الأشجار، وجلبت القنبلة جواسيس تواروا في أماكن عالية ومنخفضة وكان من ضمنهم الشبح الذي أغلق أذنيه بالشمع اللدن.

وتم إخراج كرسي العرش المنحوت إلى الخارج مع وضعه فوق منصة جديدة عالية، ومن أسفله كانت توجد وسائد ليجلس عليها أخي وأختاي - وأوريانا إذا أرادت أن تجلس معنا. لم يكن هناك مائدة لوليمة، بل كان التنازل الوحيد الذي قدمناه لهم هو مد بساط لهم فوق الأرض الطينية. وكانت المشاعل مضاءة على الجانبين، لكن هذا كان لضعف بصري البشري وليس من أجلهم.

بدأت العواصف تتجمع في السماء فوقنا، وأخذت السحب تصدر البرق، وقد وردت الأنباء في وقت سابق بتساقط برد كبير بحجم ثمار التفاح على جزيرة إنسويل.

لا تشهد إلفهايم طقساً مثل هذا في المعتاد، ولا يسعني سوى افتراض أن كاردان في صورته المتحولة قد لعن الطقس أيضاً.

جلست في الكرسي المنحوت، ورتبت ردائي بطريقة كنت أمل أن تبدو ملكية، وأزلت التراب عن حاشية الرداء.

قالت القنبلة وهي تشير إليّ: "هناك منطقة لم تُنظف يا جلالة الملكة".

كانت قد اتخذت مكانها إلى يمين المنصة، فقامت بتنظيف الحاشية ثانية، ثم ابتسمت حينما جاء أخي ومعه أختاي. وعندما وضعت القبلة لثامها ثانية، بدا كأنها قد توارت تمامًا خلف الظلال.

في المرة الأخيرة التي رأيت فيها أوك، كان قد استل سيفه الصغير من غمده لمواجهة الثعبان، وكان الرعب باديًا على وجهه، وأنا سعيدة لاستبدال تلك الذكرى، وأن أضع مكانها صورته الآن، وهو يندفع نحوي مبتسمًا.

صاح يناديني وهو يتسلق المنصة ويصعد إلى حجري، ما أفسد المجهود الذي بذلته في الترتيب المتأنى لردائي، وقد خبط كتفي بقرنيه وهو يقول: "لقد كنت أوضح لأوريانا ما هو لوح التزلج، وإنها ترى أنه يجب عليّ عدم اللعب به".

نظرت وأنا أتوقع أن أراها، لكنني لم أر سوى فيفي وتارين، وقد ارتدت فيفي سرورًا من الجينز وسترة مزركشة وبلوزة بيضاء منفوشة، في مزيج ما بين أسلوب البشري والجان في الملابس. وارتدت تارين ثوبًا كنت قد رأيتها مزركشًا بأشكال حيوانات الغابة التي كانت تظهر من على مسافة من خلف أوراق الشجر، بينما كان أوك يرتدي معطفًا كحليًا صغيرًا، وفوق جبينه رسم أحدهم تاجًا ذهبيًا لتذكيرنا جميعًا بأنه قد يكون آخر فرد من ذرية جرينبريال.

قلت لأوك: "أنا أحتاج إلى مساعدتك، لكن الأمر سيكون صعبًا ومزعجًا جدًا".

سألني وهو ينظر بشيء من الشك: "ماذا يمكنني أن أفعل؟".

أجبت: "يجب أن يبدو عليك أنك منتبه لما يقال، لكن ابق هادئًا بغض النظر عما أقوله، وبغض النظر عما يقوله والدنا، وبغض النظر عما يحدث".

احتج قائلاً: "لكن هذه ليست مساعدة".

أجبتة في إصرار: "بل ستكون مساعدة كبيرة جدًا".

وبتنهيدة متوترة انزلق من فوق حجري، وجلس في مكانه على الوسائد.

سألت فيفي: "أين هيذر؟".

قالت بنظرة يبدو عليها الشعور بالذنب: "إنها في المكتبة"، وتساءلت عما إذا كانت تعتقد أنه يتعين على هيذر العودة إلى العالم الفاني، وأن أنانية فيفي هي فقط ما يبقيها هنا، دون أن تدري أن كليهما تأمل في البقاء، ثم قالت: "إنها تقول إننا فيما يبدو لها نعيش أحداثًا تشبه فيلمًا سينمائيًا، وأن شخصًا سيعثر على قصيدة تتحدث عن الثعابين الملعونة، وأن هذا سيمدنا بالحل الذي نحتاج له، ولهذا ذهبت لكي تبحث عنها. ولا يعلم مسئولو الأرشيف ماذا يفعلون معها".

قلت: "إنها تتأقلم جيدًا مع الحياة في أرض الجان".

تنهدت فيفي وابتسمت ابتسامة حزينة.

ثم وصلت أوريانا ومعها جريما موج، وقد وقفت الأخيرة في مكان موازٍ ومقابل للقنبل، ومثلي لم تنزل أوريانا ترتدي الرداء نفسه الذي كانت ترتديه في قاعة العرش، وعندما تطلعت إلى غروب الشمس أدركت أن يومًا كاملًا قد مر منذ الأحداث التي مرت. لست متأكدة كم من الوقت بقيت جالسة مع الثعبان، لكن يبدو أنني لم أنتبه إلى مرور الوقت، يبدو كأن دهرًا كاملًا قد مر منذ إصابة كاردان باللعنة، وفي الوقت نفسه يتراءى لي أنه لم يمضِ أي وقت على الإطلاق.

قالت فاند: "لقد وصلوا" وأسرعت لتقف إلى جوار القنبل، وتعالَت أصوات وقع أقدام حوافر كأنها الرعد، فقد جاء مادوك وهو على صهوة ظبي، ولم يكن يرتدي درعه المعتادة، بل ارتدى سترة مخملية باللون الكحلي. وعندما ترجل من فوق الظبي، لاحظت أن به عرجًا واضحًا نتج عن زحف الثعبان فوق قدمه.

ومن خلفه جاءت عربة جليدية تجرها خيول أرض الجان كأنها صنعت من بلور أخذ من أمواج مجمدة. وخرج منها حكام بلاط الأنبياب، ثم ذابت العربة وخيولها من فورها!

كانت السيدة نور واللورد جاريل يرتديان فراء من اللون الأبيض، مع أن الطقس لم يكن بهذه البرودة، ومن خلفهما جاءت الملكة سورين و خادم واحد يحمل صندوقًا صغيرًا منحوتًا من الفضة. ومع أن الملكة هي الحاكمة، لكنها كانت ترتدي سترة بيضاء بسيطة فحسب، وتمت خياطة التاج الذهبي فوق جبهتها، مع وجود سلسلة رفيعة من الذهب تخترق جلد معصمها وتعمل بمثابة رسن جديد يلجمها، مع قضيب على أحد جانبيها لمنع السلسلة من الانفلات.

كما غطت وجهها ندوب جديدة من أثر اللجام الذي كانت ترتديه عندما رأيتها في آخر مرة. حاولت ألا أظهر على وجهي أية تعبيرات، لكن المنظر المروع كان من الصعب تجاهله.

سبق مادوك الآخرين، وابتسم لنا كما لو كنا جالسين تأهبًا لأخذ صورة عائلية سينضم إليها.

نظر أوك وشحب وجهه عندما رأى رسن الملكة سورين وهو يخترق جلدها، ثم نظر إلى مادوك كما لو كان ينتظر تفسيرًا.

لكن شيئًا لم يُقل.

سألت رفاق مادوك: "هل تريدون وسائل لكم، يمكنني طلب إحضارها".

نظر اللورد جاريل والسيدة نور إلى الحديقة والفرسان والقنبلة بوجهها المثلثم وجريما موج وعائلتي. بينما قطب أوك جبينه واستلقى فوق الوسادة على وجهه بدلًا من أن يظل جالسًا، وأردت وقتها أن أركله بقدمي لوقاحته، لكن ربما تكون تلك لحظة مناسبة لإظهار وقاحته، فلا يمكنني أن أدع حكام بلاط الأنبياب يعتقدون أنهم يحظون باهتمامنا واحترامنا إلى حد كبير، أما بالنسبة إلى مادوك فإنه يعرفنا جيدًا.

قالت السيدة نور وهي تلوي شفيتها امتعاضاً: "سنقف".

إن من الصعب الجلوس بطريقة لائقة فوق الوسائد، كما أن جلوسهم سيتطلب خفض هاماتهم بدرجة كبيرة مقارنة بي، لذا كان من الطبيعي جداً أن ترفض عرضي.

فكرت في كاردان وطريقة وضعه للتاج بصورة مائلة فوق رأسه، والطريقة التي كان يتكئ بها على العرش وجعلت من الصعب التنبؤ بأفعاله وذكّرت الجميع بسلطانه الذي كان يتيح له سن القوانين. ولقد عقدت العزم على محاولة الاحتذاء به قدر المستطاع، بما في ذلك إزعاج الآخرين، ولو فيما يتعلق بمجرد الجلوس.

قلت: "إنك جرىء لمجيئك إلى هنا".

أجاب مادوك: "من بين كل الناس عليك أن تحملي تقديراً خاصاً لهذه الجراءة"، ثم انتقل بصره إلى فيفي وتارين وعاد إليّ ثانية، وواصل يقول: "لقد فُجعت فيك، لقد ظننت حقاً أنك مت".

قلت له: "أنا مندهشة أنك لم تبلل قبعتك بدمائي"، كانت جريماً موج تقف إلى جواربي، وقد رفعت حاجبيها دهشةً.

فقال: "لا يمكنني أن ألومك على غضبك، لكننا ظل كل منا غاضباً من الآخر لفترة أطول من اللازم يا جود. إنك لست بالحماقة التي ظننتها، وبالنسبة لي أنا لا أريد إيذاءك، إنك الملكة السامية لأرض الجان وأياً كان ما فعلته للوصول إلى تلك المكانة، فلا يسعني سوى أن أشيد بك".

ربما لا يريد إيذائي، لكن هذا لا يعني أنه لن يفعل.

قالت تارين: "إنها بالفعل الملكة، والسبب الوحيد لنجاتها وسط الجليد أن الأرض قد داوتها".

سرى همس حولنا من الجان المحيطين، ونظرت السيدة نور إليّ باشمئزاز واضح، ولاحظت أنها لم تقم هي أو زوجها بالانحناء لي وكذلك لم تخاطبني بلقبي، لا بد أن رؤيتها لي فوق هذا الكرسي المحاكي للعرش تثير حنقها، ولا بد أنها تكره فكرة حقي في المطالبة بالعرش.

قال مادوك: "من الطبيعي للطفل والطفلة أن يحققا ما لا يستطيع الوالد سوى الحلم به"، ثم نظر إلى أوريانا وقد ضاقت عيناه وواصل يقول: "لكن دعينا نتذكر أن جل هذا الخلاف العائلي نتج عن محاولتي وضع أوك على العرش. كنت سأغدو سعيدًا دومًا بتولي الحكم من خلال أحد أطفالي، كما لو كنت أنا الحاكم".

اشتعل غضب حارق داخلي، وقلت له: "والويل بالطبع لهؤلاء الأطفال إذا لم تسيّرهم كما تشاء".

لتغيير دفة الحديث قال: "دعينا نفكر في تحرك التالي أيتها الملكة السامية جود. عند اشتباك جيشك بقيادة القائدة العليا الجديدة لجيوشك مع جيشي، وبدء معركة عظمى ربما تنتصرين فيها فيتقهقر جيشي ونعود إلى منطقة الشمال لوضع خطط جديدة لمعاودة الهجوم، أو ربما أموت.

"ثم ماذا؟ لم يزل هناك ملك ثعبان يجب مواجهته، حراشفه أقسى من أشد الدروع قوة، وسمومه تتسرب في الأرض. إنك كائن فانٍ، وقد انتهى التاج الدامي الذي يجعل معشر الجان في إلهاهيم مرتبطين بحكمك لهم، وحتى إذا كان هناك تاج، فلن يمكنك ارتداؤه. فقد قامت السيدة آشا بالفعل بجمع دائرة حولها من أفراد الحاشية الملكية والفرسان، وكلهم يخبرونها بأن عليها أن تكون وصية على العرش باعتبارها والدة كاردان حتى يعود إلى طبيعته. وستظلين تصدين محاولات اغتيالك ومحاولات ادعاء الأحقية في العرش طوال فترة حكمك".

ألقيت نظرة على القنبلة التي لم تذكر شيئًا عن السيدة آشا في قائمة الأمور التي كنت بحاجة إلى معرفتها. أوامات القنبلة إيحاءة خفيفة دلالة على إقرارها بالتقصير.

إنها صورة قاتمة، لكن لا يوجد بها أي زيف.

قالت فيفي وهي تجلس منتصبة على الوسائد دون أي دعم لظهرها سوى رغبتها في الجلوس منتصبة: "إذن ربما تفضل أن تترك جود منصبها أو تتخلى عن العرش أو أيًا كان المسمى".

أجاب مادوك: "إنها لن تفعل، إنك دائمًا ما تفهمين فقط نصف ما تنويه جود. ولأنك إذا فهمت ما تقصده بالضبط، ما استطعت الاستمرار في التظاهر بأن هناك دومًا إجابات سهلة لكل شيء، لقد جعلت جود من نفسها هدفًا كي لا يصير أخوها هو الهدف".

ردت عليه فيفي: "لا تلقِ علينا محاضرة. إن كل هذا خطأك أنت؛ تعريض أوك للخطر، وإصابة كاردان باللعنة، ووضع جود على حافة الموت".

قال مادوك: "وأنا هنا لكي أصحح الخطأ".

تفحصت وجهه، وأنا أتذكر طريقته في إخباري - عندما كان يعتقد أنني تارين - أنه إذا كان يؤلمها قتلها لزوجها، فيمكنها أن تلقي بهذا العبء عليه. لعله يرى ما يفعله الآن كأمر مشابه، لكنني لا أستطيع الموافقة.

تراجع اللورد جارييل خطوة إلى الوراء، وقال: "هذا الطفل الموجود عند قدميك هو الحاكم الشرعي لذرية جرينبريال، أليس كذلك؟".

أجبتة: "نعم، سيصير أوك الملك السامي في يوم من الأيام".

ولحسن الحظ، في هذه المرة لم يعارضني أخي.

أومأت السيدة نور برأسها بالإيجاب، وقالت: "إنك فانية، ولن تبقي طويلًا".

قررت ألا أجادلها، فهنا في أرض الجان يستطيع البشر الفانون أن يبقوا شبابًا، لكنّ تلك السنين ستظهر آثارها عليهم بمجرد أن تطأ أقدامهم العالم الفاني. وحتى إذا كان بإمكانني تجنب هذا، فقد كانت حجة مادوك مقنعة؛ إن فترة حكمي للعرش لن تكون سهلة دون كاردان. قلت لها بتنهيدة لم أحتج إلى التظاهر بها: "هذا ما تعنيه كلمة مخلوق فان؛ إننا نموت، فكري فينا باعتبارنا شهبًا قصيرة الأجل لكنها مضيئة".

قالت: "هذا وصف شاعري وقَدَري. حسن جدًّا، يبدو أن باستطاعتك التفكير بعقلانية. إن مادوك يرغب في أن نعرض عليك عرضًا، إننا نمتلك الوسيلة اللازمة للسيطرة على الشعبان، زوجك".

شعرت بالدماء تندفع خلف أذني، وقلت: "السيطرة عليه؟".

ابتسم اللورد جاريل ابتسامة يملؤها التهديد، وقال: "كما قد تفعلين مع أي حيوان، إن لدينا لجامًا سحريًا من صنع جريمسين لنلجم به أي شيء. وفي الحقيقة، سيتناسب مع هذا المخلوق المراد تقييده. والآن بعد أن لم يعد هناك وجود لجريمسين، فإن مثل هذا الغرض أصبح أعلى قيمة أكثر من أي وقت مضى".

اتجه بصري إلى سورين وندوبها. هل كان هو اللجام الذي كانت ترتديه؟ هل خلعه منها لكي يعطوه لي؟

استرسلت السيدة نور في الموضوع الذي تحدث فيه زوجها، وقالت: "إن الأشرطة ستنغرس ببطء في جلده، وسيظل كاردان لك إلى الأبد".

لم أكن واثقة مما تعنيه بأنه لي؟ إنه مصاب بلعنة.

وواصلت تقول: "ومن غير المحتمل أن يتغير وضعه، إذا ما صدقنا كلمات جريمسين. لكنه إذا عاد بشكل ما إلى هيئته السابقة، فسيبقى دائمًا تحت سيطرتك. أليس هذا أمرًا مبهجًا؟".

أمسكت لساني لأتجنب الرد عليها، ثم قلت وأنا أنقل نظري منها إلى مادوك: "هذا عرض غير عادي، وبهذا أعني أنه يبدو كخدعة".

قال مادوك: "نعم، أفهم ذلك. لكن بهذا يحصل كل منا على مراده؛ يا جود ستصيرين الملكة السامية قدر ما تريدين، ومع تقييد الشعبان يمكنك أن تحكمي دون معارضة، ويا تارين ستصبحين أخت الملكة وتعودين إلى طيب العيش في البلاط، ولا يمكن لأحد منعك من المطالبة بأرض لوك وضيعته. وربما يمكن لأختك أن تمنحك لقبًا".

قلت له: "من يدري"، وكان هذا يعني أنني قريبة بدرجة خطيرة من الانجذاب إلى الصورة التي يرسمها مادوك.

وتابع مادوك يقول: "وأنت يا فيفيان، ستتمكنين من العودة إلى العالم الفاني، وستمرحين كما تشائين دون أي تدخل من العائلة. ويمكن أن يعود أوك للعيش مع أمه ثانية"، كان ينظر إليّ بانفعال كأنه في معركة، ثم واصل يقول: "ستخلص من مجلس المستشارين وسأتولى مهامهم، وسأرشدك يا جود".

ألقيت نظرة على حكام بلاط الأنياب، وسألت: "وما الذي سيحصلون عليه؟".

ابتسم اللورد جاريل وقال: "لقد وافق مادوك على تزويج أخيك أوك بابنتنا الملكة الصغيرة، وعندما يعتلي العرش ستعتليه معه عروسه".

سأل أوك بانفعال: "جود...؟"، بينما أمسكت أوريانا بيده وضغطت عليها بإحكام.

قالت فيفي: "لا يمكنك أن تكون جادًا، يجب ألا تكون لأوك أية علاقة بهؤلاء الأشخاص ولا بابنتهم المخيفة".

وجّه اللورد جاريل إليها نظرة غاضبة تحمل الازدراء، وقال: "إنك يا ابنة مادوك الوحيدة من صلبه الشخص الأقل شأنًا هنا، لا بد أنك تمثلين خيبة أمل كبرى له".

رمقته فيفي بنظرة تنم عن ازدراء مماثل.

ثم وقعت عيناى على الملكة الصغيرة وأنا أتفحص وجهها الشاحب، وعينيها الخاويتين بشكل غريب، ومع أننا كنا نناقش مصيرها لكن لم يبدُ عليها الاهتمام، ولا يبدو لي أنها تتلقى أية معاملة جيدة، ولا أتخيل ربط مصيرها بمصير أخي.

قال مادوك: "الرجى مسألة زواج أوك الآن، هل تريدان اللجام يا جود؟".

إن فكرة ربط كاردان بي في حالة طاعة أبدية هي فكرة وحشية، إن ما أريده هو أن يعود إليّ، ويقف إلى جوارى، ويضحك على كل هذا. وكنت سأرضى بأسوأ هيئة له وأقساها وأمكرها، فقط لو كان ممكناً أن يعود إلى هنا.

فكرت في كلمات كاردان في قاعة العرش، قبل أن يحطم التاج: إن الإخلاص والحب يجب عدم فرضهما.

لقد كان محقاً، بالطبع كان محقاً، ومع هذا فأنا أريد اللجام، أريده بشدة. وأستطيع أن أتخيل نفسي على عرش تم بناؤه ثانية من أجلي وإلى جانبي الشعبان المخدر كرمز لسلطاني وتذكير بحبي، ولن يكون قد ضاع مني بشكل كامل في هذه الحالة.

إنها صورة مروعة ومقنعة في الوقت نفسه.

على الأقل سيبقى لديّ أمل، وعلى أية حال ما البديل؟ خوض حرب والتضحية بحياة شعبي؟ مطاردة الشعبان والتخلي عن أية فرصة في إرجاع كاردان؟ وفي مقابل ماذا؟ لقد تعبت من القتال.

فلأترك مادوك يحكم من خلالي، لأتركه يحاول على الأقل.

سألتهم: "هل تقسمون لي على أن اللجام ليس له تأثير آخر؟".

أجابت السيدة نور: "نعم، إنه فقط يتيح لك التحكم في المخلوق الذي يرتديه إذا قلت الكلمات الآمرة. وبمجرد اتفاقك على شروطنا، سنخبرك بها".

أشار اللورد جارييل إلى خادمه الذي أخرج اللجام من الصندوق وألقاه أمامي، وكان يلمع بلونه الذهبي. كانت أمامي مجموعة من الأربطة المصنوعة بدقة، ومستقبل محتمل لا يتضمن فقدان ما قد تبقى لي من كاردان.

قلت وأنا أفكر في اللجام: "إنني أتساءل، مع امتلاك مثل هذا الغرض القوي، لماذا لم تستخدماه".

لوهلة لم يجب اللورد جارييل، ثم امتدت الوهلة طويلاً. ثم تذكرت الجروح الحديثة الموجودة على حراشف الثعبان، وقلت: "آه، صحيح". كنت واثقة بأنني إذا تفحصت اللجام، فسأجد الدماء الجافة عليه من أثر فرسان بلاط الأنياب - وربما أيضاً لمتطوعين من جيش مادوك. ثم سألته: "إنك لم تستطع إجماعه، أليس كذلك؟ كم فقدت من الفرسان؟".

بدا اللورد جارييل مستاءً.

أجاب مادوك: "كثيبة - لقد سرث النار في جزء من الغابة الملتوية. ولم يدعنا هذا الكائن يقترب منه، إنه سريع وفتاك ويبدو أن سمومه لا تنضب".

قالت السيدة نور: "لكنه كان يعلم في القاعة أن جريمسين هو عدوه، وإننا نعتقد أن بإمكانك إغواءه مثلما يحدث في الحكايات القديمة للعداري والأحصنة ذات القرون. يمكنك وضع اللجام عليه، وإذا قُتلت أثناء محاولتك، فسيعتلي أوك العرش مبكرًا إلى جوار ملكتنا".

قلت لها: "هذا كلام عملي".

قالت جريما موج: "فكري في قبول الصفقة". التفتُ إليها فواصلت تقول وهي تهز كتفيها: "إن مادوك محق، سيكون من الصعب الاحتفاظ بالعرش بغير ذلك. ولا أشك في قدرتك على وضع اللجام حول جسد الثعبان، ولا في أن يصبح سلاحًا لم تشهد مثله أي من جيوش أرض الجان كلها. تلك هي القوة يا فتاة".

قالت القنبلة وهي تزيل اللثام من فوق وجهها: "أو يمكننا قتلهم الآن، ونحصل على اللجام غنيمة. فهم بالفعل خونة، وغير مسلحين، وأنتِ تعلمينهم وتعلمين أنهم ينوون خداعك، ولقد قلتِ هذا بنفسك يا جود".

قالت السيدة نور باندهاش: "ليليفر؟"، كان من الغريب سماع اسم آخر لها بخلاف لقبها الذي نناديها به، لكن القنبلة كانت محتجزة في بلاط الأنياب قبل أن تصبح جاسوسة. ولا بد أنهم لا يعلمون سوى الاسم الذي كانت تُنادى به آنذاك.

سألته القنبلة: "هل تذكريني؟ اعلمي أنني أيضًا أتذكرك".

قال اللورد جاريل: "قد تحصلين على اللجام، لكنك لم تعلمي بعد كيف يعمل، ولن تستطيعي تقييد الثعبان من دوننا".

قالت القنبلة: "أعتقد أن باستطاعتي إجباركما على الكلام، وسأستمتع بهذه المحاولة كثيرًا".

وجهت السيدة نور الحديث إلى مادوك، كما لو كان بوسعه أن يفعل أي شيء: "هل ستسمح لها بالتحدث معنا على هذا النحو؟".

قلت لها بصوت هادئ: "لم تكن ليليفر تتحدث معك على الإطلاق، بل كانت تتحدث معي أنا بصورة غير مباشرة، ونظرًا لأنها مستشارة لي، فمن حماقة ألا أفكر في كلماتها جيدًا".

ضحك مادوك عاليًا، وقال: "كفاك، إذا كنت تعرفين اللورد جاريل والسيدة نور جيدًا، فستعلمين أنهما يحملان الضغينة تجاهك بما سيدفعهما إلى عدم قول أي شيء، بغض النظر عما تبتكره جاسوستك من ألوان التعذيب، وأنت تريدين هذا اللجام يا ابنتي".

لقد دعم بلاط الأنياب مادوك لكي يقترب من العرش، والآن ها هم يرون مسارًا لحكم إلفهايم بأنفسهم من خلال أوك. فبمجرد زواج أوك وسورين، سأصبح مستهدفة وكذلك مادوك.

لكن الثعبان سيكون تابعًا لي.

الثعبان الذي يمثل فسادًا وخطرًا على الأرض ذاتها.

قلت: "أظهروا لي حسن نياتكم. لقد حقق كاردان ما طلبتموه منه بشأن الملكة أورلاج في مملكة البحار. والآن حرروها من قبضتكم، إنها تكرهني هي وابنتها، ولهذا لا يمكنكم القلق من اندفاعها إلى مساعدتي".

قطب مادوك جبينه، وقال: "كنت أتخيل أنك أيضًا تكرهينهما".

أجبت: "أريد أن أرى أن تضحية كاردان حققت له ما أراد، وأريد أن أعلم أنكم لا تراوغون في كل صفقة قدر استطاعتكم".

أومأ برأسه بالإيجاب وقال: "حسن جدًا، اتفقنا".

أخذت نفسًا عميقًا وقلت: "إنني لن ألزم أوك بأي شيء. لكنكم إذا أردتم إيقاف الحرب، فأخبروني كيف يعمل اللجام، ودعوني أعمل من أجل السلام".

صعد اللورد جاريل إلى المنصة، ما جعل الحراس يتحركون أمامه، وحجبت الأسلحة رؤيتي له.

وبانزعاج سأل: "هل تفضلين أن أقول الكلمات السرية بصوت عالٍ أمام الجميع؟".

أشرت للحرس بالابتعاد، ثم انحنى ليهمس بالجواب في أذني قائلاً: "خذي ثلاث شعرات من رأسكِ واعقديها حول اللجام، وهكذا سترتبطان معاً"، ثم رجع إلى الخلف، وسأل: "والآن، هل توافقين على معاهدتنا؟".

نظرت إلى ثلاثتهم، وأجبت: "عندما يرتدي الملك السامي اللجام ويتم ترويضه، سأعطيكم كل ما طلبتموه، كل ما يقع في سلطتي ويمكنني تقديمه. لكنكم لن تحصلوا على أي شيء قبل ذلك".

قال لي مادوك: "هذا ما ينبغي لك فعله. أقيمي مأدبة في الغد لحكام ممالك البلاط الأدنى ولتدعينا إليها، وأوضحني أننا قد نحينا خلافاتنا جانباً في ظل وجود تهديد أكبر، وأنا قدمنا لك الوسيلة اللازمة للإمساك بالثعبان الملك.

"ستجتمع جيوشنا عند صخور إنسويل، لكن ليس للقتال. ستأخذين اللجام وتجتذبين الثعبان إليك، وبمجرد وضعه عليه، أصدرني أول أمر له، وسيظهر عندئذ ترويضك له وسيهلل الجميع لك، وهذا سيعزز سلطانك ويعطيك مبرراً لمكافأتنا، وسوف تكافئينا بالطبع".

إنه يسعى منذ الآن للحكم من خلالي، فقلت له: "سيكون من الرائع أن تكون لديك ملكة يمكنها أن تسرد الأكاذيب التي لا تستطيع قولها أنت، أليس كذلك؟".

ابتسم مادوك ابتسامة تخلو من أي خبث، وقال: "سيكون من الرائع أن نصبح عائلة من جديد".

لا شيء يبدو جيداً في هذا الموقف، باستثناء الملمس الجلدي الناعم للجام بين يدي.



في طريقي إلى خارج القصر مررت بقاعة العرش، لكنني عندما دخلت إليها، لم يكن هناك أي أثر للشعبان سوى طيات شبه ورقية لجلد ذهبي ممزق قد طرحه عن جسده.

بعدها سرت في الليل إلى الشاطئ الصخري، وهناك ركعت فوق الصخور، وكوّرت ورقة صغيرة ألقيتها وسط الأمواج.

لقد كتبت فيها: "إذا كنتَ قد أحببتني فساعدني".

الفصل 25

استلقيت على ظهري فوق السجادة أمام المدفأة في جناحي القديم. وكانت تارين تجلس إلى جوارى، وتقتطع بعض الشرائح من دجاجة مشوية جاءت من مطبخ القصر، وأمامنا صينية كاملة من أصناف الأطعمة موضوعة على الأرض؛ جبن وخبز، وعنب وزبيب ورمان وبرقوق، إلى جانب إبريق من الكريمة كثيفة القوام. كانت فيفي وهيدر تستريحان على الجانب الآخر بينما كان أوك ينظم صفوفًا من ثمار عنب الثعلب ثم يفرق تلك الصفوف عبر ضربه لها بثمار البرقوق، وهو أمر كنت سأعترض عليه سابقًا لكنني لن أفعل ذلك الآن.

رفعت تارين الغلاية من فوق صفيحة التسخين، وصبت الماء في وعاء وهي تقول: "هذا أفضل من القتال، أليس كذلك؟"، ثم أضافت بعض أوراق الشجر فامتأ الهواء بروائح النعناع ونبات زهر الخمان. وقالت: "إنها هدنة، هدنة لم تكن متوقعة".

لم يجب أي منا، لكننا فكرنا في سؤالها. إنني لم أقدم لمادوك وعدًا واضحًا، لكن لا يساورني شك في أنه ينوي، أثناء المأدبة الليلية، البدء في بسط سلطانه عليّ سيتحول سريعًا إلى سلطة كاملة حتى أصبح أنا مجرد ملكة صورية بلا أية سلطة حقيقية. ويتمثل الإغراء في مثل هذا النوع من الهجوم عليك أن المرء الذي يتعرض للهجوم قد يقنع نفسه دومًا بإمكانية تغيير المحتوم، وأنه يستطيع قلب الخسائر والمناورة والتغلب على خصمه.

سأل أوك: "ما خطب تلك الفتاة؟ الملكة سورين؟".

جلست لأتناول فنجانًا من يد تارين وأنا أجيبه: "إن حكام بلاط الأنبياب ليسوا قومًا لطفاء". وعلى الرغم من بقائي لفترة طويلة دون نوم، لكنني لم أكن أشعر بالتعب، ولا بالجوع مع أنني أجبرت نفسي على تناول الطعام. وكنت في حالة حيرة بخصوص وضعي.

قالت فيفي: "أعتقد أن بإمكانك وصفهم بهذا الوصف المهبذب، مثلما بإمكانك وصف البركان بأنه مجرد جبل دافئ".

عبس أوك وهو يسأل: "إنن، هل سنساعدها؟".

قلت له: "إذا قررت أن تتزوجها، فيمكننا أن نطلب أن تعيش الفتاة معنا هنا حتى تكبر أنت. وإذا أتت، فستبقى بيننا وهي متحررة من قيودها، وأعتقد أن هذا سيكون أمرًا جيدًا لها، لكنني ما زلت أعتقد أنه يجب عليك ألا تفعل ذلك".

أجاب أوك: "أنا لا أريد الزواج منها - ولا من أي واحدة، ولا أريد أن أصبح الملك السامي، لماذا لا يمكننا مساعدتها وحسب؟".

كان الشاي ساخنًا جدًّا، حتى إن الرشفة الأولى منه قد أحرقت لساني.

قالت تارين: "ليس من السهل أن نساعد ملكة، فليس من المفترض أنها تحتاج إلى المساعدة".

صمتنا جميعًا.

ثم سألت فيفي وهي تستدير نحو أختي التوأم: "إنن، هل ستتملكين منزل لوك؟ إنك لست مضطرة إلى ذلك، ولست مضطرة إلى إنجاب طفله أيضًا".

أخذت تارين حبة عنب، وقلَّبت الثمرة الصفراء الباهتة بين أناملها وهي تقول: "ماذا تقصدين؟".

أجابت فيفي: "أعلم أنه من النادر وجود أطفال في أرض الجان، ومدى أهمية وجودهم، وكل هذا الهراء، لكن في العالم الفاني يوجد ما يسمى بالإجهاض، بل هنا يوجد أطفال مبدولون".

قالت هيدر: "إنه قرارك، ولن ينتقدك أحد".

بادرتُ بالقول: "وإذا فعلوا، فيمكنني أن أقطع أيديهم من أجلك".

قالت تارين: "أنا أريد الطفل، وليس معنى هذا أنني لست خائفة، لكنني بشكل ما متحمسة. إنك لن تظل الفتى الأصغر بعد الآن يا أوك".

علّق قائلاً: "هذا جيد". ومد يده المجروحة نحو برطمان المربي.

فسبقته فيفي وأخذت منه ملعقة.

صاح أوك معترضاً: "مهلاً!", بينما ضحكت فيفي في خبث.

سألتُ هيدر وأنا أحاول مداراة الارتجافة البسيطة في صوتي: "هل وجدتِ أي شيء في المكتبة؟"، أعلم أنها لم تجد أي شيء، فلو عثرت على شيء لأخبرتني، ومع ذلك سألتها على أية حال.

تشاءبت وهي تجيب: "كانت هناك بعض القصص الغريبة، لم تكن مفيدة، لكنها كانت غريبة. تحدثت إحداها عن وجود ملك للثعابين يستطيع أن يأمر كل ثعابين العالم، وأخرى عن ثعبان صب لعنة على أميرتين من أرض الجان فتحولتا إلى ثعبانين - لكن هذا كان يحدث في بعض الأحيان فقط.

ثم قالت وهي تلقي نظرة على تارين: "وكذلك قصة أخرى عن الرغبة في الحصول على طفل، فلم تكن زوجة البستاني تستطيع الحمل، وذات يوم رأت ثعباناً أخضر لطيفاً في حديقتها، فتساءلت كيف يمكن للثعابين أن يكون لها أبناء بينما لا يستطيع هي ذلك، فسمعها الثعبان وعرض عليها أن تأخذ ابنه".

رفعت حاجبي في اندهاش، بينما ضحك أوك.

واصلت هيذر: "ومع هذا كان ابناً طيباً، فقد أعد البستاني وزوجته له جحراً في زاوية البيت وعاش فيه، وكانا يطعمانه من الغذاء نفسه الذي يتناولانه، وسار الأمر على ما يرام، إلى أن كبر، وقرر أنه يريد الزواج من أميرة. لكنه لم يرد أن يتزوج أميرة من الثعابين السامة مثلاً أو من أفاعي الأناكوندا الضخمة، بل أراد الثعبان الشاب أن يتزوج من أميرة بشرية للأرض التي كانوا يعيشون فيها".

سألت تارين: "وكيف لذلك أن يحدث؟".

ابتسمت هيذر وأجابت: "ذهب الوالد إلى الملك، وتقدم كي يخاطب الأميرة لابنه الثعبان الشاب. لكن الملك لم يتحمس للأمر، وهكذا كما هي الحال مع شخصيات كل القصص الخرافية، بدلاً من أن يرفضه وحسب فإنه طلب من الثعبان الشاب أن يقوم بثلاثة أمور مستحيلة: الأول تحويل كل فاكهة البستان إلى جواهر، والثاني تحويل أرضيات القصر إلى فضة، والأخير تحويل جدران القصر إلى ذهب. وفي كل مرة يعود فيها الوالد ليلبغ ابنه الثعبان بالمهمة المطلوبة، كان الأخير يوضح له ما عليه فعله. أولاً قام الوالد بحفر عدة حفر جعلت الفواكه المبدورة فيها تُثمر جواهر وأحجاراً كريمة بين ليلة وضحاها، وثانياً مسح أرضيات القصر بجلد ثعبان لتصير فضية، وأخيراً تعين عليه أن يمسح جدران القصر بنوع من السم ما حوّلها إلى جدران ذهبية".

غمغمت وأنا أنعم بالدفء إلى جوار المدفأة: "إن الوالد هو الذي بذل كل هذا الجهد".

قالت هيذر بصوت شارد: "إنه من نوعية الآباء المفرطين في العناية بأطفالهم. على أية حال، أقر الملك أخيراً لابنته في نبرة يائسة بأنه وهبها تقريباً إلى ثعبان، وأنه يتعين عليها إكمال الزيجة، وهكذا فعلت. لكن عندما أصبحا بمفردهما، طرح الثعبان الشاب جلده عن جسده، وظهر من تحته رجل شديد الوسامة، ففرحت الأميرة فرحة كبيرة، لكن الملك اقتحم غرفتهما وأحرق الجلد معتقداً أنه بذلك ينقذ حياتها.

"أطلق الثعبان الشاب صرخة يأس عالية، وتحول إلى حمامة، وحلق بعيدًا. جزعت الأميرة وبكت بكاءً حارًا، ثم قررت أن تذهب للبحث عنه. وفي طريقها - ولأن هذه قصة خرافية ولا يوجد منطق لأي شيء فيها على الإطلاق - التقت الأميرة بثعلب ثرثار أخبرها بأن الطيور تتحدث عن أمير أصيب بلعنة من غول، ولا يمكن علاجه من دون تقديم مزيج من دماء مجموعة من الطيور - وكذلك دماء ثعلب كقربان. ومن ثم يمكنكم أن تخمنوا ما حدث بعدها. ثعلب مسكين، أليس كذلك؟".

قالت فيفي: "هذه قسوة، لقد كان هذا الثعلب يساعدها".

وكان هذا آخر ما سمعته قبل أن أغرق في نوم عميق، بينما كانت أصواتهم الدافئة تتردد من حولي.



استيقظت على خمود نار المدفأة، وكانت هناك بطانية تغطيني.

لقد كان للنوم تأثير عجيب، فقد جعل الرعب الذي شهدته على مدار اليومين الماضيين يتراجع قليلاً حتى أتمكن من التفكير بشكل أفضل.

رأيت تارين فوق الأريكة وهي ملتحفة ببطانية، وسرت عبر الجناح الهادئ فوجدت هيدر وفيفي نائمتين في فراشي. ولم يكن أوك موجودًا، وظننت أنه مع أوريانا.

غادرت المكان ووجدت فارسًا ينتظرني، وأدركت أنه أحد حراس كاردان الملكيين. حياني بوضع يده على قلبه، وقال لي: "يا جلالة الملكة، إن فاند تستريح وقد طلبت مني حراستك حتى تعود".

شعرت بالذنب لأنني لم أفكر فيما إذا كانت فاند تعمل لفترات أطول من اللازم أو أقسى من اللازم، إنني بالطبع أحتاج إلى أكثر من فارس واحد فقط لحمايتي، سألته: "بماذا أدعوك؟".

أجاب: "آرتيجول يا مولاتي".

سألته: "أين بقية حرس الملك السامي؟".

تنهد قائلاً: "لقد كلفتنا جريماً موج بمتابعة تحركات الثعبان".

يا له من تغيير غريب ومؤسف مقارنة بمهمتهم السابقة وهي المحافظة على أمان كاردان، لكنني لا أعلم ما إذا كان آرتيجول سيرحب بأفكاري هذه، ولا ما إذا كان من المناسب أن أقولها له. وهكذا تركته عند الأبواب خارج الجناح الملكي.

وفي الداخل أجفلت عندما رأيت القنبلة جالسة على الأريكة وهي تدير بين يديها كرة ثلجية بداخلها قطة، ومكتوباً على الكرة **تهانينا على المنصب** - وهي هدية كانت فيفي قد قدمتها لكاردان بعد حفل تتويجه، ولم أدرك أنه قد احتفظ بها. وبينما كنت أشاهد البلورات البيضاء البراقة في الكرة، تذكرت التقرير الذي قدّم لي عن تساقط الثلوج داخل قاعة العرش.

نظرت القنبلة إليّ وقد تهدلت كتفها، وعكس اليأس البادي على وجهها ما لديّ من يأس.

وقالت: "ربما لم يكن يتعيّن عليّ القدوم"، وكان هذا قولاً مغايراً لطبيعتها تماماً.

سألتها وقد وصلت إلى داخل الغرفة: "ما خطبك؟".

أجابتنني: "عندما جاء مادوك ليقدم عرضه سمعت ما قالته تارين عنك، وانتظرت حتى أفهم ما تعنيه لكنني لم أفهم".

هزرت رأسي في عدم فهم.

نظرت إليّ كما لو كانت تتوقع بشكل ما أن أنكر ما ستقوله، وقالت: "إن الأرض قد داوتك". وتساءلت عما إذا كانت تفكر في الغرز التي أزالتها لي في هذه الغرفة، أو كيف أنني نجوت من سقوطي من فوق العوارض الخشبية، ثم قالت: "إنني أفكر في أنك ربما ... تستطيعين استخدام تلك القوة لإفاقة الصرصور".

عندما التحقت بمجلس الظلال، لم أكن أعلم أي شيء عن التجسس. لقد شهدت القنبلة تعرضي للفشل من قبل، ومع ذلك من الصعب عليّ الاعتراف بالفشل في هذا الأمر تحديداً، فقلت لها: "لقد حاولت أن أبطل لعنة كاردان لكنني لم أستطع، وأياً كان ما فعلته من قبل فأنا لا أعلم كيف فعلته، أو ما إذا كان باستطاعتي فعله مرة أخرى".

قالت القنبلة: "عندما رأيت اللورد جارييل والسيدة نور مرة ثانية تذكرت مقدار ما أدين به للصرصور، فلولاه ما تمكنت من النجاة منهما. وبغض النظر عن مدى حبي له، فأنا مدينة له. ولا بد أن أساعده على التحسن. إذا كان هناك أي شيء يمكنك فعله...".

فكرت في الزهور التي تفتحت، وخرجت من الثلوج إبان إصابتي. في تلك اللحظة كنت أمتلك السحر.

وفكرت في الأمل.

قاطعتها قائلة: "سوف أحاول. إذا كان بمقدوري مساعدة الصرصور، فأنا بالطبع أريد هذا، وبالطبع سأحاول، هيا بنا، هيا بنا الآن".

قالت القنبلة وهي تنهض: "الآن؟ لا، لقد أتيت إلى جناحك لكي تنامي".

قلت لها: "حتى إذا كانت الهدنة مع مادوك وبلاط الأنياب قد سارت على نحو أفضل مما كنت أظن، فمن الممكن ألا يمكّني الثعبان من وضع اللجام عليه، وقد لا أبقى على قيد الحياة بعدها. ومن الأفضل أن أحاول في أسرع وقت ممكن".

وضعت القنبلة يدها بخفة فوق ذراعي، وقالت: "شكرًا لك"، وقد خرجت تلك الكلمات البشرية تمامًا على نحو مستغرب من فمها.

قلت لها: "لا تشكريني الآن".

ثم أخرجت من جيبها لثامًا شبكيًا أسود يماثل لثامها، وقالت: "ربما تقبلين هدية إنن؟".

بدلت ملابسني، وارتديت ملابس سوداء، ووضعت عباءة ثقيلة فوق كتفني، ثم ارتديت اللثام، وخرجنا معًا من الممر السري. تفاجئت مما جرى به من تعديلات منذ آخر مرة عبرته فيها، ومن توصيله ببقية الممرات عبر جدران القصر. هبطنا عبر القبو إلى مقر مجلس الظلال الجديد. وكان أكبر كثيرًا من القديم وأفضل أثنًا. من الواضح أن كاردان هو من قام بالتمويل - أو أنهم سرقوا من خزانة المملكة من خلف ظهره. كانت هناك منطقة للمطبخ مليئة بالأواني الفخارية، وموقد كبير بما يكفي لطهي مهر فيه! تجاوزنا في سيرنا جناح التدريب، وجناح الملابس، وجناح تخطيط العمليات الإستراتيجية الذي يتفوق على جناح القائد الأعلى للجيش. رأيت بعض الجواسيس ممن أعرفهم، وبعض من لا أعرفهم.

رفع الشبح عينيه وهو جالس إلى مائدة يرص عليها البطاقات في إحدى الغرف الخلفية، وكان شعره الرملي اللون يتدلى فوق عينيه. فنظر إليّ بشك، وعندها رفعت اللثام.

قال في راحة: "جود، لقد أتيت".

لم أرد أن أعطي أيًا منهما أملًا زائفًا لهذا قلت: "لا أعلم إذا كان باستطاعتي فعل أي شيء، لكنني أود أن أراه".

نهض الشبح وهو يقول: "من هذا الطريق"، ثم قادني إلى غرفة صغيرة معلقة بها أجرام سماوية مُشعة من الزجاج. كان الصرصور راقدًا على الفراش، وقد أقلقني التغير البادي عليه.

كانت بشرته صفراء شاحبة ولم تعد بجمال الخضرة الداكنة لبرك المياه، وعلى بشرته كان هناك شمع غريب. كان يتحرك في نومه ثم يصرخ ويفتح عينيه المحتقنتين بالدماء والمفتقرتين إلى أي تركيز.

شهقت في انفعال، لكنه بعد لحظة كان يعود مجددًا إلى عالم الأحلام.

قلت في ارتياح: "كنت أعتقد أنه في حالة سبات". فقد فكرت في الحكاية الخيالية عن بياض الثلج، وتخيلته ساكنًا في علبة زجاجية مع بقاء مظهره كما كان.

ضغطت القبلة بجسدها على جسده، وقالت: "ساعديني لإيجاد شيء يحميه، إن السم يتسبب في هذه الحالة في بعض الأحيان، ويتعين عليّ حينها الضغط على جسده حتى تمر النوبة".

أرى الآن لماذا لجأت إليّ، ولماذا تشعر بأنه يجب علينا القيام بشيء ما. نظرت في أرجاء الغرفة، وفوق الصندوق كانت توجد كومة من الملاءات الإضافية، وكان الشبح قد بدأ تقطيعها إلى شرائط رفيعة وقال: "هيا ابدئي".

ودون أن تكون لديّ أية فكرة عما أفعله، تحركت لأقف إلى جوار قدمي الصرصور وأغمضت عينيّ، وتخيلت الأرض من تحتي، وتخيلت قوتها وهي تنتقل إليّ من خلال باطن قدمي، وتخيلتها تملأ جسدي.

ثم انتبهت لما أفعل ولحماقتي وتوقفت.

لا يمكنني فعل ذلك. أنا فتاة فانية وأنا أبعد ما يكون عن السحر، ولا يمكنني إنقاذ كاردان، ولا يمكنني شفاء أي شخص، إن هذا لن يجدي نفعًا.

ثم فتحت عيني وهزرت رأسي في يأس.

وضع الشبح يده على كتفي وقد اقترب مني بالدرجة التي كان يقترب بها مني أثناء تعليمه لي فن الاغتيال، وقال بصوت هادي: "جود، توقفي عن المحاولة بالقوة، دعي القوة تأتي إليك".

تهددت وأغمضت عيني ثانية، ومرة ثانية حاولت أن أشعر بالأرض من تحتي، أرض الجان، وفكرت في كلمات فال مورين: هل تعتقدين أن البذرة المزروعة في تربة الجان تنمو لتصير النبات نفسه، كما لو كانت تنمو في العالم الفاني؟ أيًا ما كنت في السابق، فقد ترعرعت هنا، هذا وطني وهذه أرضي.

ومرة أخرى وجدت نفسي أشعر بإحساس غريب كأنني أتعرض للسعات نبات القراص في أنحاء جسدي بالكامل.

ثم وضعت يدي على كاحليه، وأنا أقول في ذهني: استيقظ، أنا ملكتك وأمرك بأن تستيقظ. سرى تشنج في جسد الصرصور، بينما تعرضت أنا لما يشبه ركلة رهيبة في معدتي أطاحت بي إلى الجدار.

سقطت على الأرض. وكان الألم شديدًا لدرجة ذكّرتني بجرحي الذي أصابني مؤخرًا في جانبي.

صاحت القنبلة وهي تتحرك لتمسك قدميه: "جود!".

بينما جثا الشبح إلى جوارتي وسألني: "هل تأذيت كثيرًا؟".

رفعت إبهامي دلالة على أنني بخير، لكنني لم أستطع النطق.

صاحت القنبلة مجددًا لكن في هذه المرة، خفتت صيحتها.

فقد نطق الصرصور بصوت خفيض ومتحشرج اسمها: "ليل"، لكنه نطق على أية حال!

لقد استيقظ وأفاق.

لقد شفي.

لقد أمسك بيد القنبلة وقال: "أنا أحتضر، السم... لقد كنت أحمق، ليس أمامي وقت طويل".

قالت له: "إنك لا تحتضر".

لكنه جذبها نحوه أكثر وقال: "هناك أمر لم أستطع إخبارك به قط وأنا حي، أنا أحبك يا ليليفر، لقد أحببتك منذ أول ساعة في أول لقاء لنا، أحببتك في يأس. إنني أريدك أن تعلمي هذا قبل أن أموت".

ارتفع حاجبا الشبح، ونظر إليّ، بينما ابتسمت أنا ونحن جلوس على الأرض إذ كنت أشك في أن الصرصور لديه أية فكرة عن وجودنا معهما.

إلى جانب أنه كان مشغولاً جداً بالنظر إلى وجه القنبلة المشدوه.

ثم عاد ليقول: "أنا لم أرد مطلقاً..."، لكنه توقف عن الكلام فقد بدا أنه فسر تعبيرات وجهها على أنها زعر، فقال لها: "لا يتعين عليك أن تردي بأي شيء، لكن قبل أن أموت...".

قالت "القنبلة" ثانية: "إنك لا تحتضر"، وبدا أنه سمعها في هذه المرة.

احمر وجهه خجلاً، وقال: "فهمت، لم يكن ينبغي لي أن أتحدث".

زحفت باتجاه المطبخ والشبح من خلفي، وبينما كنا نتجه نحو الباب سمعت صوت القنبلة الرقيق.

قالت له: "لو لم تفعل، ما استطعت أن أقول لك إنني أبادلك المشاعر نفسها".

وفي الخارج سرت أنا والشبح عائدين إلى القصر، ثم نظرت إلى النجوم، وفكرت في فطنة القنبلة مقارنة بي، لأنها عندما أتاحت لها الفرصة اغتنمتها؛ فقد أخبرته بما تشعر به تجاهه، لكنني فشلت في إخبار كاردان، والآن ربما لن أتمكن أبدًا من إخباره.

ثم غيرت اتجاهي إلى سرادق حكام ممالك البلاط الأدنى.

نظر إليّ الشبح بتساؤل.

وأخبرته: "ليس هناك شيء أريد فعله أكثر من هذا قبل أن أذهب إلى النوم".

ولم يسألني أي شيء آخر، بل ساير خطواتي وحسب.



قمنا بزيارة الأم مارو وسيفرين، ابن ألدركينج، الذي ظل جريمسين يعمل لديه لفترة طويلة. وكانا آخر أمل لي، ومع أنهما قد التقيا بي في الخارج تحت النجوم واستمعا إليّ في أدب، لكنهما لم يملكا جوابًا.

قلت في إصرار: "لا بد أن هناك سببًا، لا بد أن هناك حلًا ما".

قالت الأم مارو: "إن الصعوبة تكمن في أنك تعلمين بالفعل كيف تنهين هذه اللعنة. وكما قال جريمسين الموت فقط، إنك تريدين حلًا آخر لكن السحر نادرًا ما يتلاءم مع ما نريده".

كان الشبح يقف على مقربة منا، وقد عبس وجهه. كنت ممتنة لمجيئه معي، وبخاصة في هذا الوقت، وأنا غير متيقنة من قدرتي على تحمل سماع هذا الكلام بمفردي.

قال سيفرين: "إن جريمسين لم يكن ليضيع إمكانية لفك تلك اللعنة". كان قرناه يجعلانه يبدو مخيفًا، لكن صوته كان رقيقًا.

قلت: "حسناً"، وجلست على جذع شجرة قريب، لم يكن الأمر أنني كنت أتوقع سماع أنباء طيبة، لكنني شعرت كأن سحب الندم تتراكم حولي ثانية.

ثم ضيقت الأم مارو عينيها وقالت لي: "إذن، هل ستستخدمين لجام بلاط الأنياب؟ أريد رؤيته. لقد قام جريمسين بصنع مثل هذه الأغراض المثيرة للاهتمام والمربعة في الوقت نفسه".

أجبتها: "على الرحب والسعة، من المفترض أن أربط خصلة من شعري فيه".

قالت: "لا تفعلِي ذلك، إذا فعلتِ ذلك فستكونين مرتبطة بالثعبان".

سترتبطان معًا.

للحظة شعرت بغضب شديد حتى إن كل شيء من حولي صار أبيض اللون كما لو أن البرق قد ضرب بضوئه الأشياء جميعًا.

سألتها وصوتي ينتفض من الغضب: "إذن، كيف يعمل؟".

أجابت وهي تهز كتفيها: "الأرجح أن هناك أمرًا ما يُقال له".

قلت لها: "لكن من الصعب معرفته، وهذا الشيء سيكون بلا فائدة من دونه".

هز سيفرين رأسه وقال: "هناك شيء واحد فقط أراد الحداد أن يذكره الجميع".

قاطعته بسرعة لأقول: "اسمه".



لم يمض وقت طويل على وصولي إلى القصر حتى جاءتني تاترفيل ومعها الفستان الذي وجدته تارين مناسبًا لارتدائه في الوليمة. أحضر الخدم الطعام، وجهزوا الحمام لي. وعندما انتهيت من الاستحمام قاموا بتعطيري ومشطوا شعري كما لو كنت دمية جميلة.

كان الفستان من الفضة وعليه أوراق شجر معدنية صلبة مخيطة به. خبأت ثلاث سكاكين، اثنتين في رباطين حول ساقِي والثالثة في غمد في صدري. نظرت تاترفيل نظرة جانبية على كدماتي الحديثة التي ظهرت عندما تعرضت للركلة في مقر الظلال. لكني لم أقل شيئًا عن هذه الحادثة، ولم تسألني هي بدورها.

إن نشأتي في منزل مادوك جعلتني أعتاد وجود الخدم؛ فقد كان هناك طهارة في المطبخ، وسائسون لرعاية الإسطبلات، وبعض الخدم في المنزل لترتيب الأسرة وتنظيم الأغراض بعناية، لكنني كنت أجيء وأذهب كما أشاء، وأضع جدولتي الخاص وأفعل ما أشاء كيفما أريد.

لكن الآن ما بين الحرس الملكي وتاترفيل والخدم الآخرين في القصر، فإن كل حركاتي صارت محسوبة، ولا أكاد أبقى بمفردتي، وحتى عند بقائي بمفردتي فإنني لا أظل بمفردتي طويلًا. طوال الوقت الذي كنت أحرق فيه إلى إلدريد، في مجلسه العالي فوق العرش، أو في كاردان وهو يرفع كأسًا ويتجرع ما بها محتفلاً مطلقًا ضحكة مفتعلة، لم أكن أفهم مدى الرعب الكامن في امتلاك مثل هذه السلطة الكبيرة وعدم امتلاك أية حيلة في الوقت نفسه.

وبعد أن قام الخدم بتضفير شعري وتعليق الفضة على أذني في شكل رؤوس سهام، قلت لهم: "يمكنكم الانصراف".

لا يمكنني أن أحتال على اللعنة، ولا أعلم كيف أحاربها؛ لذا يجب أن أنحي هذه الأفكار جانبًا لكي أركز على ما يمكنني فعله: تجنب الفخ الذي ينصبه لي بلاط الأنبياء، وتجنب محاولة مادوك تقييد سلطاني. أعتقد أنه ينوي الإبقاء عليّ في منصب الملكة السامية، وإلى جانبي

الملك السامي في صورته المخيفة إلى الأبد. ومع تخيلي هذا الوضع لم يكن يسعني سوى التفكير في مدى سوء الأمر بالنسبة إلى كاردان لبقائه عالقًا في جسد الثعبان إلى الأبد.

تساءلت عما إذا كان يتألم الآن، وتساءلت عن شعوره لإفساده التربة من حوله بجلده، وتساءلت عما إذا كان يعي بالدرجة التي تجعله يشعر بالذل لإلجائه أمام حاشية البلاط الذين كانوا يحبونه في يوم من الأيام، وهل يا ترى ستتمو الكراهية في قلبه، كراهيته لهم وكراهيته لي.

لكن لعلني كبرت لأصبح شخصية أخرى، كملك سامٍ وحشي مثل داين. وإذا حدث هذا - إذا حققت تلك النبوءة - يجب إيقافني، وأعتقد أن بإمكانك إيقافني.

كان مادوك واللورد جاريل والسيدة نور يخططون للسير معي إلى المأدبة التي أُعلن فيها عن تحالفنا. وسيتعين عليّ إرساء سلطاني والمحافظة عليه عبر هذه الأمسية، وهو أمر عسير. إذ يتصف حكام بلاط الأنبياء بالفطرسة والسخرية، وسأبدو ضعيفة إذا تركتهما يتصرفان معي بهذه الطريقة - ومع ذلك من غير الحكمة أن أخاطر بتحالفنا عبر التراجع عنه. أما بالنسبة لمادوك، فلا يساورني شك في أنه سيفيض عليّ بالحكم الأبوية، ويدفعني إلى الالتزام بدور الابنة المتجهمّة إذا رفضت حكمه. لكن إذا لم أتمكن من إيقافهم عن بسط سيطرتهم عليّ، فسيصبح كل ما فعلته وكل ما خططت له بلا مقابل.

مع وضع كل هذا في تفكيري، عدلت من وضع كتفيّ، ورفعت رأسي إلى حيث ستقام المأدبة.

أبقيت رأسي مرفوعًا وأنا أسير فوق العشب المغمور بالطحالب. كان فستاني يتجرجر ورأئي، وخيوط الفضة المضفرة في شعري تلمع تحت النجوم. وتسير ورأئي خادمة بجناحي فراشة لتمسك بذيل الفستان. وعلى مسافة محددة أحاط بي الحرس الملكي في احترام.

رأيت اللورد روبيين يقف بالقرب من شجرة تفاح وسيفه الهلالي يلمع في غمده المصقول، وكانت كاي برفقته ترتدي فستاناً أخضر يقترب كثيراً من لون بشرتها. كانت الملكة آنيث تتحدث مع اللورد سيفرين، بينما يشرب راندالين مشروباً تلو آخر. بدوا جميعاً مقهورين فلقد رأوا حلول اللعنة، وإذا كانوا لا يزالون هنا، فهذا لأنهم يعتزمون القتال في الغد.

أحدنا فقط يمكنه إخبارهم بالأكاذيب. تذكرت كلمات كاردان لي في آخر مرة تحدثنا فيها مع حكام البلاط الأدنى.

لكن الليلة لن أحتاج إلى الأكاذيب، ولا إلى الحقيقة كاملة على وجه التحديد.

عند رؤيتي بصحبة مادوك وحكام بلاط الأنبياء، ساد الصمت بين الحضور. واتجهت كل العيون السوداء نحوي، ونظرت كل هذه الوجوه النهمة والجميلة نحوي كما لو كنت حملاً جريحاً وسط عالم من الأسود.

قلت محدثة هذا الحضور الصامت: "أيها اللوردات والسيدات وساكني إلفهايم"، ثم ترددت، فمثلي مثل أي شخص آخر منهم لم أعتد أن ألقى الخطب، لكنني واصلت أقول: "باعتباري طفلة نشأت في البلاط السامي، فقد نشأت وسط حكايات مثيرة ورائعة ومستحيلة - عن اللعنات والوحوش. حكايات لا يمكن تصديقها حتى هنا في أرض الجان، لكن الآن قد تحوّل ملكنا السامي إلى ثعبان، وأصبحنا جميعاً جزءاً من تلك الحكاية العجيبة".

"لقد حطم كاردان التاج لأنه أراد أن يكون حاكماً مختلفاً، وأن يحظى بولاية مختلفة، وعلى أقل تقدير تحقق هذا له بشكل ما. لقد تخلى مادوك وسورين ملكة بلاط الأنبياء عن خيار الحرب، وقد تحدثنا وتوصلنا إلى شروط الهدنة".

سرت همهمة بين الحشد.

لم أنظر إلى جانبي، لكنني كنت أعلم أن مادوك لن يعجبه توصيفي للتحالف باعتباره انتصاراً لي، أما اللورد جاريل والسيدة نور فلا بد أنهما كرها تحدثني عن ابنتهما كأنها الفرد

الذي يستحق الاحترام في بلاط الأنبياء.

وواصلت أقول: "لقد دعوتهم إلى مآدبتنا الليلة، وفي الغد سنلتقي جميعًا في الميدان. ليس ميدان الحرب، وإنما لترويض الثعبان وإنهاء تهديده لإفهايم معًا".

صفق البعض وهم غير واثقين مما يجري.

كنت أتمنى من كل قلبي لو أن كاردان كان هنا، وكنت أتخيله جالسًا في تراخٍ فوق كرسيه وهو يعطيني الإرشادات بشأن إلقاء الخطبة، كان هذا سيزعجني كثيرًا، لكن الآن عند تفكيري في الأمر، سرت رجفة باردة في جسدي من الاشتياق إليه.

إنني أفتقده، وألمي لفقدانه أشبه بحفرة عميقة أتوق لأن ألقى بنفسي فيها.

رفعت كأسِي، فرفع الكل كئوسهم وأكوابهم وأبواقهم من حولي، وقلت: "لنشرب نخب كاردان ملكنا السامي، الذي ضحى بنفسه من أجل شعبه، والذي كسر إلزام عهود التاج الدموي. ولنشرب نخب هذا التحالف الذي أثبت أن رسوخه يماثل رسوخ صخور جزر إفهايم، ولنشرب نخب الوعد بالسلام".

عندما رفعت كأسِي، تناول الكل مشروباتهم معي، وبدا كما لو أن شيئًا قد تغير في الأجواء، ورجوت أن يكون كلامي هذا كافيًا.

قال مادوك: "خطاب جميل يا بنيتي، لكنني لم أسمع فيه حديثك عن المكافأة الموعودة لنا".

رمقته بنظرة ثابتة وقلت: "لقد وضعتك في أعلى مرتبة بين مستشاري، ومع ذلك تؤنّبني! إن اتفاقنا لن يتم حتى يتم لجم الثعبان".

قَطَب مادوك جبينه، لكنني لم أنتظر أن يجادلني في هذه النقطة، وابتعدت وانضمت إلى حلقة صغيرة تضم أفرادًا من معشر الجان في حاشية بلاط الأنبياء.

وقلت: "أيتها السيدة نور، لعلك لم تقابلي بعد السيدة آشا، والدة الملك السامي". وبدا عليها الاندهاش لمخاطبتي لها كما لو كانت تلك جرأة مني.

فوافقتني وهي تقول: "نعم أظن هذا، على الرغم من أن...".

فأخذتها من يدها وقدمتها إلي حيث تقف السيدة آشا، وكانت محاطة بأفراد الحاشية المفضلين لديها. وقد بدا عليها الانزعاج لاقترابي منها، والانزعاج بشكل أكبر عندما بدأت التحدث معها.

وقلت لها: "لقد سمعت أنك ترغبين في تولي دور جديد في البلاط، ولهذا فإني أفكر في تكليفك بالعمل سفيرة لنا في بلاط الأنياب، ووفق هذا يبدو من المفيد أن تلتقي بالسيدة نور".

لم يرتكز أي مما قلته على حقيقة واحدة، لكنني أردت أن تعلم السيدة آشا أنني قد سمعت بتأمرها علي، وأنها إذا تصدت لي فأنا قادرة على إبعادها بعيداً عن أجواء راحتها التي تحبها أكثر من أي شيء آخر. وبدا لي أن ابتلاء إحداهما بالأخرى عقاب مناسب تمامًا.

سألنتني في حنق: "هل كنت لتجبريني حقاً على الابتعاد عن ابني؟".

أجبتها: "إذا كنت تفضلين البقاء هنا والمساعدة في رعاية الثعبان، فكل ما عليك فعله أن تُعلمني هذا فقط".

نظرت السيدة آشا إلي كما لو كانت تفضل بحق أن تطعني في رقبتني، فاستدرت مبتعدة عنها وعن السيدة نور وأنا أقول: "استمتعا بحديثكما معاً". ربما ستستمتعان بالفعل، فكلتاها تكرهني وهذا يعطيها على أقل تقدير أمراً مشتركاً بينهما.

أخرج الخدم مجموعة من الأطباق الممتلئة بسيقان نبات السرخس الطري، وثمار جوز ملفوفة في بتلات الورد، ومشروبات بها أعشاب منقوعة، وطيور صغيرة مشوية بالكامل

وعليها طبقة من العسل. وبينما كنت أنظر إلى الحضور من معشر الجان بدا كأن الحدايق تلف بي، وهو إحساس غريب ألمّ بي ليبدو كل ما حولي كأنه غير واقعي، فدرت بعيني وأنا أشعر بالدوار لأبحث عن أي من أختي، أو عن شخص من مجلس الظلال، أو فاند.

ثم تعالى صوت إلى جواربي تمامًا، وكان صوت اللورد روبيين الذي قال: "يا جلالة الملكة". ضاق صدري، ولم أكن واثقة بقدرتي على الوثوق به من بين كل الناس في الوقت الحالي.

قلت له: "من الجيد أنك بقيت، فبعد أن حطم كاردان التاج لم أكن واثقة من بقائك".

أوما برأسه وقال وهو يحدق إليّ بعينيه الرماديتين الشاحبتين كمياه النهر: "إنني لم أكن أهتم به كثيرًا، بل أنت من أقنعتني بالتعهد للتاج منذ البداية. وأنت من توصلت ليحل السلام بعدما نقضت مملكة البحار معاهدتها".

فعلت ذلك عبر قتل بالكين، لا أكاد أستطيع نسيان ذلك.

وواصل كلامه قائلاً: "ولعلي كنت سأقاتل من أجلك بغض النظر عن أي سبب سوى أنكِ الملكة الفانية لأرض الجان التي لا يسعها سوى إسعاد الكثيرين ممن أحبهم، ومضايقة الكثيرين ممن أبغضهم. لكن بعد ما فعله كاردان في القاعة الكبرى، فإنني أفهم الآن لماذا كنت مستعدة للإقدام على مراهنة جنونية تلو مراهنة جنونية أخرى لكي تضعيه على العرش، وكنت سأقاتل من أجلك حتى آخر نفس في جسدي".

لم أتوقع قط هذا الحديث منه، ودُهشت ولم أتمكن من التحرك.

لمس روبيين سوارًا على معصمه عليه خيوط خضراء منسوجة فيه. لا لم تكن خيوطًا بل كان شعراً، وقال: "لقد كان مستعدًا لتحطيم التاج الدموي والثقة بولاء رعاياه بدلاً من إكراههم عليه. إنه بحق الملك السامي لإفهايم".

فتحت فمي لكي أرد عليه، وحينها رأيت على مبعدة منا نيكاسيا وهي مرتدية فستانًا متلألئًا من قشور الأسماك الفضية المنسوجة التي يرتديها أفراد الحاشية والحكام.

ثم لاحظت كاي رفيقة روبيين وهي تتحرك نحوها.

فقلت له: "إممم، إن صديقتك على وشك أن...".

استدار روبيين في الوقت المناسب بالضبط ليرى كاي وهي تسدد لكمة إلى وجه نيكاسيا، فتعثرت نيكاسيا في أحد أفراد البلاط من إثر اللكمة لتسقط أرضًا. وعندها نفضت الجنية كاي يدها كما لو كانت مفاصل يدها قد تأذت من اللكمة.

بينما اندفع حرس نيكاسيا من أسود البحر نحوها. وبدأ روبيين من فوره التحرك بين المحتشدين الذين تفرقوا ليسمحوا له بالمرور، وحاولت أن أتبعه لكن مادوك وقف أمامي.

وأمسك بكتفي وقال لي: "إن الملكة لا تسارع نحو أي قتال مثل طلبة المدارس". لم يشغلني الهرج ويعمني عن رؤية الفرصة السانحة أمامي، فانفلت من قبضته، وأخذت معي ثلاث شعرات منه.

ثم دخلت فارسة ذات شعر أحمر لتفصل ما بين كاي وحرس نيكاسيا من أسود البحر. لم أكن أعرفها، لكن في الوقت الذي وصل فيه روبيين إليهم، كان يبدو واضحًا أن الجميع يهددون بمبارزة الجميع.

صحت في وجه مادوك: "ابتعد عن طريقي". وتجاهلت كل من حاول التحدث معي، ربما بدوت سخيفة وأنا أرفع فستاني إلى مستوى ركبتي، لكنني لم أهتم. ولا شك في أنني كنت أبدو سخيفة كذلك وأنا أخبئ شيئًا في صدري.

كان فك نيكاسيا وحلقها قد احمر لونهما، وتعين عليّ أن أكتم ضحكة لن تكون لائقة على الإطلاق في مثل هذه الظروف.

صاحت نيكاسيا بي: "من الأفضل لك ألا تدافعي عن هذه الجنية".

كانت الفارسة ذات الشعر الأحمر مخلوقة فانية، وكانت ترتدي سترة خاصة ببلاط أدركينج. لقد نزف أنفها دمًا، وأظن أن هذا يعني أنها اشتبكت مع حرس نيكاسيا. بدا اللورد رويبين مستعدًا لسحب سلاحه من جانبه، ونظرًا لأنه كان يتحدث من فوره عن القتال حتى آخر نفس فيه، فكان هذا شيئًا من الأفضل تجنبه.

كانت كاي ترتدي فستانًا كاشفًا مقارنة بالمرة السابقة التي رأيتها فيها، وقد أظهر الفستان ندبة تبدأ من حنجرتها وتمتد إلى صدرها، وبدا كأن نصفها يشبه الجرح والنصف الآخر يشبه الحرق، وبالتأكيد كان هذا شيئًا يجعل غضبها على نيكاسيا مفهومًا تمامًا، وقالت: "أنا لا أحتاج إلى أي دفاع، يمكنني أن أتولى شئوني بنفسني".

قلت لنيكاسيا: "إنك محظوظة لأن كل ما فعلته هو لكمك فقط". كان مجرد وجودها يثير أعصابي، ولم يسعني سوى أن أتذكر كيف كان الأمر عندما كنت أسيرة لديها في مملكة البحار. ثم استدرت إلى كاي وقلت لها: "لكن هذا الأمر انتهى الآن، مفهوم؟".

وضع رويبين يده على كتفها.

فقلت كاي: "أظن هذا"، ثم سارت بتمهل بحذائها الضخم ذي الرقبة. وانتظر رويبين قليلاً، لكنني هززت رأسي فتبع رفيقته بعدها.

لمست نيكاسيا فكها بأصابعها وهي تنظر إليّ بتمعن.

قلت لها: "أرى أنك قد تلقيت رسالتي".

وقالت بدورها وهي تنظر باتجاه مادوك: "وأرى أنك تتحالفين مع العدو، تعالي معي".

سألته: "إلى أين؟".

أجابت: "في أي مكان لا يسمعنا فيه أحد".

سرنا معًا عبر الحقائق، وتركت كلتانا الحرس وراءها، ثم ضغطت على يدي وسألتنني: "هل ما سمعت صحيح؟ كاردان واقع تحت تأثير لعنة؟ هل تحول إلى وحش تتكسر على حراشفه رماح جنودكم من معشر الجان".

أومأت مؤكدة معلومتها في ضيق.

وتفاجأت جدًّا عندما رأيتها تجثو على ركبتيها.

فسألتها في فزع: "ماذا تفعلين؟".

أجابت وقد حنت رأسها: "أرجوك، أرجوك، عليك أن تحاولي فك اللعنة، أعلم أنك الآن الملكة الشرعية، وأنتِ قد لا تكونين راغبة في إعادته، لكن...".

إن كان هناك أي شيء آخر قد يزيدني دهشة على دهشتي، فهو ما قالتها في النهاية، فسألتها بذهول: "هل تعتقدين أنني...".

قاطعتني وهي تقول بآلم واضح في صوتها وبحة رافقتها الدموع: "أنا لم أعرفكِ جيدًا من قبل، وكنت أعتقد أنك مجرد واحدة من المخلوقات الفانية".

تعين عليّ حينها ألا أمسك لساني وألا أقاطع كلامها.

واصلت كلامها: "عندما توليت منصب وكيلة الملك، قلت لنفسي إن كاردان كان بحاجة إليك لقدرتك على الكذب، أو لأنك أصبحت مطيعة مع أنك لم تكوني مطيعة مطلقًا من قبل. كان يجب عليّ أن أصدقك عندما أخبرته بأنه لا يعلم عنك سوى أقل القليل مما يمكنك فعله.

"عندما كنت في المنفى، عرفت المزيد منه. أعلم أنك لن تصدقي هذا، لكن أنا وكاردان كنا صديقين قبل أن تصبحا أنتما الاثنان حبيبين وتزوجا، وكان هذا قبل صداقتنا بلوك. كان أول صديق لي عندما أتيت من مملكة البحار إلى هنا. كنا صديقين، على الرغم من كل شيء. وكرهت أنه قد أحبك".

قلت بضحكة بدت أضعف وأكثر توترًا مما أردت: "وهو أيضًا قد كره ذلك".

نظرت إليّ نيكاسيا نظرة طويلة، وقالت: "لا، لم يفعل".

وعندها التزمت الصمت التام لأسمعها.

قالت نيكاسيا: "كان كاردان يخيف معشر الجان، لكنه ليس على النحو الذي تظنين. هل تذكرين الخدم الذين كانوا يعملون لدى بالكين؟ الخدم من البشر؟".

أومأت بالإيجاب دون إصدار أي صوت. بالطبع أذكرهم، ولن أنسى أبدًا صوفي وجيبها المليء بالأحجار.

واصلت كلامها: "كانوا في عداد المفقودين وسرت الشائعات بأن كاردان آذاهم، لكن هذا لم يكن صحيحًا، فقد أعادهم إلى العالم الفاني".

أعترف بأن هذا الكلام أذهلني، فسألتها: "لماذا؟".

أشاحت بيدها وهي تجيب: "لا أعلم! ربما لكي يزعج أخاه، لكنك من البشر، ولهذا أعتقد أنك ستحبين أنه فعل ذلك. كما أنه أرسل إليك فستانًا من أجل حفل التتويج".

أذكر هذا - كان فستان الحفل بألوان الليل، وعليه خطوط محاكاة من الخارج على شكل أشجار، وعليه كذلك بلورات مشعة كنجوم، وكان أجمل ألف مرة من الفستان الذي طلبته. كنت قد اعتقدت أن هذا الفستان ربما جاءني من الأمير داين نظرًا لأن الحفل كان حفل تتويجه هو، وقد أقسمت على أن أكون تابعة له عند انضمامي إلى مجلس الظلال.

سألتنني نيكاسيا: "لم يخبرك بهذا قط، أليس كذلك؟ أترين إذن؟ هذان أمران لطيفان صدرا منه ولم تكوني تعرفين شيئًا عنهما. ولقد رأيتُ الطريقة التي اعتدتِ أن تنظري بها إليه بينما تظنين أن أحدًا لا يراكِ".

عضضت خدي من الداخل في خجل على الرغم من حقيقة أننا صرنا حبيبين وتزوجنا ولم يعد سرًّا أن كلاً منا يكن الإعجاب بالآخر.

ثم قالت: "إذن عديني، عديني أنك ستساعدينه".

فكرت في اللجام الذهبي، وفي المستقبل الذي تنبأت به النجوم، ثم انهمرت من عيني كل الدموع التي لم أذرفها، وتهدج صوتي وأنا أقول: "أنا لا أعلم كيف أفك اللعنة، إذا كان باستطاعتي ذلك، فهل تعتقدين أنني كنت لأقيم هذه المأدبة السخيفة؟ أخبريني بماذا عليّ أن أقتل، وبماذا عليّ أن أسرق، أخبريني بالأحجية التي يتعين عليّ حلها أو المشعوذة العجوز التي يتعين عليّ خداعها. فقط أخبريني بالسبيل وسأمضي فيه، بغض النظر عن المخاطر، وبغض النظر عن الصعوبات، وبغض النظر عن التكلفة".

رمقتني نيكاسيا بنظرة ثابتة. وأيًا كان ما أعتقده عنها، إلا أنها كانت بحق تهتم بأمر كاردان.

ومع انهماك دموعي - والتي أثارت اندهاشها - على وجنتي أعتقد أنها أدركت أنني أيضًا أهتم بأمره فعلاً.

لكن بمَ يفيد كاردان كل هذا؟



عندما انتهينا من حديثنا، عدت ثانية إلى المأدبة، ووجدت ألدركينج من جديد وقد بدا متفاجئًا برؤيتي، وكانت إلى جواره الفارسة الفانية التي نزل أنفها دمًا، وبشرية أخرى ذات

شعر أحمر جاءت كمرافقة لسيفرين، وكانت تضع القطن في أنف الفارسة الأولى. سرعان ما أدركت أن المرافقة والفارسة توأم، لم تكونا توأمًا متطابقًا مثلي أنا وتارين، لكنهما متشابهتان. توأم بشري في أرض الجان! ولم يبدُ على أي منهما الضيق من هذا الأمر.

قلت لسيفرين: "أحتاج إلى شيء منك".

أمال رأسه وأجاب: "بالطبع أيتها الملكة، أيًا كان ما لديّ فهو ملك لك".



استلقيت في تلك الليلة على فراش كاردان الضخم في حجرة نومه الواسعة. بسطت الأغذية ثم ركلتها.

ثم نظرت إلى اللجام الذهبي الموضوع على الكرسي إلى جوارى، وهو يتألق على ضوء المصباح الخافت.

إذا وضعته على الثعبان، فسيبقى معي دائمًا. وبمجرد وضع اللجام عليه، يمكنني إحضاره إلى هنا، ويمكنه أن يلتف على نفسه فوق هذا البساط في هذه الحجرة. ومع أن هذا قد يجعلني كائنًا وحشيًا بقدر وحشية هذا الثعبان، لكنني على الأقل لن أكون وحيدة.

وفي نهاية المطاف استغرقت في النوم.

في أحلامي رأيت كاردان في هيئته الثعبانية أمامي، وحرشفه السوداء تلمع.

قلت له: "أنا أحبك"، ثم التهمني!!

الفصل 26

قالت تاترفيل بأسى وهي تنكز ندوبي بأصابعها الحادة: "جراحك لم تلتئم بالدرجة الكافية، فلم يمض وقت طويل منذ أن كاد مادوك يقسمك بسيفه إلى نصفين". كانت العفريتة تتولى أمري منذ أن نهضت من الفراش، وتجهزني لمواجهة الثعبان كما لو كنت ذاهبة إلى وليمة أخرى، وكانت مستاءة أثناء فعل ذلك.

سألتها وهي تنتهي من عقد الضفيرة المحكمة في أعلى رأسي: "ألا يضايقك أنك أقسمت بالولاء له، بينما لا تزالين هنا معي؟"، وكانت قد أرجعت بقية شعري إلى الخلف وربطته في شكل كعكة. وبالطبع لم تضع أية حليات في أذني أو حول رقبتني حتى لا يجذبني منها الثعبان.

أخذت تاترفيل الفرشاة من على الطاولة الصغيرة التي تضع عليها أدواتها، ولمست بالفرشاة وعاء به رماد أسود، وقالت: "إنه من أرسلني إلى هنا، وربما يندم على هذا. لكن على أية حال، لو كان في مكانك هنا لكنت سأوبخه الآن، بدلاً من توبيخي لك". جعلني كلامها أبتسم.

وضعت تاترفيل مساحيق التجميل على وجهي وعلى عيني، وطلت شفطي باللون الأحمر. تعالى صوت قرع على الباب، ثم دخلت تارين وفيفي، قالت فيفي: "إنك لن تصدقي ما وجدناه في الخزانة".

تذكرت وعد كاردان القديم بأنه سيعطي كل محتويات خزانة بالكين لأعضاء مجلس الظلال فقط إذا خانوني وأطلقوا سراحه. كان شعورًا غريبًا أن أتذكر مدى الذعر الذي

أحسست وقتها، ومدى وسامته وجاذبيته، وكيف أنني كرهت ذلك حينها. قلت لها: "كنت أعتقد أن الخزائن ممتلئة فقط بالأحجار الكريمة والذهب وما شابه".

أتى الصرصور، وهو يسحب صندوقًا وراءه، ويقول: "لا توجد سبيل لإبعاد أختيك عن المشكلات".

كانت بشرته قد استعادت لونها الطبيعي شديد الاخضرار، وبدا نحيلًا لكن بصحة جيدة. من الرائع أن أراه مستيقظًا وقادرًا على الحركة بهذه السرعة. وتساءلت كيف تمت الاستعانة به لمساعدة أختي، لكنني تساءلت أكثر عما قالته القنبلة له. لقد رأيت على وجهه فرحة جديدة تظهر في جانبي فمه عندما يبتسم وفي وميض عينيه.

لكن النظر إليه كذلك كان يؤلمني ويذكرني بحال كاردان.

ابتسمت تارين وهي تقول: "لقد وجدنا درعًا، درعًا رائعة لك أنت".

قالت فيفي: "درع تناسب ملكة، وكما تعرفين لم تتولأ أية ملكة العرش منذ وقت طويل".

ثم قالت تارين: "لعلها تعود إلى الملكة ماب نفسها".

قلت: "إنكما متحمستان حقًا".

مالت فيفي لكي تفتح الصندوق، وأخرجت منه درعًا مكونة من صفائح مرتبطة معًا تبدو كأنها سلسلة من أوراق بلاب صغيرة من المعدن. شهقت عند رؤيتها، إنها بحق أجمل درع رأيتها على الإطلاق، ويبدو أنها عتيقة ومصنوعة بحرفة وتميز، ولا تشبه مصنوعات الحداد جريمسين. ومن المريح أن أعلم أنه كان هناك حدادون عظماء قبله وسيأتي آخرون بعده.

ابتسمت تارين وهي تقول: "كنت أعرف أنها ستعجبك".

قال الصرصور: "ولديّ شيء سيعجبك أيضًا"، ثم مد يده في حقيبتته، وأخرج ثلاثة خيوط تبدو كأنها شعرات فضية.

فوضعتها في جيبني إلى جوار الشعر الذي اقتلعتته من رأس مادوك.

كانت فيفي مشغولة بإخراج المزيد من الأغراض من الصندوق، ولم تلاحظ شيئًا مما فعلته. ثم أخرجت أحذية برقبة عالية مكسوة بصفائح معدنية منحنية، وأساور واقية على شكل أشواك، وصفائح معدنية لحماية الكتفين أيضًا على شكل أوراق شجر ملتفة إلى الأعلى عند الحواف، وخوذة تشبه تاجًا من الأغصان الذهبية، وعليها مجموعة من ثمار التوت عند طرفيها.

قالت تاترفيل: حسنًا، حتى إذا قضم الثعبان رأسك، سيبدو ما تبقى من جسدك بحال جيدة".

عقبث: "تلك هي الروح المطلوبة".



احتشد جيش إلفهايم وجَهَّز نفسه للمسير. وقد تم وضع السروج على الأحصنة المسحورة الضخمة من النباتات ومياه المستنقعات، وحيوانات الرنة ذات القرون البارزة، والصفادع هائلة الحجم. بل تم وضع الدروع على بعض هذه الحيوانات.

اصطف الرماة ومعهم سهامهم الفتاكة التي غمسوها في السم المسبب للرجبة في النوم، والأقواس الضخمة، كما صار الفرسان على أهبة الاستعداد. ورأيت جريما موج وهي تسير فوق الأعشاب تنضم إلى مجموعة من جان القبعات الحمراء الذين مروا إبريقًا من الدماء بعضهم على بعض وشربوا منه، ثم وضعوا منه قطرات في قبعاتهم. وكانت مجموعات كبيرة من الجنيات تطير في الهواء وتحمل سهامًا صغيرة مسمومة.

سارت جريماً موج نحوى، وقالت: "سكون جميعاً مستعدين فى حال لم يعمل اللجام بالطريقة التى زعموها، أو فى حال لم يعجبهم ما سيحدث بعدها". وابتسمت وهى ترى درعى والسيف الذى استعرتة المثبت فوق ظهري، وعندما ابتسمت ظهرت أسنانها التى احمرت من أثر الدماء، ثم وضعت يدها على قلبها، وقالت: "تحيا الملكة السامية".

حاولت أن أبتسم لها بدورى، لكننى علمت أن ابتسامتى ستكون باهتة، فقد كان القلق يعصف بى.

كان أمامى طريقان، لكن أحدهما فقط هو الذى سيفضى بى إلى النصر.

لقد كنت ربيبة مادوك وتابعة للأمير داين، ولا أعلم كيف أفوز بأية طريقة بخلاف طرقهما التى لا تمثل وصفة للأعمال البطولية، لكنها وصفة للنجاح عموماً. أعلم كيف أستخدم السكين، وأعلم كيف أكره وأكون مكروهة، وأعلم كيف أفوز شريطة أن أكون مستعدة للتضحية بكل ما لدىّ لتحقيق النصر.

وقلت لنفسى إننى إذا لم أستطع أن أكون أفضل من أعدائى، فسأكون أسوأ منهم، أسوأ كثيراً جداً.

خذى ثلاث شعرات من رأسك واعقدىها حول اللجام، وسترتبطان معاً.

لقد فكر اللورد جاريل فى أن يخدعنى، وفكر فى الاحتفاظ بكلمة الأمر لنفسه ليستخدمها فقط بعدما أضع اللجام على الثعبان، وبعدها يتحكم بنا معاً. وأنا واثقة بأن مادوك لا يعلم بمخطط اللورد جاريل الذى يبدو أنه سيتضمن قتل مادوك أيضاً.

لكن المخطط سينقلب رأساً على عقب، فلقد ربطت شعرات من رأسيهما فى اللجام السحري، ولن أكون أنا المرتبطة بالثعبان. وبمجرد وضع اللجام فى الثعبان سيصبح مادوك واللورد جاريل تابعين لى، كما كان كاردان تابعاً لى من قبل، وكما سيصبح تابعاً لى ثانية بعدما ينغرس اللجام الذهبى فى حراشفه.

وإذا توحش الثعبان ودمر ما حوله، وإذا سمم أرض إلفهايم، فلاكن إنن ملكة الوحوش،
ولأحكم الأرض المسودة مع وجود أبي جني القبعات الحمراء كدمية إلى جانبي، ولأصبح
شخصًا يُخيف ولا يخاف ثانية أبدًا.

فقط بعد أن تسيل دماؤه، سينهض إلى الجان حاكم عظيم.

فلأحصل على كل ما أردته، وكل ما حلمت به، وإلى جانب هذا سأحظى ببؤس أبدي.
فلأحيا وقد سكنت قلبي قطعة من الجليد.

قال بافين: "لقد نظرتُ إلى النجوم". وللحظة ظل ذهني شاردًا في تخيلاتي الجامحة،
وكان رداؤه الكحلي يتحرك بفعل نسائم الظهيرة، وواصل يقول: "لكنها لم تنبئني بشيء.
عندما يكون المستقبل محجوبًا، فهذا يعني أن حدثًا سينتج عنه تغيير للمستقبل سواء
للخير أو الشر، ولن يمكن رؤية شيء حتى يُحسم هذا الحدث".

غمغمت أقول: "ليست هناك ضغوط إذًا".

ثم ظهرت القبلة من وراء الظلال، وقالت: "لقد شوهد الثعبان قريبًا من الساحل بجوار
الغابة الملتوية. يجب أن نذهب سريعًا قبل أن نفقده ثانية".

استدعت جريما موج قواتها، وقالت: "تذكروا التشكيل، إننا سنتجه من الشمال، وستسيطر
قوات مادوك من الجنوب، وقوات بلاط الأنياب من الغرب. لنحافظ على المسافات بيننا،
فإن هدفنا هو توجيه المخلوق إلى ذراعي ملكتنا الحانيتين".

كانت صفائح درعي الجديدة تُصدر صوتًا موسيقيًا متناغمًا. تسلمتُ حصانًا أسود عاليًا،
بينما جلست جريما موج فوق ظبي مدرع هائل الحجم.

سألتنني: "هل هذه أول معركة لك؟".

أومأت بالإيجاب.

فقلت: "إذا اندلعت المعركة، فركزي على ما هو أمامك. قاتلي مَنْ أمامك، ودعي الآخرين يقلقوا بشأن من يقاتلونهم".

أومات برأسي ثانية بالإيجاب، وأنا أشاهد جيش مادوك يستعد لاتخاذ مواقعه. جاء جنوده أولاً، الذين اختارهم بعناية وسرقهم من الجيش الأساسي لإلفهايم، وتلاههم آخرون من ممالك البلاط الأدنى، ويعملون تحت رايته، وبالطبع قوات بلاط الأنياب وهم يحملون أسلحتهم الثلجية. كانت بشرة معظمهم يكسوها الصقيع، وبدا بعضهم أزرق البشرة كالموتى. إنني لم أحبذ فكرة قتالهم في ذلك اليوم أو أي يوم آخر.

سار حاكم بلاط النمل الأبيض خلف جريما موج، وكان من السهل رؤية رويبين بشعره الأبيض تمامًا وهو يمتطي كلبًا ضخماً، وقد حياني عند نظري إليه. وإلى جانبه كانت توجد قوات ألدركينج، ولم يكن رفيق سيفرين البشري معه، بل كانت إلى جواره الفارسة البشرية ذات الشعر الأحمر التي أصيبت في أنفها ونزفت على أيدي حرس نيكاسيا، التي بدت مبهتة بصورة مزعجة.

وفي القصر كانت كل من فيفي وأوريانا وهيدر وأوك ينتظرون عودتنا مع عدد من الحرس، وأغلبية أعضاء المجلس الاستشاري، والكثير من أفراد ممالك البلاط الأدنى والأعلى على السواء. إنهم سيشاهدون ما يحدث من وراء متراس.

أحكمت قبضتي على اللجام الذهبي.

قلت جريما موج عندما تطلعتُ إلى وجهي: "ابتهجي". ثم عدلت وضع قبعتها التي تيبست من أثر طبقات الدماء، وقالت: "إننا ذاهبون لنصنع المجد".

سرنا عبر الأشجار، ولم يسعني سوى التفكير في أنني عندما تخيلت الفروسية كنت أتخيل شيئاً مثل هذا؛ مواجهة وحوش سحرية، وارتدائي الدروع، والسيف في غمده بجانبني. لكن مثل الكثير من التخيلات، كان يغيب عنها أي مصدر للرعب والتهديد.

وصلت إلينا صرخات فزع جاءت من اتجاه رقعة أمامنا كثيفة الأشجار. أعطت جريماً موج الإشارة، فتوقفت قوات إلفهايم عن المسير وانتشرت. لكنني واصلت وحدي المسير وأنا أنتقل في خط مموج، لأدور حول شجرة ميتة تلو شجرة أخرى ميتة حتى رأيت جسد الثعبان الأسود ملتقاً على نفسه على مسافة ربما تبلغ تسعة أمتار من مكان وقوفي. ارتجف حصاني وتفقهقر.

هبطت من فوق صهوة الحصان وأنا ممسكة باللجام، واقتربت من الكائن الوحشي الذي كان في يوم ما كاردان. لقد ازداد حجمه وطوله بما يزيد على إحدى سفن مادوك، وبدا رأسه كبيراً حتى إنه إذا فتح فمه، سيصل طول ناب واحد من نابيه إلى نصف حجم السيف المثبت في ظهري.

كان الموقف مريعاً.

أجبرت قدمي على التحرك فوق الأعشاب الباهتة والمسودة. ورأيت خلف الثعبان الرايات ترفرف بفعل النسائم، وهي تحمل شعار مادوك.

قلت بهمس: "كاردان"، ولمعت الشبكة الذهبية للجام في يدي.

وكما لو أنه استجاب لندائي، فقد أرجع رأسه في حركة متمائلة كأنه يقيّم أفضل طريقة للهجوم.

قلت له بصوت متهدج: "أنا جود، جود، وإنك تحبني، هل تذكر؟ إنك تثق بي".

اندفع الثعبان يتحرك وزحف سريعاً فوق الأعشاب باتجاهي، فتضاءلت المسافة بيننا. انتشر الجنود، وهاجت الخيول، وقفزت الضفادع الضخمة تحتني بملاذ في الغابة متجاهلة راكبيها، وأسرعت الكلاب المسحورة في اتجاه قريب من البحر.

رفعت اللجام، ولم يكن بيدي شيء آخر أَدافع به عن نفسي. استعددت لإلقائه عليه، بينما توقف الثعبان على بُعد ثلاثة أمتار من مكاني، والتف حول نفسه.

ثم نظر إليَّ بعينه ذهبية الطرفين.

سرت ارتجافة في كل جسدي، وتعرّقت راحتي يديّ.

أعلم ما ينبغي لي فعله إذا أردت أن أهزم أعدائي، لكنني لم أعد أريد أن أفعل هذا.

ومع قربي إلى هذه الدرجة من الثعبان، لم أستطع التفكير إلا في اللجام وهو ينغرس في جلد كاردان، وفي حصاره إلى الأبد. كان إخضاعه لسيطرتي سابقًا فكرة مثيرة أمدتني بالشعور بالسلطة، وذلك عندما أقسم لي بالولاء، وعندما تعيّن عليه أن يطيعني لمدة سنة كاملة. شعرت بأنني إذا كان بوسعي التحكم في كل شيء وكل شخص، فلن يمسنني أي أذى.

خطوت خطوة أخرى تجاه الثعبان، ثم خطوة أخرى، ومع هذا القرب اندهشت من جديد من ضخامة هذا الكائن. ثم رفعت يدي بحذر ووضعتها على حراشفه السوداء، فشعرت بجفافها وبرودتها على يدي.

لم تقدم عيناه الذهبيتان إجابة، لكنني كنت أفكر في كاردان وهو راقد إلى جوارِي على الأرض في الجناح الملكي.

واستعدت ابتسامته الزئبقية.

فكرت في مدى كرهه لحصاره في هذه الحالة، ومدى الظلم في إبقائه في هذه الحالة باسم الحب.

إنك تعلمين بالفعل كيف تنهين هذه اللعنة.

همست له: "أنا بالفعل أحبك، وسأظل أحبك دائمًا".

وضعت اللجام الذهبي في حزامي.

أمامي طريقان، لكن أحدهما فقط هو الذي سيفضي بي إلى النصر.

لكنني لا أريد أن أنتصر على هذا النحو. ربما لن أعيش أبدًا من دون خوف، وربما ستضيع السلطة من قبضتي، وربما سيوجعني ألم فقدانه بأكثر مما يمكنني احتماله.

ومع هذا، فإذا كنت أحبه، لا يوجد سوى خيار واحد فقط.

استللت من ظهري السيف الذي استعرتة، وكان باستطاعة هذا السيف المسمى ممزق القلب أن يقطع أي شيء. لقد طلبته من سيفرين وأخذته إلى أرض المعركة، لأنني وبغض النظر عن مدى نفوري من هذا الأمر، فإن جزءًا مني كان يعلم ما سأختاره على الأرجح.

كانت عينا الثعبان ثابتتين، ثم تعالت بعض الأصوات المدهوشة من معشر الجان المجتمعين، وسمعت زئير مادوك.

بالنسبة له ليس من المفترض أن ينتهي الأمر على هذا النحو.

أغمضت عيني لكن لم يسعني إبقاؤهما هكذا، وفي حركة واحدة ضربت بالسيف اللامع رأس الثعبان، سقط السيف، وقد نفذ عبر الحراشف ووصل إلى لحمه وعظمه، وبعدها سقط رأس الثعبان عند قدمي، وقد خبا ضوء عينيهِ الذهبيتين.

كانت الدماء متناثرة في كل مكان، وصدرت ارتجافة مريعة من جسد الثعبان، وبعدها همد. وضعت سيف ممزق القلوب في غمده بيدين مرتعشتين، وكان جسدي كله يرتجف بشدة، حتى إنني سقطت على ركبتي فوق الأعشاب المسودة، وفوق تيار الدماء المتدفقة.

سمعت اللورد جاريل وهو يصيح بشيء ما، لكنني لم أتمكن من سماعه.

وأظن أنني كنت أصرخ.

ركض أفراد الجان المحيطين باتجاهي، وسمعت صليل السيوف وهسيس السهام وهي تخترق الهواء، وبدت كأنها قادمة من بعيد جدًا.

وتعالى في أذني لعنة فاليريان التي نطق بها قبل موته: لتبق يداك ملطختين دائمًا بالدماء، وليبق الموت رفيقك الوحيد.

قال اللورد جارييل وهو يوجه رمحه نحوي: "كان يجب أن تقبلي ما عرضناه عليك، ستكون فترة حكمك قصيرة جدًا، أيتها الملكة الفانية".

ثم ظهرت جريما موج فوق صهوة الظبي، وتلقت بسلاحها ضربة رمحه، وتعالى صوت صليل النصلين من قوة الضربات، وقالت له: "أولاً سوف أقتلك، وبعدها سأأكلك".

ثم انطلق سهمان أسودان من اتجاه الأشجار وانغرسا في حلق اللورد جارييل، الذي وقع من فوق صهوة جواده بينما انطلقت صرخة من ناحية قوات بلاط الأنياب، ولمحت شعر القنبلة الأبيض.

التفتت جريما موج لتقاتل ثلاثة فرسان من بلاط الأنياب. لا بد أنها كانت تعرفهم من قبل، ولا بد أنها كانت قائدة لهم من قبل، لكنها قاتلتهم بالقوة ذاتها.

تعالى صرخات أخرى من حولي، وتراجعت أصوات القتال، وعند ساحل البحر سمعت نفير بوق.

وفيما وراء الصخور السوداء، اضطربت المياه، وخرجت من الأعماق حوريات البحر وأسود البحر بجلدهم اللامع تحت أشعة الشمس، وظهرت نيكاسيا معهم وهي جالسة على ظهر سمكة قرش.

تردد صوت نيكاسيا عبر الميدان وهي تصيح: "إن مملكة البحار تحترم معاهدتها مع أهل البر ومع الملكة وتقدرها، ألقوا بأسلحتكم".

وبعد لحظات، اندفعت جيوش مملكة البحار إلى الشاطئ.

بعدها وجدت مادوك واقفًا أمامي. كانت وجنته وجزء من جبهته ملطخين بالدماء، وبدت على وجهه سعادة وفرحة عجيبة. إن جان القبعات الحمراء قد ولدوا من أجل هذا. ولدوا لإراقة الدماء والعنف والقتل. وأعتقد أن جزءًا منه كان سعيدًا لمشاركته معي في هذا الأمر، بل في هذه اللحظة، ثم قال لي مادوك: "هيا قفي".

لقد قضيت معظم حياتي وأنا أمتثل لأوامره. دفعت نفسي للوقوف على قدمي، وتحسست بيدي اللجام الذهبي في حزامي الذي عقدت فيه شعره، اللجام الذي كان يمكنني استخدامه لتطويعه، ولا يزال يمكنني تطويعه به. فقلت بصوت بدا غريبًا: "أنا لن أحاربك، ولن أسعد برؤية الشرائط تنغرس في بشرتك، لكنني أيضًا لن أشعر بالبؤس".

قال مادوك: "كفاك وعيدًا، فلقد انتصرت بالفعل، انظري".

حركني من كتفي وأدارني لأرى المكان الذي يوجد به جسد الثعبان الهائل. شعرت بذعر هائل، وحاولت التملص من قبضته، وحينها لاحظت تراجع أصوات القتال وتحديق معشر الجان؛ فمن داخل جسد الثعبان ظهر وميض.

وبعدها خرج كاردان عبر هذا الوميض، خرج كاردان عاريًا ومغطى بالدماء.

حيًا.

فقط بعد أن تسيل دماؤه، سينهض إلى الجان حاكم عظيم.

جثا كل الواقفين المحيطين بنا على رُكبهم، وجثت جريما موج، وجثا اللورد رويبين، حتى من كانوا ينوون القتال وقتل الآخرين منذ لحظات قليلة بدأ أنهم قد تراجعوا. وتطلعت نيكاسيا من مكانها في البحر، بينما جثا كل أفراد إلفهايم في حضرة الملك السامي، الذي عاد وولد من جديد.

قال مادوك لي بصوت منخفض: "سأحني رأسي لك، لك أنت فقط".

أخذ كاردان خطوة إلى الأمام، وظهرت تشققات صغيرة من أثر قدميه، تصدعات في هذه الأرض، ثم قال بدوي تردد صداه ووصل إلى كل المحتشدين: "لقد انفكت اللعنة وعاد الملك".

بدا مخيفًا كالثعبان.

لكنني لم أهتم، وركضت لألقي بنفسي بين ذراعيه.

الفصل 27

انغرست أصابع كاردان في ظهري. كان يرتجف، ولم أكن أدري ما إذا كان هذا نتيجة فك اللعنة أو مجرد شعور بالذعر. لكن كاردان كان يمسك بي كما لو كنت الشيء الوحيد الثابت في الدنيا.

اقترب الجنود منا، فتركني كاردان فجأة، وضغط على أسنانه في عزم، ثم أبعد الفارس الذي جاء يقدم له عباءته بعيدًا عنه، مع أنه لم يكن مغطى سوى بالدماء.

تحدث الملك السامي بصوت خشن ونبرة متناقلة لم يكد أي شخص يلحظها بسبب ما كان يعتربهم من اندهاش: "أنا لم أرتد أي شيء منذ أيام، ولا أرى سببًا يجعلني أفعل ذلك الآن".

وفي محاولة مني لمجاراته، دفعت نفسي للقول: "هل هذا بدافع التواضع؟"، وقد أدهشتني قدرته على المزاح بشأن اللعنة التي أصابته أو بشأن أي شيء في مثل هذا الموقف.

ابتسم لي ابتسامة واسعة ولا مبالية في الوقت نفسه، ابتسامة قد يتوارى المرء خلفها، وقال: "إن كل جزء مني يبعث على السرور".

آلمني صدري وأنا أنظر إليه، وشعرت كأنني لا أستطيع التنفس، ومع أنه كان واقفًا أمامي، لكن ألم فقدانه لم يكن قد ذوى بعد.

قالت جريما موج تخاطبني: "يا جلالة الملكة، هل تسمحين لي بتقييد والدك؟".

ترددت وأنا أفكر في اللحظة التي واجهته فيها باللجام الذهبي عندما قال: لقد انتصرت بالفعل.

ثم قال كاردان: "نعم، قيديه".

جرى إحضار عربة تآرجحت عجالاتها فوق الصخور، ثم أصدرت جريماً موج أوامرها ووضع
اثنان من قادة الجيش القيود على معصمي مادوك وكاحليه. كانت السلاسل الثقيلة تصدر
قرقعة حتى مع أوهن حركة. وقد وجّه الرماة سهامهم أثناء اقتياد القائدين لمادوك.

استسلم جيش مادوك، وأقسم أفراده على الخضوع مجدداً للملك. سمعت طنين الأجنحة،
وقعقة الدروع، وصيحات الجرحى، وخصّب جان القبعات الحمراء قبعاتهم بالدماء، وتغذى
بعض الجان الحاضرين على أجساد الموتى. ثم ظهر بعض الدخان في الهواء واختلط
بروائح البحر والدماء والطحالب. وانحسرت آثار الأدرينالين في الأجساد، وضامادات
الجرحى، واحتفاء المنتصرين التي تلت هذه المعركة القصيرة.

لعل الاحتفال قد بدأ بالفعل في القصر، وسيستمر لفترة أطول من فترة القتال نفسه.

في داخل العربة، استرخى كاردان في جلسته. حدقت إليه حيث كانت الدماء الجافة تمتد
في خطوط وتتجمع عند ثنيات جسده كحبات عقيق أحمر. ثم دفعت نفسي إلى النظر من
النافذة عوضاً عن النظر إليه.

سألني: "لكم من الوقت ظللت..."، ثم تردد.

فبادرت أجيبه: "لم يمضِ ثلاثة أيام، لم يمر وقت طويل على الإطلاق"، ولم أذكر له كم
بدت تلك الفترة طويلة عليّ.

وكذلك لم أذكر كيف كان سيبقى حبيساً داخل الثعبان إلى الأبد، وهو ملجّم ومنصاع أو
ميت.

كان يمكن أن يموت.

ثم وصلت العربة وهبطنا منها، وأحضر الخدم عباءة مخملية ضخمة من أجل كاردان، وفي
هذه المرة قبلها ولفها حول كتفيه ومضينا في طريقنا عبر القاعات الباردة تحت الأرض.

قال راندالين في نبذة تعاطف مفهومة: "لعلك تريد الاستحمام".

قال كاردان: "أريد أن أرى العرش".

ولم يرغب أحد في أن يعارضه.

كانت قاعة العرش ممتلئة بالموائد المقلوبة والفاكهة المتعفنة، والصدع الممتد على الأرض وصولاً إلى العرش المنقسم بأزهاره الذابلة. بسط كاردان يديه، فالتأم الصدع الممتد في الأرض، وتراجعت الصخور إلى أماكنها. ثم ثنى أصابعه، فعاد العرش المنقسم كأنه عرش جديد، يتفتح الورد عليه وتحول إلى عرشين منفصلين، بينما كان في السابق عرشاً واحداً فقط.

سألني: "هل يعجبك؟"، وكان سؤاله أشبه بسؤال شخص عما إذا كان يستمتع بمجموعة من النجوم اقتطفت له خصيصاً من السماء.

قلت بصوت تمؤله الدهشة: "رائع".

وبعدما بدا أنه أصبح راضيًا، سمح أخيرًا لرانداين باقتيادنا إلى الجناح الملكي الذي كان ممتلئًا بالخدم، وقادة الجيش، وأغلبية أعضاء مجلس المستشارين. وتم تجهيز الحمام للملك السامي، وجلب له الشراب الفاخر، إلى جانب كأس مزخرفة بالأحجار الكريمة. وأنشد فلا أنشودة عن ملك الثعابين، وبدا كاردان مأخوذًا بها ومذعورًا منها في الوقت نفسه.

لم أرغب في نزع درعي أمام كل هؤلاء الأفراد من معشر الجان، وهي لزجة لما علق بها من الدماء، لهذا تسللت إلى جناحي القديم.

لكنني عندما وصلت إلى هناك وجدت هيدر. كانت واقفة عند الأريكة وتحمل مجلدًا ضخماً، وقد بهت لون شعرها الوردية، بينما بدا كل شيء آخر فيها نابضًا بالحيوية، بادرت تقول لي:

"مبارك، وأرجو ألا تكون مباركتي هذه غريبة. فأنا لا أعلم كيف أتحدث عن القتال، لكنني سمعت بانتصارك".

ابتسمت وقلت مؤكدة لها: "لقد انتصرنا".

أخذت تجذب العقدة ذا الخيط المزدوج الذي يحيط برقبتها، والذي نُظمت به بصورة سيئة جداً ثمار توت الروان، وقالت: "لقد صنعت فيفي هذا العقد لي لكي أرتديه في الجلسة التالية للحفل". ثم بدا أنها لاحظت لأول مرة مظهري، فأسرعت تقول: "تلك ليست دمائك...".

قلت لها: "كلا، أنا بخير، هذه مجرد بقايا".

أومأت برأسها ببطء.

وقلت: "وكارداً أيضاً بخير".

وقع المجلد من يدها وسقط على الأريكة، وسألته: "إنه لم يعد ثعباناً كبيراً، أليس كذلك؟".

أجبتها: "لا، لكنني أظن أنني قد أكون مصابة بقرط التنفس. هذا ما تطلقونه على تلك الحالة، أليس كذلك؟ التنفس السريع جداً والشعور بالدوار؟".

سارت نحوي وبدأت تساعدني على خلع الدرع وهي تقول: "لا أحد في هذا المكان يعلم أي شيء عن الطب البشري، أليس كذلك؟ دعينا نزرع هذه عنك، ونرى إذا كان سيفيد في حالتك".

قلت لها: "تحدثي معي، أخبريني بقصة أخرى خيالية، أخبريني بأي شيء".

أجابت وهي تحاول معرفة كيفية فك الدرع: "حسًا، لقد أخذت بنصيحتك وتحدثت مع فيفي. وأخيرًا، أخبرتها بأنني لا أريد أن تؤخذ ذكرياتي مني، وأنني آسفة على أنني تركتها تعدني بهذا الوعد".

ساعدت هيدر في فك أحد مشابك الدرع، وقلت لها: "وهل فرحت؟".

أجابت: "لقد تشاجرنا، وصاحت إحدانا في وجه الأخرى، إلى جانب الكثير من البكاء".

قلت في تأثر: "أوه".

ثم سألتني: "هل تذكرين القصة الخيالية عن الثعبان الذي كان والده من نوعية الآباء المفرطين في العناية بأطفالهم، والذي تزوج من الأميرة؟".

رددت ما قالته: "المفرط في العناية". لقد غفوتُ حينما كانت تتحدث عن هذا الأمر في المرة السابقة، ولهذا ربما فاتني هذا الجزء.

استدركت هيدر: "عندما احترق الجلد الثعباني للفتى، تعيّن على الأميرة أن تستعيده عبر خوض تحدّ. وهذا ما قلته لفيفي بأنه يتعين عليها خوض تحدّ؛ حيث ستلتقي بي كمن تتعرف عليّ لأول مرة، وتمضي في الأمر بالشكل السليم هذه المرة، وستعمل على أن تخبرني بالحقيقة منذ البداية، وتقنعني ب صداقتها".

قلت: "يا إلهي!" أخيرًا خلعت الدرع، وسقطت على الأرض مصدرة صوتًا عاليًا، وأدركت أن حديث هيدر قد ألهاني بعض الوقت بحيث عاد تنفسي إلى طبيعته، وقلت لها: "إن هذا أمر خيالي حقًا. التحدي!".

مدت هيدر يدها لتمسك بيدي، وقالت: "إذا نجحت، فستعود كل ذكرياتي معها، لكن إذا لم تنجح فستكون هذه الليلة هي الليلة الأخيرة التي أراكما فيها".

قلت لها وأنا أجبها لأحتضنها بشدة: "أرجو أن تستمتعي في الحفل الليلة بالمشروبات حتى تنفذ كلها، لكن الأهم من هذا، أرجو أن تكون فيفي ماهرة بما يكفي حتى تستعيد صداقتك ثانية".

انفتح الباب ودخلت أوريانا، وبدا عليها الفزع عند رؤيتي، ثم انحنت بشدة من فورها حتى كادت جبهتها تلمس الأرض.

قلت لها وهي ترمقني بنظرة حادة: "ليس عليك أن تفعلي هذا"، كنت أرى أنها تفكر كثيرًا بشأن سلوكي كملكة سامية، والجميل أنه لا يسعها إخباري بأي من تلك الأفكار دون أن تتجاوز قواعدها هي بشأن ما هو لائق أو غير لائق.

ثم انتصبت قامتها، وقالت: "أرجو أن تشملي والدك بالرحمة، وهذا من أجل خاطر أخيك إن لم يكن من أجل خاطر أنت".

قلت لها وأنا أرفع درعي من على الأرض، وأسرع خارجة إلى الرواق: "لقد كنت رحيمة به بالفعل".

كان ينبغي لي ألا أغادر الجناح الملكي، لكن ربما كان الباعث القديم لديّ لفعل ذلك هو الذي يدفعني لتترك كاردان كي يحكم، بينما أعمل أنا في الظل. كان من المريح أن أبتعد عن كل تلك الأعين المحدقة. لكن بعيدًا عن كاردان كان كل شيء يحمل لمسة غير واقعية، وخشيت أن تكون اللعنة لم تنته، وأن كل ما جرى محض خيال لعقل محموم. عدت سريعًا عبر القاعة من حيث أتيت، وأنا لا أردي سوى سترة القتال المبطنة وأغطية القدمين التي أرديها تحت درعي.

عندما عدت، وجدت أن كاردان قد ذهب مع كل أصحاب المقام الرفيع. وكانت مياه الحمام لم تزل دافئة، ولم تزل الشموع مضاءة، لكن الجناح كان خاويًا.

قالت تاترفيل وهي تتقدم نحوي - ولا أعرف من أين جاءت - وقد تسببت في فزعي: "لقد أعدت تجهيز الحمام بالمياه، هيا إن مظهرك مربع".

سألته: "أين كاردان؟"، بينما بدأت أخلع بقية ملابسني.

أجابت: "في قاعة العرش، هناك مكان آخر؟ انتبهي، فإنك أنتِ التي تأخرتِ عليه، لكن باعتبارك بطلة هذه المرحلة فلا بأس، لأنني سأجعلك تبدين رائعة الجمال".

دخلت إلى حوض الاستحمام في انصياع، وقد شئت دخولي إلى الحوض بتلات زهور الربيع الطافية على صفحة المياه فيه، وقلت لها: "هذا يبدو كعمل شاق يُلقى على كاهلك". كان ملمس المياه الدافئة ممتعًا فوق عضلاتي المجهدة، فتركت نفسي أنغمر تحت سطح المياه. إن المشكلة عند المرور بأمر مربع وهائل أنه بعد انتهائه يبقى الإحساس لديك بكل المشاعر التي حبستها ودفعتها بعيدًا. فعلى مدى عدة أيام طويلة كنت أشعر بالذعر، والآن عندما تعين عليّ أن أكون في أفضل حالاتي، فإن كل ما كنت أريد فعله هو الاختباء مع كاردان تحت مائدة في قاعة العرش حتى أقنع نفسي أخيرًا بأنه بخير.

وربما يمكنني احتضانه إذا كان هذا ما يريده.

خرجت من حوض الاستحمام، وأزحت شعري إلى الورااء بعيدًا عن عينيّ، فناولتني تاترفيل المنشفة، وقالت تعليماتها: "امسحي الدماء الموجودة على مفاصل أصابعك".

ومرة أخرى، قامت بتصفيف شعري على شكل قرنين، لكنها ضفرته هذه المرة بخيوط ذهبية. وكانت قد أعدت لي سترة مخملية طويلة من البرونز، وألبستني فوقها معطفًا جلدًا من البرونز ذا ياقة عالية منثنية ورداء للكتفين يتحرك مع أطف النسومات. وأخيرًا، لبست قفازين برونزيين واسعي الأطراف.

مع ارتدائي ملابس بهذه الأناقة كان من الصعب أن أمر إلى قاعة العرش دون أن يلاحظني أحد، حتى إذا لم تنطلق الأبواق معلنة دخولي.

صاح أحد الخدم معلناً حضوره بصوت هادر: "الملكة السامية لإلفهايم، جود دوارتي".

رأيت كاردان جالسًا إلى رأس المائدة، وعلى الرغم من وجوده على الجانب المقابل في القاعة، فإنني شعرت بحرارة نظرتة.

كانت الموائد الطويلة قد جُهزت للوليمة اللائقة بهذا الحدث. وتكدست كل الأطباق بألوان الطعام: من الفاكهة والبندق والخبز المحشو بالتمر. وعبأت المكان رائحة الشراب الفاخر المحلى بالعسل.

سمعت المغنين والشعراء وهم يتنافسون في نُظم الكلمات الملائمة في مؤلفاتهم الجديدة، وكان الكثير منها تكريمًا للملك الثعبان، وواحدة على الأقل تكريمًا لي، ومن بين ما قالوه:

استلت ملكتنا سيفها وأغمضت عينيها،

وقالت: "لقد ظننت أن الثعبان سيكون أضخم حجمًا".

أقبلت مجموعة أخرى من الخدم من المطابخ، وهم يحملون الصواني المكدسة بلحم باهت اللون ومحضّر بطرق مختلفة - المشوي والمسلوق مع الزيت والمحمص والمطهو. واستغرقت دقيقة حتى تبينت طبيعته، لقد كان لحم الثعبان؛ لحمًا مُقَطَّعًا من جسم الثعبان الضخم الذي كان يبتلع ملكهم السامي، وقد يمدهم ببعض السحر. نظرت إلى اللحم وشعرت بتشوش شديد باعتباري كائنًا فانيًا. إن بعض أساليب أرض الجان لن تكف أبدًا عن إثارة فزعي.

أمل ألا يكون كاردان منزعجًا. وهو بالتأكيد بادي الفرح، ويضحك بينما يملأ أفراد الحاشية أطباقهم.

سمعته يقول مع أنني لاحظت أنه لا يتناول شيئًا من هذا اللحم: "لقد افترضتُ دائمًا أنني سأكون شهّي الطعم".

ومرة أخرى تخيلت هبوطي تحت المائدة واختبائي كما فعلت عندما كنت طفلة، وكما فعلت معه عقب التتويج الدموي.

لكنني ذهبت إلى المائدة الكبرى وجلست إليها، وكان مكاني يقع - بالطبع - على الرأس الآخر المقابل للمائدة. وحدق أحدنا إلى الآخر عبر امتداد الأواني الفضية والمفارش القماشية والشموع.

ثم نهض، وصمت كل الموجودين من معشر الجان، وقال الملك السامي: "في الغد سنتعامل مع كل ما قد حل بنا"، ورفع كأسه عاليًا، وواصل يقول: "لكن الليلة دعونا نتذكر انتصارنا وخداعنا وفرحة بعضنا ببعض".

وشربنا جميعًا نخب هذا.

كانت هناك أغاني - مجموعة تبدو كأنها لا حصر لها من الأغاني - وأعداد من الأطباق تكفي حتى لفانية مثلي أن تأكل حتى تشبع. شاهدت هيذر وفيفي تمران عبر الموائد لترقصا معًا، ورأيت القنبلة والصرصور جالسين في ظلال العرشين المعاد تشكيلهما، وكان الصرصور يقذف بحبات العنب في فمها، ولم يخطئ الإصابة ولو لمرة واحدة. بينما كانت جريما موج تناقش أمرًا مع اللورد روبيين، وكان نصف طبقها ممتلئًا بلحم الثعبان ونصفه الآخر بلحم آخر لم أميزه. وجلست نيكاسيا في مقاعد كبار الزوار، التي لم تكن بعيدة عن المائدة الكبرى، وكان رعاياها يحيطون بها. ورأيت تارين بالقرب من الموسيقيين تحكي قصة وهي تحرك يديها في حماس، وأيضًا رأيت الشبح وهو ينظر إليها.

ثم قال شخص ما: "بعد إذن جلالتك"، ورأيت راندالين، وزير مفاتيح المملكة، واقفًا عند كتف كاردان.

قال كاردان وهو يتكئ إلى المائدة: "سيادة المستشار"، وكانت جلسته المتراخية تشي بعدم تركيزه، ثم سأله: "هل كنت تأمل في الحصول على بعض من كعكات العسل الصغيرة

هذه؟ كان يمكنني أن أمررها لك عبر المائدة دون أن تقوم من مكانك".

أجاب راندالين: "هناك مسألة الأسرى - مادوك وجيشه وما بقي من قوات بلاط الأنياب، وأمور أخرى كثيرة كنا نأمل في مناقشتها معك".

أصر كاردان قائلاً: "في الغد أو في اليوم الذي يليه أو ربما في الأسبوع التالي". ثم نهض بعدها وشرب كثيرًا من كأسه، ثم وضعه على المائدة، وسار إلى حيث أجلس.

سألني وهو يمد إليّ يده: "هل تسمحين بالرقص معي؟".

قلت وأنا أنهض: "ربما تذكر أنني لست بارعة في الرقص". آخر مرة رقصنا فيها معًا كانت في ليلة تنويج الأمير داين، قبل أن يتحول كل شيء إلى كارثة، فقد كان ثملًا تمامًا.

سألني وقتها: أنت تكرهيني حقًا، أليس كذلك؟

أجبت: بقدر كراهيتك لي تقريبًا.

جذبني إلى حيث يحث عازفي آلة الكمان جميع الحضور على الرقص أسرع فأسرع، وعلى اللف والدوران والقفز، وأحاط يديّ بكفيه.

قلت له: "أنا لا أدري عما أعتذر عنه أولاً: قطع رأسك أم تردي في ذلك. أنا لم أرد أن أضيّع القليل الذي تبقى لي منك، ولا يمكنني تجاوز التفكير في مدى روعة أنك على قيد الحياة".

فقال لي: "إنك لا تعلمين لكم من الوقت ظللت أنتظر لكي أسمع منك تلك الكلمات؛ إنك لا تريدني أن أموت".

قلت: "إذا كنت تمزح بهذا الشأن، فسوف...".

رفع حاجبيه الأسودين وقاطعني ليسأل: "تقتليني؟".

أعتقد أنني في نهاية المطاف قد أكرهه بعض الشيء.

ثم أخذ كاردان يدي بين يديه وجذبني بعيدًا عن بقية الراقصين نحو غرفة سرية تقع خلف المنصة أراني إياها سابقًا. كانت الغرفة كما كنت أتذكرها بجدرانها المليئة بالطحالب، وأريكتها المنخفضة التي تقع تحت طبقة من فطر عيش الغراب المتألق على نحو خافت.

ثم قال وهو يجلس على الأريكة: "إنني أعرف كيف أتصرف بقسوة، أو أضحك فقط عندما أشعر بالارتباك".

تركت يده، وظللت واقفة. كنت قد وعدت نفسي بأنني سأقولها، فقط إذا تسنت لي فرصة أخرى. لقد وعدت نفسي بأن أقولها في أول لحظة يمكنني فيها ذلك.

قلت له مباشرة: "أنا أحبك". وقد خرجت كلماتي باندفاع غير مفهوم.

دُهِش كاردان أو ربما أكون تحدثتُ بنبرة سريعة جدًا حتى إنه لم يكن واثقًا بما قلته، ثم قال أخيرًا بتمهل شديد: "إنك لا تحتاجين إلى قولها بدافع الشفقة، أو لأنني كنت واقفًا تحت تأثير اللعنة، لقد طلبت منك سابقًا وفي هذه الحجرة على وجه التحديد أن تكذبي عليّ، لكنني أرجو ألا تكذبي عليّ الآن".

احمرت وجنتاي لذكرى تلك الأكاذيب.

وواصل يقول: "لقد جعلتُ مسألة حبي عسيرة على الآخرين". وتذكرتُ صدى كلمات والدته في تلك الجملة.

عندما تخيلت نفسي وأنا أخبره بها، تخيلت أنني كنت سأقول الكلمات كما لو كنت أنزع ضمادة - بطريقة مؤلمة وسريعة، لكنني لم أعتقد أنه قد يتشكك فيها. قلت له: "لقد بدأ إعجابي بك عندما ذهبنا للتحدث عن قواعد التعامل مع حكام البلاط الأدنى، لقد كنت مضحكًا، وكان هذا غريبًا. وعندما ذهبنا إلى القصر الأجوف، كنت ماهرًا. وظللت أتذكر كيف

كنت أنت الذي أخرجنا من قاعة العرش بعد تتويج داين، ومباشرة قبل أن أضع السكين على رقبتك".

لم يحاول مقاطعتي، ولهذا لم يكن أمامي خيار سوى مواصلة كلامي.

وقلت: "بعد أن خدعتك لتصير الملك السامي، ظننت أنك تكرهني، وكنت سأكرهك في المقابل لكنني لم أفعل. شعرت بحماقة شديدة وظننت أن قلبي سينكسر، ظننت أن هذا ضعف ستستخدمه ضدي، لكنك حينها أنقذتني من الأسر في مملكة البحار في الوقت الذي كان يمكنك فيه أن تتركني ببساطة لتتعفن هناك. وبعدها، بدأت أمل في استعادة مشاعري تجاهك، ثم حدثت واقعة النفي..."، سحبتُ نفسًا متقطعًا ثم واصلت: "أظن أنني أخفيتُ عنك الكثير، وكنت أعتقد أنني إذا لم أفعل، وإذا سمحت لنفسي بحبك، فإنني كنت سأحترق كعود كبريت، بل كعلبة كاملة من الكبريت".

قال كاردان: "لكنك الآن أوضحت الأمر، وأنتِ بالفعل تحبينني".

قلت مؤكدة: "أنا أحبك".

قال مبتسمًا: "لأنني ماهر ومضحك، لكنك لم تذكرني وسامتي".

استدركت أقول: "أو جاذبيتك، مع أنها صفات رائعة".

جذبني نحوه بحيث استلقينا على الأريكة، نظرت إلى سواد عينيه ونعومة فمه، ومسحت نقطة دم جفت أعلى إحدى أذنيه المدببتين، وسألته: "كيف كان الأمر، أي كونك ثعبانًا".

تردد قليلاً ثم أجابني: "كان الأمر أشبه بالحبس في الظلام. كنت وحيدًا، وكانت غريزتي التلقائية هي الهجوم. ربما لم أكن حيوانًا بالكامل لكنني أيضًا لم أكن على طبيعتي، ولم أستطع التفكير، بل حركتني المشاعر فقط - الكراهية والتخوف والرغبة في التدمير".

هممت بالكلام، لكنه استوقفني بإشارة من يده، وواصل يقول: "وأنتِ؟". ثم رمقني بنظرة ملؤها الاشتياق، فقلت: "ربما لم أعرف في حياتي سوى القليل من الأشياء عن قرب وعلى نحو جيد، لكنني دائماً ما عرفت حقيقتك على أفضل نحو ممكن".

وعندما احتضنني، شعرت أخيراً كأنني أستطيع التنفس ثانية.

خاتمة

حلّ موعد تتويجي بعد أسبوع، وتفاجأت من الأعداد الكبيرة لحكام ممالك البلاط الأدنى ممن جاءوا بصحبة رعاياهم حتى يشهدوا تتويجي. والمثير للاهتمام أن الكثيرين منهم تحملوا مشقة إحضار أفراد من البشر باعتبارهم ضيوفًا، من الأطفال المبدولين والفنانين والعشاق. وكان أمرًا خياليًا أن أرى كل هذه المحاولات لتملقي ونيل استحساني، وكان الشعور الناتج عن هذا مُرضيًا لي إلى أبعد حد.

اختار كاردان ثلاثة من الصُناع المهرة كي يتيح لهم أماكن إقامة في إلفهايم، كانت الأولى من بينهم هي الأم مارو، والثاني هو عفريت يبدو كأنه ينتمي إلى زمن سابق وكان وجهه متواريًا خلف لحية كثيفة ضخمة مضفّرة، وتفاجأت عندما وجدت أن الثالث حداد فان، كان من معارف والدي البشري. عندما جلست مع روبرت من ولاية نيو جيرسي، قضى وقتًا يبدي إعجابه بسيفي قاهر الظلام وأخبرني بقصة مضحكة عن مؤتمر حضره هو وأبي منذ عقد من الزمان.

وبمجرد أن استقر الصناع في أماكنهم الجديدة، انخرطوا في العمل.

بدأ الحفل مع حلول الليل، وأقمناه تحت نجوم الجزيرة الجديدة إنسير. أضيئت المشاعل وامتلأت السماء برذاذ البحر ورائحة البخور، وافترشت الأرض تحت أرجلنا أزهار نبات القبس التي تزهر تحت ضوء القمر.

كنت أرتدي فستانًا باللون الأخضر الداكن، وعليه ريش غراب عند الكتفين والكمين، بينما ارتدى كاردان سترة مزخرفة بأجنحة خنفساء لامعة، وارتدى بافين أحد أرديته الطويلة الكحلية - ووضع الكثير من الحلويات الأنيقة في لحيته - وكان هو المسئول عن إجراء المراسم.

كان أوك يرتدي ثوبًا باللون الأبيض وأزراره باللون الذهبي، وقبّلته تارين على جبهته لتشجيعه؛ لأنه كان المكلف بأن يضع التاجين على رأسينا أنا وكاردان.

استهل بافين كلامه قائلاً: "قضت التقاليد لفترة طويلة أن تقام مراسم تتويج سلالة جرينبريال في البلاط السامي، حيث يقدم الملك السابق التاج لخليفته، ومع أن التاج قد دُمر وانتهت معه العهود بالطاعة، فإننا سنظل نتبع المراسم، وعلى هذا الأساس فلتقبل أيها الملك السامي تاجك الجديد من أوك، أخيك برابطة الدم ووريثك".

بدا أوك غير سعيد لتلقيه بالوريث، لكنه أخذ التاج من فوق الوسادة، وكان التاج عبارة عن دائرة ذهبية بها تسعة أشكال لأوراق شجر تحيط بالتاج. ولأنه من غير المفترض أن يحني الملك السامي رأسه لأحد، قامت فيفيان برفع أوك، ووضع أخي التاج الجديد فوق رأس كاردان وهو يضحك وسط فرحة الحشود.

استخدم بافين الكلمات المراسمية التي لم يسمعها كاردان من قبل، نظرًا لما حدث في المراسم السابقة، وقال: "يا معشر جان إلفهايم، هل تقبلون كاردان من نسل جرينبريال ملكًا ساميًا عليكم؟".

علا صوت الحشد: "نقبل".

ثم جاء دوري، فقال بافين: "من غير المألوف في أي بلاط أن يكون به حاكمان، لكنك أيتها الملكة السامية جود دوارتي قد أظهرت لنا لماذا قد يمثل هذا قوة بدلًا من أن يمثل ضعفًا. عندما تعرض البلاط السامي للتهديد، وقفت في مواجهة أعدائنا، وأنهيت اللعنة التي كان بإمكانها تدميرنا. تقدمي واقبلي التاج من أوك، أخيك ووريثك".

تحركت إلى الأمام، ثم وقفتُ بينما أمسكت فيفيان أخي ثانية بين ذراعيها لترفعه فوضع التاج فوق رأسي. كان التاج مطابقًا لتاج كاردان، وتفاجأت من ثقل وزنه.

قال بافين: "يا معشر جان إلفهايم، هل تقبلون جود دوارتي ملكة سامية عليكم؟".

للحظة ساد الصمت، وظننت أنهم سيرفضونني، لكن الكلمة المعتادة خرجت من أفواه الكثيرين الذين صاحوا: "نقبل".

ابتسمت تلقائيًا ابتسامة واسعة في وجه كاردان، فابتسم لي بدوره، وبدا متفاجئًا بشكل ما، ربما لأنني نادرًا ما أبتسم هكذا.

استدار كاردان نحو الحشد الواقف أمامنا وقال: "والآن لدينا مكافآت نريد توزيعها، وحدثت خيانات نريد حساب مرتكبيها. أولًا المكافآت".

ثم أشار إلى الخدم الذين قاموا بإحضار سيف مادوك، السيف الذي شق عرش إلفهايم.

وقال: "نهدي هذا السيف إلى جريما موج قائدة الجيوش. ستحصلين على آخر ما صنع الحداد جريمسين وتحملينه طوال فترة بقائك في خدمتنا".

فتسلمته بانحناءة شاكرة، ووضعت يدها على قلبها.

وتابع يقول: "تارين دوارتي، إن محاكمتك لم تنته قط بصورة رسمية، لكن لنعتبرها قد انتهت الآن لصالحك. ولم تعد هناك خصومة لبلاط إلفهايم معك، وسنمنح كل ضيعات لوك وأراضيه لك ولجنينك".

سرت غمغمات حينها، وتقدمت تارين إلى الأمام لكي تنحني في احترام.

وقال كاردان: "وأخيرًا، نود أن يتقدم أصدقاؤنا الثلاثة من مجلس الظلال إلى الأمام".

سار الشبح والقنبلة والصرصور على بساط من الورد الأبيض، وكانوا ملتحفين بعباءات تغطي كل واحد منهم من رأسه حتى أخمص قدميه، بل كانوا يغطون حتى وجوههم بلثم خفيفة من الشبك الأسود.

أشار كاردان، فجاءت خادمة وهي تحمل عددًا من الوسائد، وفوق كل واحدة منها قناع فضي لا يشي بهوية مرتديه وهو عبارة عن وجه معدني أجوف خفيف تعلوه ضحكة خبيثة عند زاوية الفم.

قال كاردان: "يا مَنْ تقيمون وسط الظلال، أرجو منكم أن تقفوا معنا في النور قليلاً. أهب لكل منكم قناعًا عندما ترتدونه لن يتمكن أحد من تذكر طولكم أو نبرة صوتكم، ولن يستطيع أحد في إلفهايم صدكم. ستنتفتح كل المساكن أمامكم، بما فيها قصري".

انحنى الثلاثة ووضعوا الأقنعة على وجوههم، وعندما فعلوا ذلك صار هناك تشوش في صورهم.

وقال أحدهم: "هذا لطف منك أيها الملك"، ومع أنني أعرفهم جيدًا، لكنني لم أستطع تمييز أي منهم الذي تحدث. لكن ما لم يستطع القناع إخفاءه - بعد أن انحنوا وبدأوا يغادرون المنصة - هو الطريقة التي أخذ بها أحد المقنعين يد مقنعة أخرى ترتدي قفازًا.

أو الطريقة التي استدار بها المقنع الثالث بوجهه المعدني اللامع تجاه تارين.

ثم حان دوري لأتقدم إلى الأمام، أحسست بوخز معدتي من شدة التوتر. فقد أصر كاردان على أن أكون أنا من يصدر الحكم على الأسرى. إذ سبق أن قال لي: لقد انتصرت، وقمتِ بجمل العمل الشاق، لذا فأنتِ من ستقررين مصيرهم.

أيًا كان العقاب الذي كنت أراه ملائمًا، بداية من الإعدام مرورًا بالنفي ووصولًا إلى اللعن، فإنه سيعتبر عادلًا ولا سيما إذا كان ملائمًا للجرم الذي ارتكب.

قلت: "سنرى الآن أصحاب الالتماسات". تحرك أوك جانبًا ووقف بين تارين وأوريانا.

تقدم فارسان وجثوا على ركبتيهما. وتحدث أحدهما أولاً فقال: "لقد كُلفت بتقديم الالتماس نيابة عنن يتماثل أمرهم مع أمري. كنا في السابق جزءًا من جيش إلفهايم، لكننا التحقنا

يارادتنا بالقائد مادوك في معسكر الشمال، حيث رفع عنا عبء الالتزام بعهودنا، لقد قمنا بخيانة الملك السامي و..."، تردد الفارس عندها لكنه واصل يقول: "سعيينا لإنهاء حكمه. كنا مخطئين في ذلك، ونرغب في التكفير وإثبات أن باستطاعتنا أن نكون مخلصين، وسنكون مخلصين بداية من هذا اليوم فصاعدًا".

ثم تحدث الفارس الثاني قائلاً: "لقد كُلفت بتقديم الالتماس نيابة عنن يتماثل أمرهم مع أمري. كنا في السابق جزءًا من جيش إلفهايم، لكننا التحقنا بإرادتنا بالقائد مادوك في معسكر الشمال حيث رفع عنا عبء الالتزام بعهودنا، لقد قمنا بخيانة الملك السامي وسعيينا لإنهاء حكمه. ولا نرغب في التكفير عن جرمنا، لقد تبعنا قائدنا بإيمان ومع أننا سنتلقى العقاب، لكننا ما كنا لنفعل شيئًا غير ما فعلناه".

نظرت ثانية إلى الحشد، وإلى ساكني إلفهايم ممن قاتلوا ونزفوا، ومن أسفوا على من قتل من الأرواح - أرواح كانت لتعيش قرونًا من الزمان لو لم تنته حياتها على هذا النحو. أخذت نفسًا عميقًا.

وقلت: "من تعبيراتنا في البلاط السامي أن نطلق على الجنود اسم الصقور"، تفاجأت من ثبات صوتي أثناء الحديث، ثم واصلت أقول: "وبالنسبة لمن لا يرغبون في التكفير عما فعلوه. فلتكونوا صقورًا، ترفرف في السماء وتبحث عما ترضي به قلوبها، لكنكم لن تعودوا لأشكالكم الحقيقية حتى تمتنعوا عن إيذاء أي كائن حي لفترة عام كامل".

سأل الفارس: "لكن كيف سنأكل إذا لم يكن بإمكاننا إيذاء أي كائن؟".

وبأقصى برودة ممكنة أجبته: "يجب أن تكفي طيبة الآخرين حتى تبقيك على قيد الحياة. أما بالنسبة لمن يرغبون في التكفير عما فعلوه، سنقبل منكم عهودكم بالولاء والحب. وستعودون ثانية جزءًا من البلاط السامي. لكنكم ستوسمون بخيانتكم. وستكون أياديكم دائمًا حمراء، كأنها ملطخة بالدماء التي أردتم إراقتها".

ابتسم كاردان لي ابتسامة مشجعة، وبدا الانزعاج على وجه راندالين لقيامي وحدي بإعلان العفو أو العقوبة، وتنحنح لكنه لم يجرؤ فعليًا على مقاطعتي.

وكانت صاحبة الالتماس التالي السيدة نور من بلاط الأنبياب، وجاءت الملكة سورين وراءها. كان تاج الملكة سورين لا يزال مخيطًا في رأسها، ومع أنه لم يعد يوجد رسن يقيدها، فإن التجويف في معصمها كان موجودًا والجلد الدامي حوله لم يندمل.

ناديت الخدم لتقديم اللجام، الذي لم يتم استخدامه.

جثت السيدة نور على إحدى ركبتيها وهي تقول: "كنا سنتبعك. لقد قدمنا لك عرضًا وأنت التي رفضته. دعينا نعد إلى الشمال، ألم نعاقب بما فيه الكفاية؟".

سألته وأنا أشير إلى اللجام: "ألم يحاول اللورد جاريل أن يحتال عليّ ويستعبدني. هل كنت تعلمين هذا؟".

ونظرًا لأنها لا تستطيع الكذب، لم تنطق.

سألت سورين: "وأنت؟".

ضحكت الفتاة ضحكة وحشية مخيفة، وقالت بصوت نحيف ومتحشرج كأنها لا تستعمل صوتها على الإطلاق: "أنا أعلم كل الأسرار التي يعتقدان أنهما يخفيانها".

وجدت أحدهم يجذب كمي، واندعشت لرؤية أوك إلى جواربي. أشار لي حتى أنحني ليهمس في أذني، فازداد عبوس راندالين عندما فعلت ذلك.

وقال يذكّرني: "هل تذكرين عندما قلت إننا لا نستطيع مساعدتها، يمكننا مساعدتها الآن".

وقفت ثانية، ونظرت إليه وقد وافقته على رأيه، ثم قلت: "إذن أنت تريد التشفع للملكة سورين؟".

أجاب: "نعم".

أعدت أوك إلى أوريانا، وقد تفاءلت قليلاً لأنه قد يريد في يوم من الأيام الجلوس على عرش الجان. وقلت: "لقد طلب أخي أن أرفق بالملكة سورين، فهل تقسمين على الولاء للتاج؟".

نظرت سورين إلى السيدة نور، كما لو كانت تتطلع لأخذ الإذن منها، فأومأت السيدة نور بالإيجاب.

قالت الفتاة: "ولائي لك أيتها الملكة السامية"، ثم تحول بصرها نحو كاردان وقالت: "ولك أيها الملك السامي".

استدرت إلى السيدة نور، وقلت: "أود أن أسمعك تقسمين بالولاء لملكك".

بدا الفزع على وجه السيدة نور، وأجابت: "بالطبع أتعهد لك بالولاء...".

قاطعتها وهززت رأسي: "لا، أريدك أن تتعهدي لها هي، ملكتك، ملكة بلاط الأنياب".

سألني في خوف: "سورين؟". ثم دارت عيناها في محجريهما، كما لو كانت تبحث عن مخرج، ولأول مرة منذ وقوفها أمامي بدا الخوف جلياً على السيدة نور.

أجبتها: "نعم، تعهدي لها. إنها ملكتك، أليست كذلك؟ إما أن تتعهدي لها بالولاء أو ترتدي اللجام الذهبي".

ضغطت السيدة نور على أسنانها ثم تمتت بالكلمات المطلوبة في صوت منخفض، فيما بدا التعبير على وجه الملكة سورين غريباً وشارداً.

قلت: "جيد. سيحتفظ البلاط السامي باللجام على أمل عدم الحاجة إلى استخدامه أبداً. أيتها الملكة سورين لأن شقيقي قد تشفع من أجلك، فسأدعك تذهبين دون عقاب سوى

انتهاء عهد بلاط الأنبياء".

فشهقت السيدة نور.

وواصلت أقول: "ستعود أراضيكم إلى البلاط السامي، وستلغى ألقابكم، وستصادر قلاعكم. وفي حال حاولتِ يا نور التصدي لهذا الأمر، فتذكري أن سورين - التي تعهدتِ بالولاء لها - ستعاقبكِ بأية طريقة تراها مناسبة. والآن اذهبا وكونا ممتنتين لشفاعة أوك".

ابتسمت سورين - التي لم تعد ملكة فعلية - بطريقة غير ودية على الإطلاق، ولاحظت أن أسنانها قد تحولت إلى نقاط صغيرة بأطراف ملطخة بلون أحمر مخيف. وفكرت لأول مرة في احتمالية إبقاء سورين مقيدة طوال الوقت خوفًا مما قد تفعله إذا لم تكن مقيدة.

ثم أحضر صاحب الالتماس الأخير وهو مادوك. وكان كل من معصميه وكاحليه مقيدين بمعدن ثقيل، وشعرت بالقلق من امتزاج هذا المعدن بالحديد بسبب الألم الذي رأيتته مرتسمًا على وجهه.

لم ينحن مادوك أو يتوسل، بل أخذ ينقل نظره بيننا، ثم انتقلت نظرتي إلى أوك وأوريانا. ورأيت عضلة فكه تتحرك في تأثر، لكنه لم يزد على ذلك.

حاولت أن أتحدث لكنني شعرت بأن حنجرتي قد انسدت.

سأل كاردان: "أليس لديك ما تقولينه؟ لقد كان لديك الكثير سابقًا".

أمال مادوك رأسه نحوي، وقال: "لقد استسلمتُ في ساحة المعركة، ماذا هنالك أكثر من ذلك؟ لقد انتهت الحرب وخسرتُ".

سألته: "هل تمضي إلى الإعدام بهذا الثبات؟". وعلى مقربة سمعت صوت أوريانا وهي تشهق.

بينما بقى مادوك متجهماً ومستسلماً، وقال: "لقد ربيتك لتكوني عنيدة، ولا أطلب سوى ميتة شريفة وسريعة بدافع المحبة التي كانت بيننا، واعلمي أنني لا أحمل لك أية ضغينة".

منذ انتهاء المعركة، علمت أنني سأضطلع بعبء الحكم عليه، وقد راجعت مسألة العقوبة في عقلي. ولم أفكر في جيشه الذي كونه وفي تحديه لنا، ولم أفكر في مبارزتنا فوق الجليد فقط، وإنما أيضاً في الجريمة القديمة، الجريمة التي ظلت تفصل بيننا دائماً. هل أحتاج إلى الانتقام لمقتل والدي؟ هل هذا دين يتعين عليّ سداذه؟ إن مادوك سيتفهم هذا، سيتفهم أن الحب يأتي قبل الواجب.

لكنني تساءلت عما إذا كان ما أدين به لوالديّ يتمثل في تصور أكثر مرونة للحب والواجب، تصور ربما يكونان قد آمنا به مسبقاً. ثم قلت لمادوك: "لقد أخبرتك سابقاً بأنني غرس يديك، لكنني لست هكذا وحسب، فلقد ربيتني لأكون عنيدة ومع هذا تعلمت منح الرحمة، وسأظهر لك بعض الرحمة إذا أظهرت لي استحقاقك لها".

نظر إليّ باندهاش وبشيء من الحذر.

قال راندالين وقد بدا غضبه واضحاً بسبب انفرادي بإصدار كل القرارات النهائية: "يا مولاي، لا بد أن لديك ما تقوله بخصوص كل...".

قال كاردان بحدة وقد تغيرت طريقتة تماماً: "صمتاً". ونظر إلى راندالين كما لو كان الحكم التالي قد يصدر على وزير مفاتيح المملكة نفسه، ثم أوماً لي قائلاً: "جود، لقد وصلت إلى الجزء المشوق من المحاكمة".

لم أحوّل بصري عن مادوك، وقلت: "أولاً: ستقسم على نسيان الاسم الذي تعلم أنني أتحدث عنه، سوف تزيله من عقلك، ولن تلفظه أبداً من شفتيك أو تكتبه بأصابعك".

سألني وقد ظهر على شفتيه شبح ابتسامة: "هل تودين سماعه أولاً؟".

لم يبذُ الظرف مناسبًا لإخباره بأنني أعلمه بالفعل، فأجبتُه: "لا أريد. ثانيًا: عليك أن تقسم لنا بالولاء والطاعة، وثالثًا: عليك القيام بهذين الأمرين قبل سماع الحكم بشأن جرائمك، الذي سأصدره عليك على أية حال".

رأيتُه في صراع مع كبريائه؛ جزء منه يريد أن يكون كالجنود الذين رفضوا التكفير عن خطئهم، وجزء منه يريد أن يذهب إلى قبره وهو مرفوع الرأس مُصرًا على موقفه، وجزء ثالث منه لا يريد أن يذهب إلى القبر على الإطلاق.

وأخيرًا قال: "أريد الرحمة، أو كما قلتِ بعضًا منها، أو شيئًا شبيهًا بها".

أخذت نفسًا عميقًا وقلت: "أحكم عليك بأن تمضي بقية حياتك في العالم الفاني وألا تلمس بيديك سلاحًا أبدًا".

ضغط فمه حتى بدا خطًا نحيلًا، ثم حنى رأسه، وقال: "كما تشائين يا جلالة الملكة".

همست والجنود يقودونه إلى الخارج: "إلى اللقاء يا والدي". قلتها بهدوء ولا أعتقد أنه سمعها.



بعد التتويج قررت أنا وتارين مرافقة فيفي وأوك، اللذين توجهوا للعودة إلى العالم الفاني. الآن وبعد أن انتهت الحرب، يمكن أن يعود أوك إلى أرض الجان ويذهب إلى مدرسة القصر كما حدث معي أنا وتارين، لكنه يريد أن يعيش لفترة أطول بين البشر. ليس لأنه عاش هناك أغلب سنوات عمره الأخيرة، لكن لأن أوريانا قررت الانتقال مع مادوك إلى عالم البشر - وأوك يفتقد والديه.

ظلت فيفي على مدى الأسبوع الماضي تروح وتغدو في لقاءات مع هيذر، حيث بدأ التعارف بينهما من جديد، كما اشترطت هيذر. الآن ومع رحيلها النهائي عن عالم الجان، جمعت فيفي الكثير من مربى ثمار الزهور الناضجة، والمعاطف المصنوعة من حرير العناكب، وأغراضاً أخرى أرادت أن تعود بها إلى العالم الفاني. وفي أثناء ذلك، فكرت في كل جوانب العالم الفاني التي سيتعين عليها شرحها لوالدها، وقالت: "أمور مثل الهاتف المحمول، أو دفع الحساب في متجر البقالة، إن هذا سيكون رائعاً، إن نفيه بحق هو أفضل جائزة قدمتها لي على الإطلاق".

قالت تارين: "أنتِ تعلمين أنه سيكون متملماً جداً حتى إنه سوف يحاول أن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياتك، أو يخطط لغزو بناية سكنية مجاورة".

عندها توقفت فيفي عن الابتسام.

وأدى هذا إلى إضحاك أوك.

ساعدت أنا وتارين فيفي على حزم أربع حقائب يمكن تثبيتها في سرج الفرس، هذا مع أن فيفي قد زرعت الكثير من أعواد نبات زهرة الشيخ في الغابات القريبة من بناية شقتها، ويمكنها أن تعود لجلب المزيد من الأغراض في أي وقت تشاؤه. كما أن جريما موج أعطت فيفي قائمة بالأشياء التي تود جلبها إلى إلفهايم، من قبيل قهوة سريعة التحضير ومرق حار المذاق.

لكن ما لم أكن أتوقعه أن يُقدم كاردان على السفر معنا.

قالت تارين: "يجب أن تأتي، يمكننا إقامة حفل لكما. لقد تزوجتما، ولم يجرِ أي احتفال بكما".

قلت وأنا غير مصدقة: "أوه، نحن بخير، ولا نحتاج إلى أي...".

قالت فيفي التي ستظل دائماً أختي الكبرى بقراراتها الحاسمة: "لقد حُسم الأمر إذن، أكاد أجزم بأن كاردان لم يأكل البيتزا من قبل".

اندفع أوك بعد سماعه هذا الخبر وبدأ يتحدث عن الإضافات المختلفة التي توضع على البيتزا، بداية من الأناناس ومروراً بالنقانق وصولاً إلى الأنشوجة. إننا لم نصل بعد إلى العالم الفاني، ومع هذا ملأني الفزع. وعلى الأرجح سيكره كاردان مذاقها، والسؤال الوحيد هو ما إذا كان سيتصرف بصورة شنيعة حينئذ أم لا.

وقبل أن أتمكن من التفكير في طريقة لإثناؤه، كنا نضع الحقائب التي يمكن تثبيتها في سرج الفرس المسحور من نبات زهرة الشيخ لنحلق بعدها فوق المياه، ولم يمضِ وقت طويل حتى هبطنا على رقعة عشبية قريبة من المجمع السكني، لكنها ليست قريبة جداً من البناية حتى لا ينتبه جيران فيفي إليها.

هبطت من فوق صهوة الفرس، ولاحظت اصفرار الأعشاب ورائحة عوادم السيارات في الهواء. ثم نظرت إلى كاردان بقلق، وخشيت أن يحك أنفه في ازدياء، لكن كل ما بدا عليه هو الفضول فقط، وأخذ ينظر إلى النوافذ المضاءة، ثم باتجاه الضجيج القادم من الطريق السريع المجاور.

قالت فيفي: "إن الوقت مبكر، ومطعم البيتزا قريب، ويمكننا الذهاب إليه سيراً، لكن علينا أن نصعد إلى الشقة ونغير ملابسنا أولاً".

أعتقد أنني فهمت ما تقصده، فقد بدا كاردان في زيه كأنه قد هبط حالاً من فوق خشبة المسرح، ومع أنه يستطيع أن يبدل ملابسه بطريقة سحرية، فإنني لست واثقة على الإطلاق مما إذا كان يعلم ما يفترض به أن يرتديه للتنكر.

أدخلتنا فيفي إلى الشقة، ووضعت إبريقاً من القهوة على النار، وأضافت القرفة إليه. بينما ذهب أوك إلى غرفته، وأحضر لعبة إلكترونية، وانشغل من فوره باللعب بها فوق الأريكة،

بينما أخذنا نحن نرتب الثياب.

كان سروال كاردان وحذاؤه ذو الرقبة مقبولاً، ووجد قميصاً كان صديق من البشر قد تولى عنه، وكان مقاسه مناسباً لكي يرتديه بدلاً من سترته الفاخرة. بينما استعرت فستاناً من فيفي كان واسعاً جداً عليها، لكنه كان أقل اتساعاً عليّ.

قالت فيفي: "لقد حكيت لهيذر عنكم، وسوف أتصل بها وأرى ما إذا كانت تستطيع القدوم وإحضار بعض الأغراض أم لا، يمكنكم أن تقابلوها - مجدداً وكأنكم لم تعرفوها من قبل. وسيرشدكم أوك إلى مطعم البيتزا".

أخذ أخي الصغير يدي وهو يضحك، وبدأ يجذب كاردان ويجذبني أثناء هبوطنا على الدرج، ثم لحقت بنا فيفي حتى تعطينا بعض النقود.

وقالت: "هذه بعض النقود، من بريرن".

سألني كاردان: "ماذا فعلتِ؟".

أجبت: "تغلبت على جريما موج في مبارزة".

نظر إليّ غير مصدق، وقال: "كان يجب أن يُدفع لكِ مقابل ذلك ذهب".

جعلني قوله أبتسم أثناء سيرنا على الرصيف. لم يبدُ أي انزعاج على كاردان، كان يصفر ويضحك بصوت منخفض ممن نمر بجوارهم من البشر. حبست أنفاسي في ترقب، لكنه لم يطلق شعوزة على أي منهم لتظهر لهم زيول مثل ذيله، أو يحاول إغواءهم بواحدة من ثمار التفاح المسكر أو أي شيء آخر قد يجربه ملك ماكر من الجان.

وصلنا إلى مطعم البيتزا، حيث طلب أوك ثلاث فطائر من الحجم الكبير جداً والمغطاة بمجموعة غريبة من الإضافات التي أثق أن أحداً من قبل كان سيرضى بأن يقدمها له النادل

مجتمعةً من قبل: كرات اللحم، والجمبري، والثوم، والطماطم، وجبن الماعز، والزيتون الأسود، وفطر عيش الغراب، واللحم المقدد.

عند عودتنا إلى المنزل ومعنا كومة من علب الورق المقوى التي تتصاعد منها الأبخرة، كانت هيدر وفيفي قد علقتنا لافطة فضية مكتوبًا عليها بألوان مبهجة **تهانينا أيها العروسان**، وتحت اللافتة على مائدة المطبخ كانت هناك كعكة آيس كريم موضوعة فوقها ثعابين جيلاتينية، إلى جانب الكثير من المشروبات المتنوعة.

قلت وأنا ذاهبة إلى هيدر لأعانقها: "سررتُ جدًّا بلقائك، وأعلم أنني سأحبك كثيرًا".

أجابت هيدر: "لقد أخبرتني بقصص مذهلة عنكم جميعًا".

نفخت فيفي في مزمار، ومررت لنا تاجين من الورق لكي نرتديهما وقالت: "خذا".

تململت في تمنع: "هذا سخف". ومع هذا فقد ارتديت تاجي.

بينما نظر كاردان إلى انعكاس صورته على باب الميكروويف وعدّل وضع تاجه لكي يميل إلى الأمام.

حركت عينيّ وابتسمت له ابتسامة سريعة، وقد آلمني قلبي قليلاً، لأننا جميعًا معًا وآمنين، وهذا أمر لم أكن أعلم من قبل مدى احتياجي له. بدا كاردان خجولاً بعض الشيء وسط كل هذه السعادة والبهجة غير المعتادة له ولي أيضًا. أنا متيقنة بأنه ستكون هناك صراعات قادمة، لكنني على يقين كذلك بأننا سنتغلب عليها.

فتحت فيفي علبة البيتزا، وفتحت زجاجات الشراب الفاخر، وأخذ أوك شريحة من بيتزا الجمبري وبدأ يأكلها بنهم.

رفعت كوبًا بلاستيكيًا، وقلت: "لأجل العائلة".

قالت تارين وهي ترفع كوبها: "وأرض الجان".

وقال أوك: "والبيتزا".

وقالت هيذر: "والقصص".

وقالت فيفي: "والبدايات الجديدة".

ابتسم كاردان ونظر إليّ وقال: "والتدبير لمخططات عظيمة".

لأجل العائلة وأرض الجان والبيتزا والقصص والبدايات الجديدة والتدبير لمخططات عظيمة، يمكنني شرب نخب كهذا.

شكر وتقدير

لولا دعم سارة ريس برينان، ولي باردوجو، وستيف بيرمان، وكاساندر كليلر، ومورين جونسون، وجوشوا لويس، وكيلي لينك، وروبن واسرمان ومساعدتهم، وجرأتهم في نقد الفكرة الرئيسية للعمل وحبكاته الفرعية لصار إنهاء هذه الرواية أمرًا بالغ الصعوبة، شكرًا لكم يا رفاقي الدهاة!

شكرًا لكل القراء الذين جاءوا لرؤيتي، ومن كتبوا الرسائل، ومن عبروا عن محتوى الروايات الثلاث بطرق فنية متعددة، ومن ارتدوا ثياب الشخصيات. إن كل هذا يعني لي أكثر كثيرًا مما يمكنني التعبير عنه.

كما أتقدم بجزيل شكري إلى الجميع في دار نشر ليتل براون بوكس فور يانج ريدرز لدعمهم رؤيتي غير التقليدية. وبشكل خاص أتقدم بالشكر إلى محررتي الرائعة أليفا لينج، وإلى رقية داود، وسينا كونكسول، وفيكيتوريا ستابلتون، وبيل جريس، وإميلي بولستر، وناتالي كافانا، وفاليري وونج، من بين آخرين كثيرين. وفي المملكة المتحدة، أتقدم بالشكر إلى دار نشر هوت كي بوكس وبصفة خاصة إلى جين هاريس، وإيما ماثيوسون، وروزين أوشيا، وتينا موريس.

وأشكر جوانا فولبي، وهيلاري بيتشون، وبويا شهبازيان، وجوردان هيل، وأبيجيل دونو، وكل العاملين في شركة نيو ليف ليتراي لتذليل كل الصعاب.

شكرًا لكاثلين جينينجز على رسوماتها الرائعة والملهمة.

وأخيرًا أتقدم بشكر خاص إلى زوجي ثيو، لمساعدته لي على استكشاف الحكايات التي أريد روايتها. وإلى ابنتنا سيباستيان، لتذكيره لي بأنه في بعض الأحيان يكون أهم شيء يتوجب فعله هو اللعب.



الغلاف الخلفي



كان صوته رقيقاً؛ لذلك ارتكبت خطيئة التطلع إلى عينيهِ السوداءين، وإلى فمه الخبيث الملتوي.

وواصل حديثه، برقة مثل عاشق متيم: «لكن جمالك سيذوي، وكل ما تملكينه، وما ستملكينه، سيغدو هباءً منثورًا، ولن تصيري شيئًا، أنتِ لا شيء».

بسبب خيانة كاردان لها، تتقلب چود - باعتبارها ملكة الجن المنفية - على الجمر، وتعتقد العزم على استعادة كل ما سلب منها، وتأتيها تلك الفرصة من خلال شقيقتها التوأم المُخادعة تارين، التي تتعرض حياتها للخطر. ينبغي على چود أن تعود إلى البلاط الملكي للجن، وتواجه مشاعرها المترسبة نحو كاردان.

ولكن لم تعد أرض الفهايم مثلما تركتها، فالحرب أوشكت على النشوب، وتقع في شرك السياسات المميّنة لذلك النزاع. وحين يُطلق العنان للعنة مروعة، ينتشر الذعر في أنحاء البلاد، ما يُجبر چود على الاختيار بين طموحها ونزعتها الإنسانية.

هذه هي الخاتمة المثيرة لهذه السلسلة الأعلى مبيعًا وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز.

ترشحت لجائزة كارنجي للعام 2019. وحازت على جائزة إنكي الفضية لأفضل رواية عالمية للناشئة.

«تجربة قراءة رواية مثل هذه يشبه التفاف السحر من حولك».
- نيويورك تايمز



الفهرس

1. [إللال](#)
2. [إللال الأمامي](#)
3. [أقوق الطبع والنشر](#)
4. [إشادة بهذة السلسلة](#)
5. [أجزاء هذة السلسلة](#)
6. [إهداء](#)
7. [أربطة جزر إلفهايم المتأولة](#)
8. [الكتاب الأول](#)
9. [تمهيد](#)
10. [الفصل 1](#)
11. [الفصل 2](#)
12. [الفصل 3](#)
13. [الفصل 4](#)
14. [الفصل 5](#)
15. [الفصل 6](#)
16. [الفصل 7](#)
17. [الفصل 8](#)
18. [الفصل 9](#)
19. [الفصل 10](#)
20. [الفصل 11](#)
21. [الفصل 12](#)
22. [الفصل 13](#)

14	.23	الفصل
15	.24	الفصل
16	.25	الفصل
	.26	الكتاب الثاني
17	.27	الفصل
18	.28	الفصل
19	.29	الفصل
20	.30	الفصل
21	.31	الفصل
22	.32	الفصل
23	.33	الفصل
24	.34	الفصل
25	.35	الفصل
26	.36	الفصل
27	.37	الفصل
	.38	خاتمة
	.39	شكر وتقدير
40	.40	
	.41	الغلاف الخلفي